

الجامعة الاسلامية – غزة

عمــادة الدراسات العليا

كليــــــــــة الآداب

قسـم التاريـخ والآثـــار

العمل الأمني في عهد النبوة

Security action in prophethood era

إعداد الطالب

مازن بدر حبوب

إشراف

الدكتور/ سامي حمدان أبو زهري

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

من قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

نموذج رقم (1)

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أقر بأن ما أشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، بأستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: Mazen Bader Habboub — اسم الطالب: مازن بدر محمد حبوب

Signature: — التوقيع: مازن حبوب

Date: 29. 3. 2014 — التاريخ: ٢٩/٣/٢٠١٤م



الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2014/03/29م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **مازن بدر عمر حبوب** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ،** وموضوعها:

العمل الأمني في عهد النبوة

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 28 جمادى اولى 1435هـ، الموافق 2014/03/29م الساعة الحادي عشر صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. سامي حمدان أبو زهري	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. غسان محمود وشاح	**مناقشاً داخلياً**	....
د. حسن إبراهيم المسحال	**مناقشاً خارجيًا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم التاريخ.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى روح والدتي الغالية رحمة الله تعالى عليها . . .
- إلى روح والدي الحبيب رحمة الله تعالى عليه . . .
- إلى زوجتي وأولادي وبناتي الأعزاء . . .
- إلى إخواني وأخواتي الكرام . . .
- إلى شهداء فلسطين وعلى رأسهم الشهيد إبراهيم المقادمة . . .
- إلى مسرى الإيمان وأسرى الحرية والكرامة . . .
- إلى العاملين في مجال الأمن في غزة وفلسطين وكل مكان . . .

الباحث

مازن بدر حبوب

شـــــكر وعرفـــــان

أحمد الله تعالى أن وفقني لإنجاز هذا العمل، وأصلي وأسلم على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الطيبين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن من كريم الشيم وفاضل الأخلاق الوفاء، فحق علينا أن نفي لمن يفي لنا، وأن ننسب الفضل لأهله، فأبدأ بأستاذي الفاضل، الدكتور: **سامي حمدان أبو زهري**، على جهوده العظيمة وتوجيهاته المستمرة، وعلى إسهاماته العلمية، كما أشكر حماسه لي وتشجيعه الذي رافقني حتى تمكنت بفضل من الله ومنة من إنجاز هذا العمل.

كما أتوجه بالشكر للجامعة الإسلامية، وعمادة الدراسات العليا، وكلية الآداب، وأساتذة قسم التاريخ والآثار على ما منحوني من فرصة لإكمال دراسة الماجستير وقدموه لي من مساعدة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لعضوي لجنة المناقشة:

الدكتور: **غسان محمود وشاح** ... مناقشًا داخليًا

الدكتور: **حسن إبراهيم المسحال**... مناقشًا خارجيًا

كما لا أنسى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ/ **نهاد بدرية** على جهوده القيمة لمراجعته اللغوية لرسالتي، وإلى زملائي ومن شاركني الجهد وساندني بالدعاء وشجعني على مواصلة دربي فاستحقوا مني كل احترام وتقدير.

فإلى هؤلاء جميعا أتوجه بخالص الشكر والتقدير

والله أسأل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه

الباحث -مازن بدر حبوب

ملخص الدراسة بالعربية

تناول البحث، العمل الأمني في عهد النبوة، فاقتصر؛ على دراسة أحداث السيرة النبوية وإخضاعها للتحليل الأمني فقط، وارتكز التحليل الأمني على المصطلحات الأمنية في العصر الحديث والمعاصر، في محاولة من البحث لربط العمل الأمني في عهد النبوة بالمفاهيم الأمنية المعاصرة، وجاء تقسيم البحث وفق التصنيف الموضوعي، ولم يرتبط بالتسلسل الزماني، وقد جاء البحث في أربعة فصول دون مقدمة البحث ولا نتائجه ولا توصياته.

عمل الباحث على تبيان أهمية المعلومات ودورها في عهد النبوة، من خلال ابراز أهميتها في حماية الصف الداخلي في مراحل الاستيعاب والهجرتين إلى الحبشة والمدينة، ثم عرج إلى دور المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقاته مع الآخرين، وتسليط الأضواء على الإجراءات المستخدمة لجمع المعلومات، والاستعانة بها لتحقيق الاهداف الاستراتيجية على المستويات الأمنية والعسكرية والاقتصادية، وعلى مستوى المفاوضات، ليصل إلى أثر المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في المعارك من خلال الإجراءات العسكرية المتخذة ضد قريش واليهود والروم، ولقد أجرى الباحث تحليلًا أمنيًا متدرجًا أظهر من خلاله انتصار الاستراتيجية الأمنية وصولا إلى اللحظة التاريخية بتغيير خارطة العالم.

ثم ناقش الباحث الحرب النفسية في عهد النبوة، موضحًا حجم الحرب النفسية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعرض لدائرته الشخصية والتنظيمية وبث الإشاعات المُمنهجة بين المسلمين، وأتبعه بمحاولات التحريض من قبل اليهود والمنافقين وقريش لتصديع الجبهة الداخلية، وتحريض المسلمين على الاسلام، وليصل إلى تبيان طبيعة الحرب النفسية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد قريش والمنافقين واليهود، ولقد كانت الحرب النفسية من أخطر اسلحة هذا الصراع الطويل، ويمكن القول أنها شكلت عامل ردع ضد أي اعتداء، وحسمت كثير من المعارك دون قتال.

كما تناول الباحث الحماية والتحركات الأمنية في عهد النبوة، مبتدأ بكيفية حماية الرسول صلى الله عليه وسلم من محاولات الاستهداف في مكة والمدينة وخلال المعارك، ثم استعرض حماية المقرات والاجتماعات في مكة والمدينة وغرف العمليات العسكرية خلال المعارك، ليصل إلى التحركات الأمنية للمسلمين في مكة والمدينة وأثناء الغزوات والسرايا واهتمامهم بالأسرى، ولقد نجح المسلمون في حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستطاعوا من تحقيق أهدافهم المرسومة بناء على تحركاتهم الأمنية خلال مراحل الدعوة المختلفة.

واستعرض الباحث التجسس في عهد النبوة، لينطلق من التهديدات الأمنية للمجتمع الإسلامي من قبل قريش والقبائل العربية واليهود والمنافقين، ليُعرج على محاولات استهداف الجبهة الداخلية من خلال التجسس عليها أو من خلال التسريب العفوي للمعلومات والتطرق إلى عمليات الاستدراج الأمني لبعض المسلمين بهدف أسرهم أو قتلهم، وصولًا لتعاون جهات داخلية مع جهات معادية، لينتهي بالتجسس المضاد ضد القوى المعادية من خلال حرب الاغتيالات والتجسس خلال المعارك مع تبيان بعض عمليات التجسس النوعية والناجحة، ولنقف على الإدارة الأمنية لحرب التجسس من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء الصراع وخلال فترة الهدنة والملاحقة الأمنية لبعض المجرمين والقتلة بعيد فتح مكة، ليسجل المسلمون نجاحًا باهرًا خلال إدارتهم لصراع الأدمغة معلنين انتصارهم الساحق على القوى المعادية.

ثم ختم الباحث دراسته، بذكر النتائج التي توصل إليها، ثم رفع مجموعة من التوصيات للجهات المعنية والمختصة.

هدف البحث إلى تبيان العمل الأمني في عهد النبوة، والوقوف على طبيعة الصراع والتهديدات الأمنية من قبل القوى المعادية للإسلام، وتوضيح الاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعرف على نتائج الصراع الأمني في شبه الجزيرة العربية.

اعتمدت منهجية البحث على المنهج التاريخي التحليلي، احتاج الباحث إلى تتبع أحداث السيرة النبوية، وسلوك المسلمين والقوى المعادية ودراسة المعلومات والأحداث ومعرفة نتائجها وإخضاعها للتحليل الأمني للتعرف على مكامن القوة والضعف فيها.

خلص الباحث إلى أن الاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم شكلت أساسًا مهمًا في انتصار دولة الإسلام، وكان لها الدور الأكبر في الوصول إلى الأهداف، وكان نجاحه صلى الله عليه وسلم في إدارة معركة صراع الأدمغة كفيلًا بحسم الصراع خلال فترة قصيرة جدًا.

أوصى الباحث بضرورة الاهتمام بالعمل الأمني والارتقاء بها فكريًا وثقافيًا وسلوكيًا ليشكل حالة داعمة ومساندة للعمل الإسلامي، نظرًا للحالة المتسارعة للتطور الأمني على المستويين الفكري والتقني.

فهـــرس الموضـــوعات

المقدمة:

الحمدُ لله الذي شرفني بكتابة هذا البحثِ عن العمل الأمني في السيرة النبوية، وأعانني على التدبُرِ فيها وسَبْرِ أغوارها؛ بعدما شرّفني بالانتماء إلى الإسلام، ومَنّ عليَّ بأن جعلني في أرض الرباط، وأصلي وأسلم على صاحب السيرةِ العطرةِ سيدنا محمد صلوات ربي وتسليماتُهُ عليه، وأتشرفُ بأن ألحقَ ركبَ الباحثين في سيرته، وأرجو من الله تعالى أن أنالَ شرفَ الانتسابِ إليه صلى الله عليه وسلم بسَلْكِ طريقِ العلم، فالعلماءُ ورثةُ الأنبياء.

يشكل العمل الأمني في حياة الشعوب عاملًا مهمًا في الحفاظ على كيانها ووجودها، بالإضافة إلى تحقيق أهدافها، وكان للعمل الأمني في الدعوة الإسلامية دور بارز وأساسي في تخطي الصعاب ومواجهة التحديات، فشقت طريقها بثبات وقوة نحو بناء دولة الإسلام وامتدادها واتساعها في أطراف المعمورة وانتشار الاسلام في الآفاق، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وبالنظر إلى أهمية المعلومات ودورها في عهد النبوة، وأهميتها في حماية الصف الداخلي، ومساعدتها في اتخاذ القرار، ومساهمتها في تحقيق الأهداف، كان اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلومات، وعمل على جمعها وتحليلها والاستفادة منها.

كما شكلت الحرب النفسية أهمية كبيرة لدى أطراف الصراع في شبه الجزيرة العربية، فاستعانوا بها، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على استدعائها، وكان لها عظيم الأثر في المس بمعنويات المشركين وحسم كثير من المعارك، وصولًا لفتح شبه الجزيرة العربية.

ولقد كان للتحركات الأمنية للمسلمين، وتوفير الحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الدور الكبير والفعال لإفشال مخططات المشركين باستهدافه صلى الله عليه وسلم، وساعدت على تحقيق الأهداف المرسومة والمرجوة.

وحدث صراع مرير وشرس بين المسلمين وبين أعدائهم، وكان لصراع الأدمغة دور بارز ومهم في حرب التجسس القائمة، واستطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم من إدارتها بحنكة أمنية، مكنته من تسجيل الانتصارات المتتالية، بل ساعدته على التخلص من أعدائه والمناوئين له.

وتكمن أهمية الدراسة في:

١. الوقوف على تاريخ العمل الأمني في عهد النبوة، كإرث نبوي للمسلمين يتطلب منهم استدعائه والاستعانة به، لتحقيق الفائدة المرجوة منه.
٢. نشر الثقافة الأمنية والفكر الأمني، وتوعية المسلمين بأهمية الأمن ودوره في إقامة دولة الإسلام الأولى، لحثهم على الاستعانة بالعمل الأمني في سعيهم للوصول لدولة الإسلام الثانية.
٣. يشكل تاريخ العمل الأمني في عهد النبوة؛ أساسًا مهمًا لقادة العمل الإسلامي، ومنطلقًا للاستعانة به، والاهتمام بوضع استراتيجية أمنية تساهم في تحقيق أهافهم.
٤. الانتباه الى البعد الأمني وتأثيره على الصراع ودوره في حسم المعارك بأقل التكاليف وأقصر الطرق.
٥. رفد المكتبة العربية في مجال التاريخ الأمني.

وتتمثل **حدود الدراسة الزمانية** في عهد النبوة، لما تمثله تلك الفترة من أهمية في تأسيس الفرد المسلم المتسلح بالوعي الأمني وبنائه؛ وصولا لقيام دولة الإسلام في المدينة.

أما **الحد المكاني** فتتمثل في شبه الجزيرة العربية والحبشة وجنوب الشام.

وقد اعتمد الباحث في اعداد دراسته على **منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي** بالاستناد الى المصادر الإسلامية، والمراجع والرسائل المختلفة التي تساعد في اعداد الدراسة.

تقسيمات الدراسة:

وقد وقعت الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تحدثت في الفصل الأول منها: عن أهمية المعلومات ودورها في عهد النبوة، من خلال إبراز أهميتها في حماية الصف الداخلي، وإلى دور المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقاته مع الآخرين، بالإضافة إلى أثر المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في المعارك.

وتناولت في الفصل الثاني: الحرب النفسية في عهد النبوة، موضحة حجم الحرب النفسية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعرض لدائرته الشخصية والتنظيمية، ومحاولات التحريض من قبل اليهود والمنافقين وقريش لتصديع الجبهة الداخلية، لينتهي بتبيان طبيعة الحرب النفسية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد قريش والمنافقين واليهود.

وذكرت الدراسة في الفصل الثالث: الحماية والتحركات الأمنية في عهد النبوة، مبتدئة بكيفية توفير الحماية لرسول صلى الله عليه وسلم من محاولات الاستهداف، ثم استعرضت حماية المقرات والاجتماعات وغرف العمليات العسكرية، لتبين التحركات الأمنية للمسلمين في مكة والمدينة وأثناء الغزوات والسرايا واهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى.

ولقد بينت في الفصل الرابع: التجسس في عهد النبوة، منطلقة من التهديدات الأمنية للمجتمع الإسلامي من قبل قريش والقبائل العربية واليهود والمنافقين، وأبرزت محاولات استهداف الجبهة الداخلية من خلال التجسس عليها، ومن خلال التسريب العفوي للمعلومات، وصولًا للتجسس المضاد ضد القوى المعادية من خلال حرب الاغتيالات والتجسس خلال المعارك مع تبيان بعض عمليات التجسس النوعية والناجحة، ثم خاتمة شملت أهم النتائج التي توصلت غليها الدراسة، ومن ثم توصيات الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع، وتضمنت الرسالة الملخص باللغة الإنجليزية.

الفصل الأول

أهمية المعلومات ودورها في عهد النبوة

المبحث الأول: أهمية المعلومات في حماية الصف الداخلي.

المبحث الثاني: دور المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقاته مع الآخرين.

المبحث الثالث: أثر المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في المعارك

المبحث الأول

أهمية المعلومات في حماية الصف الداخلي

تشكل المعلومات أهمية بالغة للدول والمجتمعات والأفراد، وتزداد أهميتها وخصوصيتها في مرحلة بناء الدول والمجتمعات، خاصة بأنها ستواجه تهديدات أمنية من المحيط الرافض لوجودها، فكانت الاستراتيجية[١] الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول أهمية المعلومات ودورها في عهد النبوة؛ والتي تركزت على ثلاثة تكتيكات[٢]، حيث ركز التكتيك الأول على أهمية المعلومات في حماية الصف الداخلي، فعمل خلال ثلاث مراحل على توفير المعلومات من خلال العمل الأمني لحماية الصف الداخلي من الاختراق وصولًا به إلى قيام دولة الإسلام.

المرحلة الأولى: المعلومات وعملية الاستيعابِ

كانت الغطات[٣] الثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم – من قِبل جبريل عليه السلام خلال النزول الأول للوحي والتي بلغت منه الجَهد[٤] – ضرورية لنقله صلى الله عليه وسلم إلى مرحلة الاستشعار بعظم المسئولية، ومدى خطورة الأمانة وعظمها التي أنيط بحملها، فمشروع دولة الإسلام كان يشكل خطرًا وجوديًا على الكيانات الموجودة في الجزيرة العربية، ومن ثَمَّ على الكيانات المجاورة مثل فارس والروم، فكان هَمُّها التصدي للمشروع الاسلامي الوليد، في محاولة منهم للقضاء عليه في مهده، الأمر الذي تطلب أن تكون الدعوة سرية، وتقوم على الاختيار الشخصي والاصطفاء[٥]، وعليه سنقف على الإجراءات الأمنية المتبعة خلال عملية الاستيعاب، ونحاول اكتشاف ما إذا كانت هذه الإجراءات عشوائية؟ أم وَفْق خطة أمنية واضحة الأهداف ومحددة الوسائل.

---

(١) الاستراتيجية: مجموعة الأعمال المتناسقة لإنجاز مشروع محدد، وتحتوي على جانب المعرفة العلمية والمهارة، وهي ابتكار أسوأ الشروط للعدو وأفضل الشروط لواضع الخطة. – سيلامي، المعجم، ج ١، ص ١٨٢، ١٨٣.

(٢) التكتيك: هو فن إدارة المعركة، أو استعدادات متخذة لبلوغ هدف معين، والتكتيك هو الجزء التنفيذي من الاستراتيجية – سيلامي، المعجم، ج ٢، ص ٦٩٤.

(٣) غط غطه في الماء يغطه غطا والغطغطة حكاية ضرب من الصوت – الفراهيدي، العين، ج٤، ص٣٤٣.

(٤) ابن اسحق، سيرة، ج٢، ص ١٠١؛ البخاري، الجامع، ج ١، ص ٤؛ مسلم، صحيح، ج ١، ص ١٤٠.

(٥) الاصطفاء: اختيار عقلاني قائم على مقاييس موضوعة مسبقًا، تهدف إلى المحافظة على قيمة خاصة داخل التنظيم ولأفراده. – سيلامي، المعجم، ج ١، ص ٢٢٦.

حَرَصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسب أهل بيته إلى صفه، فأول من آمن به خديجة بنت خويلد[١] رضي الله عنها فآزرته[٢] على أمره وكانت له ردءًا وعونًا أمام محاولات قريش للتعرض له صلى الله عليه وسلم بالأذى[٣]، وآمنت به بناته رضي الله عنهن أيضًا وصدقنه[٤]. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا[٥] رضي الله عنه إلى الإسلام فقال له علي رضي الله عنه: هذا الأمر غريبًا عليَّ، فأمهلني حتى أشاور أبا طالب، فقال له صلى الله عليه وسلم: "يا علي إذا لم تسلم فاكتم"[٦]. وجاء إسلام زيد بن حارثه[٧]رضي الله عنه مولى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إسلام علي بن أبي طالب[٨].

ولإيمان أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أبعاد أمنية عميقة، فهم يكتمون السر ولا يفشونه، فقطعوا بذلك على عيون قريش التعرف على أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم[٩]، ويعود حرصه الأمني بدائرته الشخصية؛ لتوفير الأمن والسلامة لشخصه ودعوته، بالإضافة لكونهم عيونًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومصدرًا للمعلومات داخل مكة وبين قريش.

ويُلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ بعض الإجراءات الأمنية خلال عملية الاستيعاب، فحَرَصَ على السرية والكتمان أثناء دعوته أفراد دائرته الشخصية، ولعل رسول الله صلى

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، امرأة حازمة شريفة أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم أولاده القاسم وزينب وعبدالله وأم كلثوم ورقية وفاطمة – ابن سعد، الطبقات، ج ١، ٣، ص ١٣١، ٧. خير نساء الأمة الكائنة، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين –ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) وازرته فآزره، آزرت الرجل على فلان إذا أعنته عليه وقويته. – ابن منظور، لسان، ج٤، ص١٧.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٠٩؛ الدولابي، الذرية، ج ١، ص ٣٢ – ٣٤؛ ابو نعيم، معرفة، ج ٦، ص ٣٢٠٢؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٣٢٤؛ الدولابي، الذرية، ج ١، ص ٤٢؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمه فاطمة بنت اسد بن هاشم، أمير المؤمنين أبو الحسن، وزوج فاطمة بنت الرسول صلى اله عليه وسلم، أحد العشرة، شهد بدرًا، قتله عبدالرحمن بن ملجم في رمضان ٤٠ هـ – ٦٦٠م وهو ابن ٦٣ سنة ودفن في النجف قرب الكوفة– ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ١٢.

(٦) ابن اسحق، سيرة، ج٣، ص ١١٨، البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ١٦١؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٧) زيد بن حارثة بن شرحبيل، أبو أسامة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمه سعدى بنت ثعلبة، من اليمن، استشهد في معركة مؤتة مع جعفر بن أبي طالب سنة ٨ هـ – ٦٢٩م – ابن منده، فتح، ج ١، ص ٩٤.

(٨) ابن اسحق، سيرة، ج٢، ص ١١٨؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣١٦، ٣١٨؛ ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ١٦٨؛ ابن أبي خيثمة، أخبار، ج ١، ص ١٨٤؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص٢٣.

(٩) أحمد، فقه، ص ١١، ١٢؛ حمودي، المخابرات، ص ٣٠.

الله عليه وسلم يريد منع وصول أي معلومات إلى قريش عن الإسلام، بالإضافة إلى تبيان أهمية التسلح بالحيطة والحذر، ليوضح مفاهيم الأمن، وصولًا لتحديد معالم العمل الأمني.

وكان انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج بيته إلى الدائرة الاجتماعية المحيطة به؛ بناء على معرفته المسبقة وعلمه اليقيني بمجتمع مكة، فنراه ينتقي أفضل أبنائها؛ ليكونوا عونًا له في طريقه الصعب، فيعرض عليهم الإسلام محاولًا بذلك بناء الدائرة التنظيمية، فكان عرضه الأول على أفضل أبناء مكة وأعرفهم بها وبأنسابها؛ فعرض الإسلام على أبي بكر الصديق[١]رضي الله عنه، فأسلم وكان رجلًا ذا خلق، محبوبًا بين قومه، وتمتع بثقافة عالية وخبرة بتوجهات المجتمع وميوله وتبوأ مركزًا اجتماعيًا مما أكسبه الاحترام بين الناس، فكان قومه يألفونه لمكانته الاجتماعية ولأخلاقه وثقافته [٢]، وانطلق أبو بكر رضي الله عنه يدعو إلى الإسلام من يعرفه بصورة جيدة ويثق به، فأسلم على يديه عثمان بن عفان[٣] وطلحة بن عبيد الله[٤] والزبير بن العوام[٥] وسعد بن أبي وقاص[٦] وعبد الرحمن بن عوف[٧] رضي الله عنهم، ثم تتابع دخول الناس في الإسلام، وبقي الرسول صلى الله

---

(١) عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمه أم الخير واسمها سلمى بنت صخر، وكان له من الولد عبد الله وأسماء وعبد الرحمن وعائشة ومحمد وأم كلثوم، أحد العشرة، بويع أميرًا للمؤمنين سنة ١١ هـ، توفي جماد الآخرة سنة ١٣هـ – ٦٣٤م عن ٦٣ سنة– ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٦٩، ١٨٦، ٢٠٢.

(٢) ابن اسحق، سيرة، ج٣، ص ١٢١؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٢١.

(٣) عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة، أحد العشرة، أمير المؤمنين، ذو النورين تزوج من ابنتي الرسول عليه السلام رقية وأم كلثوم، تخلف عن بدر لتمريض زوجته رقية، قتل على أيدي المارقين سنة ٣٥هـ – ٦٥٥م وهو ابن ٨٢ عاما – ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٣٧٧ – ٣٧٩.

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، ابن عم ابو بكر الصديق، وأمه الصعبة بنت عبدالله بن عماد الحضرمي، وتوفي يوم الجمل سنة ٣٦هـ – ٦٥٦م – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢١٤. من السابقين الأولين، أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى –الصفدي، الوافي، ج ١٣، ص ٢٢١.

(٥) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، وأمه صفية عمة الرسول عليه السلام، وعمته خديجة بنت خويلد، أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، هاجر الهجرتين، وأول من سل سيفا في سبيل الله، وهو حواري رسول الله عليه السلام، وقتل في معركة الجمل سنة ٣٦هـ – ٦٥٦م– ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٤٥٧ – ٤٦٠.

(٦) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية، يكنى أبو اسحاق، وأول من رمي بسهم في سبيل الله، أحد العشرة، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وتوفي سنة ٥٥ هـ – ٦٧٥م عن بضع وسبعين سنة – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٩.

(٧) عبد الرحمن بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب أبو محمد، أحد العشرة، وهاجر الهجرتين، شهد بدرًا وسائر المشاهد، وأحد الستة أهل الشورى، من أغنياء المسلمين، توفي في المدينة سنة ٣٢هـ – ٦٥٣م عن ٧٢ سنة ودفن في البقيع – ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٢٩٠ – ٢٩٣.

عليه وسلم على دعوته السرية بالرغم من انتشار دعوته في قريش، وأسلم العشرات من قبائل العرب حتى انتشر ذكر الإسلام بين الناس[١].

يُلاحظ مما سبق استمرار الاهتمام بالإجراءات الأمنية المتبعة والموصلة إلى هدف تكوين الدائرة التنظيمية؛ لتحصينها من الاختراقات الأمنية وحفظ أفرادها من الاستهدافات الأمنية، فكان اختياره صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كأول شخص يدعوه إلى الإسلام من دائرته الاجتماعية اختيارًا موفقًا؛ لأن أبا بكر كان أعلم الناس بقريش وأنساب العرب، وكان غنيًا ذا مكانة اجتماعية مرموقة، وكان لهذا الاختيار آثار إيجابية في بداية بناء الدائرة التنظيمية وتحصينها.

أخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمبدأ الحيطة والحذر، والأرجح استعانته رضي الله عنه بما يملكه من معلومات عن الناس، فانتقى منهم أخيارهم وأشرافهم القادرين على حمل أعباء الدعوة، وممن يتصفون بالسرية والكتمان.

وانتشر المسلمون يتلمسون الأرض عن معتنقين جدد إلى الإسلام، فلقد وصلت معلومات إلى أبي ذر الغفاري[٢] رضي الله عنه عن الإسلام، أرسل أخيه ليستوضح الأمر وطلب منه أن يسمع من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رجع قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، فقال لم تجبني على ما أريد، فتحرك بنفسه إلى مكة، وبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه ولم يرغب بالسؤال عنه، فرآه علي بن أبي طالب فعرف أنه غريب فاستضافه ليلتين لم يسأله عما يريد، وفي الليلة الثالثة سأله علي عن سبب قدومه إلى مكة، فقال إن تعهدت لي بمساعدتي قلت لك، فلما تعهد له أخبره، فقال علي فإنه حق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتفقا على التحرك صباحًا إلى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي: سأمشي أمامك وتتبعني فإن شاهدت ما يريبني وقفت وكأني أشرب الماء، وإن سرت فاتبعني حتى تلحق بي إلى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل وسمع من قوله وأسلم في الحال، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري"[٣].

---

(١) ابن اسحق، سيرة، ج٣، ص ١٤٠١؛ الماوردي، أعلام، ج ١، ص ٣١٥.

(٢) جندب بن جنادة بن سكن، أبو ذر الغفاري، الزاهد المشهور صادق اللهجة، كان يوازي ابن مسعود بالعلم، من أعلام الصحابة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده، سكن الربذة وتوفي فيها سنة ٣٢هـ – ٦٥٣م – ابن حجر، الإصابة، ج ٧، ص ١٠٥ – ١٠٩.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٢٩٥؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ١٩٢٣، ١٩٢٤. واللفظ للبخاري.

يستنتج مما سبق مدى استشعار المسلمين بعظم المسئولية الملقاة على كل منهم، وعلموا مدى أهمية المعلومات، فانتشروا في شوارع مكة، واستضافوا الأغراب بالرغم من خطورة الزمان والمكان، وجدية التهديدات الأمنية المحيطة بهم، فاحتاطوا أمنيًا ورصدوا كل شيء في مكة، وكانوا يوصلون التقارير الأمنية والمعلومات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويُلاحظ مدى الوعي ووضوح المفاهيم الأمنية عند المسلمين، ومن منطلق استشعار علي بن ابي طالب رضي الله عنه بتهديدات قريش؛ واهتمامه باستقدام مسلمين جدد، عمل بحذر وفق اجراءات أمنية معتمدة لتحقيق أهدافه.

كما سعى عمرو بن عبسة[١] رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، فوجده مستخفيًا بدعوته، لتجرأ قريش عليه، فأخذ ابن عبسة رضي الله عنه الحيطة والحذر حتى وصل، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يدعو إليه، ومن يتبعه من الناس، فكان رده صلى الله عليه وسلم مستفيضًا بشرح الإسلام، وموريًا بعدد من يتبعه، حيث قال: "حر وعبد، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال[٢] ممن آمن به ... ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني"[٣].

فمن خلال هذه المواقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه بالإمكان أن نلحظ تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحس الأمني[٤]، وسرعة البديهة، وبعد النظر، الأمر الذي مَكَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحصين دائرته التنظيمية من الاختراق الأمني، وحماية أصحابه من الاستهداف الأمني، وَفْق ما يلي:

١. لم يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي معلومات عن أعداد المسلمين الذين اتبعوه، فأورى صلى الله عليه وسلم بذكر عدد من كان معه من المسلمين لحظة سؤال ابن عبسة.

---

(١) عمرو بن عبسة: بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة، يكنى أبا نجيح، لما أسلم عمرو بن عبسة بمكة رجع إلى بلاد قومه بني سليم، ثم قدم بعد حنين إلى المدينة، ثم خرج بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام فنزلها إلى أن مات بها– ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٠٣.

(٢) بلال بن رباح وأمه حمامة، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، اشتراه أبو بكر من سيده، وهو مؤذن رسول الله عليه السلام، توفي في دمشق سنة ٢٠هـ –٦٤١م –ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٤٥٥، ٤٥٦.

(٣) مسلم، صحيح، ج١، ص ٥٦٩؛ أبي عوانه، مسند، ج ١، ص ١٨؛ الطبراني، الأحاديث، ج ١، ص ٢١٤.

(٤) الحس الأمني: صفة خاصة من صفات الشخصية يتمكن من خلالها التعرف على الأشياء وادراكها والتمييز بينها ومن ثم تفسيرها تفسيرًا كليًا صحيحًا، والتوقع الصادق لكل الاحتمالات، مع استشعار الخطر والتعرف على مصادره، ويرتبط الحس الأمني ارتباطً وثيقًا بالأمن الفكري. – شاكر، مفاهيم، ص ٢٠.

٢. اعتمد صلى الله عليه وسلم أسلوب التورية أيضًا خلال إجابته على سؤال ابن عبسة، فقال: حر وعبد نائيًا بنفسه ذكر اسمي أبي بكر وبلال رضي الله عنهما.

كما يُرجح طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن عبسة رضي الله عنه كتم إسلامه؛ لقطع المعلومات عن قريش عن معرفة أعداد المسلمين وأسمائهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن أي تسريب معلوماتي؛ سيترتب عليه تبعات أمنية ونتائج خطيرة على المسلمين.

ويُلاحظ مما سبق اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم على استراتيجية أمنية تستند على تشكيل الخلايا النائمة، والعيون المتقدمة في صفوف العدو، لتزويده بالمعلومات حين الحاجة إليها، وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر وابن عبسة رضي الله عنهما عند إسلامهما بأن يكتما إسلامهما ويعودا إلى أهلهما، ويمكن الإشارة إلى أن هذا النهج الأمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرتبط بضعف المسلمين، بل نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد على نهجه مع الوفد الثلاثي من غسان[(١)] في السنة العاشرة للهجرة[(٢)]، مما يوحي ضمنًا إلى الهدف الأمني الخفي لبقاء من أسلموا في قبائلهم وداخل مواطنهم، وكأنهم كانوا عيونًا متقدمةً يمدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلومات وبما يدور داخل مواطنهم وبين قبائلهم من أحداث.

وقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستفادة من موسم الحج، فعرض نفسه على القبائل ودعاها إلى الإسلام، وكان يسبق ذلك بسؤاله عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة[(٣)]، وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام على نفر من سادة ثقيف وأشرافها، فلما رفضوا العرض بفظاظة، طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم كتمان الأمر مخافة وصول معلومة تحركه صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف ورفضها الاستجابة إلى دعوة الإسلام إلى قريش فتزيد من صلفها وتصديها له، واستعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يملك من معلومات في دعوته، فأسلم عداس[(٤)] رضي

(١) غسان قبيلة كبيرة من الإزد شربوا من ماء غسان باليمن فسموا به، وهم أكرم العرب أحسابا، وأثبتها أنسابًا، ونزل جزءا منهم في الشام، وملكهم في ذلك الوقت الحارث بن ابي شمر، – ابن خلكان، وفيات، ج١، ص ١٧٥، ٢٥١ – العيني، عمدة، ج ٢٠، ص ١٨٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣٣٨، ٣٢٩ ؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٣٦٠.

(٣) ابن سعد، السيرة، ج ١، ص ٢١٦؛ الزبير، جمهرة، ص ٨١؛ ابن منظور، مختصر، ج ٢، ص ٤٧٥؛ المزي، تهذيب، ج ٧، ص ١٧٦؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص ٤٣؛ السيوطي، جامع، ج ١٣، ص ٤٥٦؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٤٥١؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص ١٥٣ .

(٤) عداس مولى عتبة وشيبة ابني ربيعة، وهو نصرانيا من قرية نينوى – ابن الأثير، أسد، ج ٤، ص ٦.

الله عنه عند سماعه معلومات عن نبي الله يونس بن متى عليه السلام[١] ومدينة نينوى[٢] في العراق [٣]. وعمل أسعد بن زرارة[٤] رضي الله عنه إلى تقديم ما يملك من معلومات حول المدينة وسكانها وعائلاتها وأشرافها إلى سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مصعب بن عمير[٥] -مثل سعد بن معاذ[٦] وأسيد بن حضير[٧]- رضي الله عنهم، فصبر عليهما وهو يدعوهما حتى أسلما، ودعوا قومهما إلى الإسلام فأسلموا جميعًا، وانطلقوا إلى بيوت الأنصار يدعوهم إلى الإسلام[٨].

كما شكلت المعلومات بصورة عامة أهمية قصوى خلال عملية الاستيعاب، فكان الانتقاء الشخصي مستندًا على هذه المعلومات، فسهلت الطريق نحو إسلام الكثير من الناس، وساعدت على تحصين الدائرة التنظيمية للمسلمين من الاختراقات الأمنية، وتوفير الحماية لهم من الاستهدافات

---

(١) يونس بن متى من بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٥٤. وهو نبي من بني إسرائيل، بعثه الله إلى قومه، فدعاهم للإيمان فخالفوه، فوعدهم بالعذاب، فأعلمهم الله بيومه، فحدده يونس لهم، ثم إن قومه لما رأوا مخايل العذاب قبل أن يباشرهم تابوا وآمنوا، فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم. - أبو حيان، تفسير، ج ٧، ص ٣٥٩.

(٢) نينوى: قرية نبي الله يونس بالموصل في العراق. - ياقوت، معجم، ج ٥، ص ٣٣٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٣٣ - ٣٥؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٥٤؛ البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٤١٥، ٤١٦؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ٦٢، ٦٣؛ البغوي، تفسير، ج ٤، ص ١٧٢.

(٤) أسعد بن زرارة: بن عنبس ابن عبيد بن ثعلبة بن عثم بن مالك بن النجار الأنصاري، المديني، وأمه سعاد بنت رافع من بني الحارث بن الخزرج، يكنى أبو أمامه، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا، مات أول سنة من الهجرة في شوال - ٦٢٣م، ودفن بالبقيع. - ابن منده، فتح، ج ١، ص ٨٧.

(٥) مصعب بن عمير: بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، القرشي العبدري، فأسلم وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فلما علم قومه وأمه فأخذوه حبسوه فلم يزل محبوسًا إلى أن خرج إلى أرض الحبشة، وشهد بدرًا، ذهب إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يعلمهم الدين، وقتل مصعب بن عمير يوم أحد شهيدًا قتله ابن قميئة الليثي. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٧٣، ١٤٧٤.

(٦) سعد بن معاذ: بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل بن جشم، وأمه كبشة بنت رافع بن معاوية، يكنى أبا عمرو، أحد نقباء بيعة العقبة، شهد بدرًا، واستشهد في حياة رسول الله رمى بسهم يوم الخندق فانتفض عليه حين حكم على بني قريظة فمات منه وذلك في سنة ٥ هـ - ٦٢٧م. - ابن خياط، الطبقات، ج ١، ص ٧٧.

(٧) أسيد بن حضير: بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الأشهلي، كنيته أبو يحيى، وقيل أبو عتيك، ويقال أبو حصين، من الأنصار، قد شهد العقبة وكان نقيبًا، مات في خلافة عمر سنة ٢٠ هـ - ٦٤١م وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفن بالبقيع. - ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٦، ٧.

(٨) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٥٢ - ٥٤؛ ابن الجوزي، تلقيح، ج ١، ص ٣٠٤؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٣١٥ - ٣١٧؛ الخازن، تفسير، ج ١، ص ٣٩٦؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٠٤.

الأمنية، ولقد حققت المرحلة الأولى من التكتيك الأول للاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة صراع الأدمغة مع قريش؛ نجاحات متقدمة، فلجأت قريش إلى التعرض للمسلمين جسديًا من خلال السجن والتعذيب.

المرحلة الثانية: المعلومات وهجرة المسلمين إلى الحبشة[١]

ناصبت قريش العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاولت إلحاق الأذى به؛ فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب، ولاحقت قريش المسلمين، وألحقت بهم الأذى، فلم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمايتهم؛ فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، قائلًا لهم: " إن بها ملكًا[٢] لا يظلم الناس ببلاده فتحرزوا[٣] عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه"[٤]. فهاجر من المسلمين: عثمان بن عفان وامرأته ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية[٥]، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود[٦]، وكان عليهم عثمان بن مظعون[٧] رضي الله عنهم[٨]. وفي رجب من السنة الخامسة للبعثة تسلل المهاجرون خفية إلى ميناء الشعيبة[٩] على البحر الأحمر منهم الراكب والماشي، وتوافق وجود سفينتين للتجار نقلتهم إلى أرض الحبشة، ولم تستطع قريش اللحاق بهم [١٠].

---

(١) الحبشة: أستعمل العرب اسم الحبشة، وهي الشعوب المختلطة، وكانت تضم أرتيريا وأثيوبيا والصومال وجزء من السودان وحتى بلاد النوبة، واستخدم لفظ أثيوبيا أواخر القرن ١٩. – الخوند، الموسوعة، ج ١، ص ٩٧.

(٢) أصحمة بن بجرى، معدود من الصحابة، وكان ممن حسن اسلامهم ولم يهاجر وقد توفي في حياة الرسول فصلى عليه بالناس صلاة الغائب في رجب ٩ هـ – ٦٣٠م. – الذهبي، سير، ج ٣، ص ١٨٩، ١٩٦.

(٣) تحرزوا تحصنوا والحرز بالكسر هو الموضع الحصين. – الفيروز، القاموس، ص ٥٠٨.

(٤) ابن اسحق، سيرة، ج ٢، ص ١٥٤؛ ابن الجوزي، تنوير، ج ١، ص ٥٧؛ القرطبي، الإعلام، ج ١، ص ٢٥٥.

(٥) رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، تزوجها عثمان بن عفان، وولدت من عثمان عبدالله وتوفيت في المدينة والمسلمون في بدر – ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٦) عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، من السابقين وأول من جهر بالقرآن، شهد بدرًا والمشاهد بعدها، توفي في المدينة عام ٣٢هـ –٦٥٣م – ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ١٩٨ – ٢٠١.

(٧) عثمان بن مظعون: بن حبيب بن وهب بن حذافة، القرشي، الجمحي، وأمه سخيلة بنت العنبس، يكنى أبا السائب، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين سنة ٢ هـ – ٦٢٤م، فلما دفن قال نعم السلف هو لنا ابن مظعون. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٥٣.

(٨) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(٩) الشعيبة ميناء على البحر الأحمر ومرفأ مكة قبل جدة – ياقوت، معجم، ج ٣، ص ٣٥١.

(١٠) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠٤؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ١٦٣؛ المقريزي، امتاع، ج ١، ص ٣.

وقبيل فتح مكة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي أن يبعث إليه من بقي عنده من المسلمين وأرسلهم في سفينتين حتى قدموا المدينة فيجدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فشخصوا إليه فوجدوه قد فتح خيبر[١].

وهذا الأمر يشير إلى نقطة استراتيجية مهمة، تمثلت بعلمه صلى الله عليه وسلم بما حوله من الممالك والزعماء وطبيعة كل منهم من الخير والشر[٢]، والأرجح أن اختيار الحبشة كان بناءً على معلومات أمنية صحيحة ودقيقة توفرت للرسول صلى الله عليه وسلم حول محيط شبه الجزيرة العربية.

والواضح أن الهجرة إلى الحبشة كانت محاولة للبحث عن قاعدة حرة وآمنة للدعوة الجديدة[٣]، وهذا ما يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر مسلمي الحبشة بالعودة إلا بعد صلح الحديبية، وبعد استعصاء دولة الإسلام على الاستئصال[٤]، وكما يبدو أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، واتخاذ الإجراءات الأمنية كانت تكتيكيًا؛ لحماية الصف الداخلي من الاستهدافات المختلفة، واستعان المسلمون بما يملكون من معلومات، وبتحركات أمنية وسرية، لتحقيق هدفهم المرحلي.

ويمكن القول إن هذه الهجرة كانت أول عملية استخبارية جماعية تظافرت فيها المهارات الأمنية من خلال عملية التمويه للعدو والتضليل[٥]، ويُلاحظ تعمق المفاهيم الأمنية عند المسلمين، وتطور العمل الأمني عندهم، من خلال إدارة هذه العملية الأمنية المعقدة، بقطع معلومات هذه الهجرة عن قريش، ونجاحهم الأمني وتفوقهم الاستخباري عليها؛ بمغادرتهم الميناء قبل وصولها.

وشكلت هجرة المسلمين إلى الحبشة صفعة قوية إلى قريش، فلم تستوعب الأمر بسهولة، فعملت على الاستعانة بعلاقاتها الاقتصادية مع ملك الحبشة فأرسلت عمرو بن العاص[٦] وعبدالله بن أبي

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠٧.

(٢) الصلابي، السيرة، ص ٢٠٥.

(٣) قطب، في ظلال، ج ١، ص ٢٩.

(٤) الغضبان، المنهج، ج١، ص ٦٧، ٦٨.

(٥) أحمد، فقه الأمن، ص ١٦؛ حمودي، المخابرات، ص ٣٢.

(٦) عمرو بن العاص: بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، القرشي كنيته أبو عبد الله، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي، هاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ، ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم جيش السلاسل، عداده في أهل مكة، وكان من دهاة قريش، فبعثه أبو بكر الصديق أحد الأمراء إلى الشام، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها، ثم فتح=

ربيعة[1] إلى النجاشي لاسترداد المسلمين[2]، فأحضرا معهما الهدايا الكثيرة ليقدماها إلى النجاشي وأعوانه في الحكم، في محاولة لاستصدار قرارًا من الملك بتسليمهما المسلمين دون الاستماع إلى دفاعهم، وقاما بتشويه المسلمين ووصفِهم بالسفاهة، فرفض الملك ذلك حتى يستمع للمسلمين[3]، عند ذلك عزم المسلمون على قول الحق والحقيقة، كائنًا في ذلك ما هو كائن[4]، فقال جعفر بن أبي طالب [5] رضي الله عنه: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام من دون الله، ونعمل الموبقات، فبعث الله تعالى لنا رسولًا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لنعبد الله وحده، ونعمل الصالحات، ونجتنب الموبقات، فعدا علينا قومنا، ليفتنونا عن ديننا، فخرجنا من أرضنا إلى جوارك، رغبة بالعدل بالأمان عندك، وقرأ عليه آيات من سورة مريم، وردَّ على محاولة ابن العاص تحريض الملك حول طبيعة نبي الله عيسى عليه السلام قائلًا: إنه عبدالله ورسوله وروحه وكلمته، فقال لهم أنتم أحرار في بلدي، وردَّ هدايا قريش[6].

يتضح مما سبق أيضًا محاولة قريش تقديم معلومات مشوهة عن المسلمين، وتضليل ملك الحبشة، مع تشكيل حالة ضغط عليه من قبل حاشيته بكثرة الهدايا المقدمة لهم، في محاولة منهم لسلب قرارًا من الملك حول مصير المهاجرين المسلمين، فرض ذلك عليهم تحديًا أمنيًا بضرورة تفنيد الأكاذيب، وتقديم المعلومات الصحيحة دون تردد، لإقناع الملك بصدق موقفهم، واستطاع جعفر انتزاع الأمان للمسلمين من الملك على أرض الحبشة.

= مصر، فلما قتل عثمان رضي الله عنه فصار إلى معاوية فلم يزل معه وشهد معه صفين ثم ولاه معاوية مصر إلى أن مات بها يوم الفطر سنة ٤٣هـ – ٦٦٤م في خلافة معاوية. – ابن منجويه، رجال، ج ٢، ص ٦٥.

(١) عبدالله بن ابي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وهو أخو عياش بن أبي ربيعة لأبويه وأمهما أسماء بنت مخرمة، يكنى أبا عبد الرحمن، ويلقب ذا الرمحين، ولاه عمر الجند وبقي الى ايام فتنة عثمان فجاء لينصره فوقع عن راحلته فمات بالقرب مكة – ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٦٩.

(٢) ابن اسحق، سيرة، ج ٤، ص ١٩٣؛ ابن قيم الجوزية، فقه، ص ٣٥.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٤٢١، ٤٢٢، ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) ابن اسحق، سيرة، ج ٤، ص ١٩٥؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٢٤٤.

(٥) جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب، يكنى أبو عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، زوجته اسماء بنت عميس، عاد من الحبشة يوم خيبر، استشهد يوم مؤتة ٨هـ – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٤، ٣٧.

(٦) ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ٢٠٢؛ ابن راهويه، مسند، ج ٤، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٦٥، ٦٦؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ١٣٧؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٢٤٥، ٢٤٦؛ ابن منظور، مختصر، ج ٢، ص ٢٧٧، ٢٧٨؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ١٧٥، ١٧٦.

ومن الروايات ذات الصلة بهجرة الحبشة مثل التي تشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى النجاشي ليخطب له أم حبيبة[١] رضي الله عنها، وكانت تحت عبيد الله بن جحش[٢] فأمهرها النجاشي ٤٠٠٠ درهم وجهزها من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة[٣] رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤].

ويشير ما سبق إلى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتابعة أخبار مهاجري الحبشة وأحوالهم، ويشاركهم مصابهم، بالإضافة إلى التواصل المستمر مع النجاشي رضي الله عنه لمعالجة الإشكالات جميعها، ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تصله معلومات تفصيلية بصورة دائمة ومنتظمة.

ويمكن تلخيص ما حدث بالقول؛ إن الهجرة إلى الحبشة شكلت مرحلة انتقالية للمسلمين، حيث استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المرحلة الثانية للتكتيك الأول في استراتيجيته الأمنية من المحافظة على المسلمين، وتجنيبهم الأذى، من خلال الانتقال بهم إلى بيئة أكثر أمنًا من مكة، وساعدهم على تشكيل مجتمعًا مسلمًا بصورة ما، وحافظوا على خصوصياتهم داخل مجتمع نصارى الحبشة، بالإضافة إلى التأهيل النفسي والأمني للمسلمين، والربط المصيري مع الإسلام، والاستشعار بالمسئولية من قبل جموع المسلمين لتحقيق هدف بناء دولة الإسلام.

المرحلة الثالثة: المعلومات والهجرة النبوية

أدت التحركات الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والعمل الأمني الدؤوب من المسلمين، للتعرف على المكان الأنسب والالتقاء بهذه العصبة من أهل المدينة، والمؤهلة لاحتضانه صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ تمهيدًا لإقامة دولة الإسلام الأولى، فلقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأمها صفية بنت أبي العاص بن امية، أم المؤمنين، منعت أبيها غير المسلم من الجلوس على فراش رسول الله توفيت في المدينة سنة ٤٤هـ – ٦٦٤م. – ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٤٠ – ١٤٢.

(٢) عبيد الله بن جحش بن رباب الاسدي، هاجر مع زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان الى الحبشة فارتد عن الاسلام ومات متنصرا في الحبشة– الذهبي، سير، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٣) شرحبيل بن حسنة وهي أمه وابوه عبدالله بن المطاع من مهاجري الحبشة وكان اميرا على ربع من أرباع الشام توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ – ٦٣٩م. – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٢٧.

(٤) ابن حنبل، مسند، ج ٦، ص ٤٢٧؛ ابي داود، سنن، ج ٢، ص ٢٣٥؛ الدارقطني، سنن، ج ٣، ص ٢٤٦.

بمكة ثلاثَ عَشْرَةَ سنة يُوحى إليه، ثم أمره الله تعالى بالهجرة[١]، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالخروج إلى المدينة، فخرجوا أفوجًا وأفرادًا بصورة منفصلة ومتتالية، وكان خروجهم بصورة سرية[٢]، وعزم أبو بكر رضي الله عنه على الهجرة إلى المدينة، فقال له صلى الله عليه وسلم: "على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي"[٣].

شكلت الهجرة إلى المدينة تحديًا كبيرًا للمسلمين، وتوجب عليهم اتخاذ إجراءات أمنية معقدة، ووضع خطة استراتيجية تهدف إلى انتقال المسلمين إلى المدينة، متسلحين بالسرية، من خلال قطع المعلومات عن قريش، متمتعين بروح التحدي، ويبرز هنا استمرار التطور في المهارات الاستخبارية، من تخطيط مذهل ودقيق ومتقن في مجال العمل الأمني[٤]، وهذا واضح من خلال تنفيذ عملية الهجرة بصورة متدرجة وبسرية تامة، ويمكن القول إن مرد ذلك يعود إلى الاهتمام المتواصل بالعمل الأمني، وسعيه صلى الله عليه وسلم للارتقاء بالمفاهيم الأمنية ومحاولة ترسيخها كفكر في حياة المسلمين.

ويبدو أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة بصورة تدريجية قبله؛ حتى لا يلفت نظر قريش إلى تغيبهم، ولا يستدعي منها اجراءً على الأرض، غير أن غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة يلفت ويسترعي انتباه قريش، مما يترتب على ذلك أفعال غاضبة من قبلها ستعرض حياة المسلمين للخطر، بالإضافة إلى استشعاره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسئولية الملقاة عليه؛ من خلال تأمين هجرة المسلمين.

وفي هذه الأثناء أطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمؤامرة اغتياله من قبل قريش، فبات علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًا يحسبونه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ذهبوا إليه فلما رأوا عليًا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري أين هو [٥].

---

(١) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٣٩٨؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ١٨٢٦؛ الطحاوي، شرح، ج ٥، ص ٢٠٢.

(٢) ابن سعد، السيرة، ج١، ص ٢٢٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٢٥، ص ٣٢٤.

(٣) ابن حنبل، مسند، ج ٦، ص ١٩٨؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٨٠٤؛ ابن حبان، صحيح، ج ١٥، ص ٢٨٦؛ اللالكائي، شرح، ج ٤، ص ٧٧٤؛ البغوي، شرح، ج ١٣، ص ٣٥٦؛ ابن المنير، المتواري، ص ٢٥٨ .

(٤) أحمد، فقه الأمن، ص ١٧.

(٥) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٨٩؛ البغدادي، تاريخ، ج ١٣، ص ١٩١؛ الهيثمي، مجمع، ج ٧، ص ٢.

والظاهر أن ساعة الصفر لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لحظة ما أعلمه جبريل بمؤامرة قتله، ويمكن القول إن توفر المعلومات حول أسرار العدو وواقعه؛ تمكن القيادة من تنفيذ خططها بنجاح[١]، مما ترتب على ذلك اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية، وكانت أول الإجراءات الأمنية للهجرة؛ كما يبدو هو نوم علي رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم للتمويه على قريش، وتأخيرها لحين استقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور.

وصاحب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنذ لحظة علمه بمخطط قريش بقتله بعض الإجراءات الأمنية على الأرض، لوحظ من خلالها طبيعة صراع الأدمغة بين الطرفين، فقد ذكرت عائشة[٢] رضي الله عنها: "فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة[٣]، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أَمر، قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم... وأضافت عائشة رضي الله عنها: "فجهزناهما أحث جهاز[٤]، وصنعنا لهما سفرة[٥] في جراب[٦]، فقطعت أسماء بنت أبي بكر[٧] قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين"[٨].

---

(١) الهرفي، المخابرات، ص ٣٥؛ الغضبان، المنهج ، ج١، ص ١٩١.

(٢) عائشة بنت أبي بكر: الصديق واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أم عبد الله القرشية التيمية المكية، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بكرًا ولم يتزوج بكرًا غيرها، وماتت سنة ٥٨ هـ - ٦٧٧م. - الكلاباذي، الهداية، ج ٢، ص٨٣٧، ٨٣٨.

(٣) نحر الظهيرة: حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع. - ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ١٩٦.

(٤) الجهاز جهزت القوم تجهيزا إذا تكلفت لهم بجهازهم للسفر = ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٣٢٥.

(٥) السفرة بالضم طعام يتخذ للمسافر ومنه سميت السفرة - الرازي، مختار، ص ١٢٦.

(٦) الجراب: وعاء الزاد والعامة تفتحه والجمع أجربة وجرب، والجريب من الطعام والأرض مقدار معلوم وجمعه أجربة. - الرازي، مختار، ص ٤٢.

(٧) أسماء بنت أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان، أم عبدالله القرشية التيمية، وتزوجها الزبير بن العوام، ذات النطاقين، وأم الخليفة عبد الله بن الزبير، أسلمت قديمًا بمكة، وآخر المهاجرات، وماتت بعد أن قتل ابنها عبد الله على يد الحجاج الثقفي عام ٧٣هـ - ٦٩٢م. - ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٢ - ١٥.

(٨) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٨، ١٤١٩؛ الحميدي، الجمع، ج ٤، ص ١٨٨. واللفظ للبخاري.

كما قالت: "ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور[١]، فمكثا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر[٢]، وهو غلام شاب ثقف لقن[٣]، فيدلج[٤] من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان[٥] به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة[٦] مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْلٍ وهو لبن مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٧] حتى يَنْعِقَ بها عامر بن فهيرة بِغَلَسٍ يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلًا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هَادِيًا خِرِّيتًا[٨] وَالْخِرِّيتُ الماهر بالهداية قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفع إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق الساحل"[٩].

والظاهر أن فترة مكوث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر رضي الله عنه ما بين الظهيرة إلى الليل لحظة خروجهما إلى غار ثور؛ كانت لإعداد خطة التحرك وتوزيع مهام الإمداد على الأفراد، فحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه الأشخاص الذين يتصلون

---

(١) ثور بفتح أوله وبالراء المهملة، وهو ثور أطحل وهو جبل بمكة وأطحل جبل اليه ينتسب ثور – البكري، معجم، ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) عبد الله بن أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان، تزوج من عاتكة بنت زيد أخت الصحابي سعيد، وأصيب في معركة الطائف ومات في خلافة أبيه عام ١١هـ – ٦٣٢م. – ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ٢٤.

(٣) لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء، ويعرف ما يريد وهو حذر = ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ١٩.

(٤) دلج: سير السحر وأدلجوا: ساروا من آخر الليل. – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٥) كيد الكيد من المكيدة، وقد كاده يكيده مكيدة – الفراهيدي، العين، ج ٥، ٣٩٦.

(٦) عامر بن فهيرة أبو عمرو مولى أبو بكر أسلم وهو مملوك، واشتراه ابو بكر وأعتقه، شهد بدر وأحد، قتل يوم بئر معونه، عام ٤ هـ – ٦٢٥م. – ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ٤٨٢.

(٧) الرضيف: اللبن يغلى بالرضفة وفي الهجرة: فيبيتان في رسلها ورضيفها الرضيف اللبن المرضوف، وهو الذي طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ١٢١.

(٨) هاديا خريتا: الماهر الذي يهتدي الى الطرق الخفية ومضايقها، في مثل ثقب الإبرة من الطريق، دليل خريت: ماهرا بالدلالة، خرتنا الأرض إذا عرفناها، ولم تخف علينا طرقها – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٣٠.

(٩) عبد الرازق، المصنف، ج ٥، ص ٣٩١؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٩؛ الحميدي، الجمع، ج ٤، ص ١٨٨؛ البغوي، شرح، ج ١٣، ص ٣٥٨؛ الخازن، تفسير، ج ٣، ص ٩٧؛ ابن تيمية، منهاج، ج ٨، ص ٤٤٤، ٤٤٥. واللفظ للبخاري.

بهما أثناء مكوثهما في الغار[1]، ويمكن القول إن التخطيط المخابراتي يعد من أعظم التخطيطات والتي لم تجد لها مثيلًا في البراعة، حتى مع التقدم والتطور في العمل الأمني الحديث فكرًا وإمكانيات ووسائل[2]، ولعل خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم تركزت على ما يلي:

أولًا: التزود بالطعام والشراب وتبيان دور أسماء خلال الهجرة.

ثانيًا: اختيار غار ثور والبقاء فيه ثلاثة أيام.

ثالثًا: تكليف عبد الله بن أبي بكر برصد قريش يوميًا.

رابعًا: مهمة عامر بن فهيرة برعي قطيع الغنم حول المنطقة.

خامسًا: الهجرة إلى المدينة.

أولًا: ويبدو مما تقدم أن الإعداد للهجرة والتجهيز لها كان في بيت أبي بكر رضي الله عنه، فكان لأهل بيته دورًا مهمًا في عملية الترتيب هذه، وحفظ أسرار هذا التحرك الأمني من أي تسريب؛ منعًا لوصول أي معلومة لقريش، ووفق ما يلي:

١. تجهيز عائشة وأسماء رضي الله عنهما الطعام والشراب كان في بيت أبيهما، بل وتحدثت عائشة رضي الله عنها عن ترتيبات التجهيز هذه مما يُشير إلى تحضيرهما لسفر وأن الطعام يكفي عدة أيام، وأنهما لا يحتاجان للزاد يوميًا.
٢. تضيف عائشة رضي الله عنها: "ثم لحق[3]" رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه بغار في جبل ثور، ثم... تفيد الترتيب والتراخي فكانت مغادرتهما إلى الغار بعيد تجهيز طعام السفر لهما.
٣. كان عامر بن فهيرة رضي الله عنه يزودهما باللبن مساء كل يوم، وهذا يدلل عدم احتياجهما لأسماء رضي الله عنها لتزويدهما بأي طعام.
٤. تبين الرواية: تردد عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما على الغار، ولم تشر إلى أي تحركات لأسماء رضي الله عنها، خاصة وأن راوي الرواية هي عائشة رضي الله عنها، وبالإضافة إلى أن أي تحرك لأسماء رضي الله عنها إلى الغار ويوميًا؛ سيكون مرصودًا من قبل عيون قريش، وسيترتب على ذلك معرفة إلى أين تتردد.

---

(١) الغزالي، فقه، ص ١٢٥.

(٢) حمودي، المخابرات، ص ٣٨.

(٣) الحميدي، الجمع، ج ٤، ص ١٨٨.

5. كانت أسماء رضي الله عنها لحظة الهجرة حاملًا وفي آخر أيام حملها. فخرجت وأنا متم[1] فقدمت المدينة فنزلت بقباء وولدت عبد الله هناك[2]، وترددها على الغار وهي حامل في أشهرها الأخيرة يلفت أنظار قريش عليها، بالإضافة إلى إرهاقها وتعرضها للخطر وهذا ما لا يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا لا ينفي أي دور لأسماء رضي الله عنها، فكان لها دور أمني مهم، فتحملت أذى قريش وقسوة أبي جهل في سبيل المحافظة على سرية تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطعت على قريش أي معلومات ممكن أن تساعدها في الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: استمرارًا للحالة الأمنية الصعبة والمتمثلة بمؤامرة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل قريش، وبدءً بتنفيذ ثاني خطوات هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فخرج من فتحة خلفية لبيت أبي بكر رضي الله عنه وتوجه إلى غار ثور بعيدًا عن عيون قريش، ويشير اتجاههما إلى الجنوب؛ إلى إمعانه صلى الله عليه وسلم في تضليل عيون قريش[3]، ويعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركيز قريش في تلك اللحظة على مراقبة بيته على فرض وجوده فيه، وعلى الأرجح أنه صلى الله عليه وسلم افترض بوجود بعض العيون لقريش على امتداد الطرق المعهودة بين مكة والمدينة.

ويبدو اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم البقاء في غار ثور ثلاث ليال، في محاولة للتعرف على ما تخطط له قريش. وكانت المدة مرتبطة بما يقدمه عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما من معلومات حول خفة الطلب عليهما[4].

ثالثًا: وبالإمكان القول إن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع المعلومات عن قريش، يعد ذلك نقلة نوعية في العمل الأمني، وتطور في الفكر الأمني، وهذا يخالف الملاحظة التي أبداها إمام الشافعي محمد حمودي أن المخابرات الإسلامية في هذا الطور من النشأة كانت أقرب إلى المخابرات الوقائية أكثر بكثير من الميل إلى المخابرات الإيجابية[5]، وبالرغم من أن ملاحظته

---

(1) متم إذا أتمت أيام حملها وولدت لتمام وولد المولود لتمام – الرازي، مختار، ص ٣٣.

(2) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤٢٢؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٦٩١.

(3) حمودي، المخابرات، ص ٣٧.

(4) الغضبان، المنهج، ج١، ص ١٩٢.

(5) المخابرات، ص ٣٨.

تتعارض مع معلومة ذكرها سابقًا من أنه صلى الله عليه وسلم كلف عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بجمع المعلومات من مكة[1].

فكان الخيار هو عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، فنفَّذ ما كُلِفَ به، دون لفت انتباه قريش له، فكان بمثابة أحد رجالات المخابرات في ظل هذه الظروف العصيبة[2]، ويمكن القول إن مهارته كرجل أمن ناجح مكنته من جمع المعلومات وإنجاح مهمته، ويمكن ذكر بعض هذه المواصفات:

١. يمتاز بالفطنة والذكاء وسرعة الفهم، وميزة التركيز، ومعرفة ما يريد، أثناء متابعاته الأمنية.
٢. يتصف بالمقدرة على تحديد الأهم من المعلومات، فكان اهتمامه بما يخطط من مؤامرات ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه السلام.
٣. يملك ذاكرة ممتازة، تعينه على استيعاب الحدث والمعلومة.
٤. القدرة على نقل المعلومات بصورة مفيدة.
٥. يأخذ بحسبانه الوقت ويلتزم بالمواعيد وبدقة، فيخرج من الغار بسحر فيصبح مع قريش كبائت.
٦. يتميز بالشجاعة والمقدرة على تقدير الموقف وتحديد فترة مغادرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه غار ثور. فلما انتهيَا من الطلب غادَرَا الغار، بناءً على تقارير عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما.
٧. يتمتع بهمة عالية، ويوجد في الميدان دون لفت انتباه لتغيبه.

رابعًا: الظاهر أن دور عامر بن فهيرة رضي الله عنه شكل جزءً مهمًا من الخطة لما يلي:

١. يحضر ابن فهيرة رضي الله عنه بقطيع من الغنم ويرعى في المنطقة لتغطية تحركات عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما مساءً وسحورًا، ويغادر المكان آخر الليل وذلك كل ليلة.
٢. يشكل وجود ابن فهيرة رضي الله عنه حول الغار عامل أمان لمن في الغار ولرصد أية تحركات مريبة حول المكان.
٣. تزويد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه باللبن بعد تسخينه.

خامسًا: على الأرجح أن تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه بعد ثلاث ليال كانت بناء على تقدير الموقف من قبل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما.

---

(١) حمودي، المخابرات، ص ٣٧.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧.

وعندما كان يُسأل أبو بكر: من هذا الرجل؟ فيقول: رجل يهديني السبيل، فيحسب السامع أنه دليل يرشده الطريق[1]، ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وعلم المسلمون بذلك خرجوا بأسلحتهم واستقبلوه أحر استقبال[2].

وقد تمتع أبو بكر رضي الله عنه في طريقه إلى المدينة بسرعة البديهة، وباستخدام أسلوب التورية، فقدم معلومات مضللة إلى من يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبدو أن شخصَ أبي بكر رضي الله عنه كان مألوفًا بين كثير من العرب حتى وصلا إلى المدينة.

ويمكن القول إن المرحلة الثالثة من التكتيك الأول للاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة صراع الأدمغة مع قريش؛ وخطة الهجرة إلى المدينة حققت نجاحًا باهرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلال صراعه الطويل والمستمر والمستعر مع قريش.

والأرجح أنه في نهاية التكتيك الأول للاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قد تعمقت مفاهيم الأمن، وبرز أهميته في سلوك المسلمين، وأن المراحل الثلاثة لهذا التكتيك قد حققت أهدفها، وحقق هذا التعمق؛ نقلة نوعية بالعمل الأمني في الفترة المكية، وانتقال العمل الأمني للمبادرة والتعرف على أخبار قريش، لننتقل إلى دور المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقاته مع الآخرين من خلال التكتيك الثاني والذي يهدف إلى السيطرة الأمنية على شبه الجزيرة العربية.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٣٥؛ ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٢١١.

(٢) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤٢١.

المبحث الثاني

دور المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقاته مع الآخرين

كان من الطبيعي أن يواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعاتٍ كثيرةً، خاصة بعيد قيام دولة الاسلام في المدينة، حيث إن أعدائه سيزدادون، ويكثر الطالبون له، والساعون للقضاء على دولة الإسلام، وبالتالي سيحتاج إلى الاهتمام بالعمل الأمني داخل المدينة وخارجها؛ لأهمية المعلومات ودورها في فرض السيطرة الأمنية وصولًا لترسيخ الفكر الأمني عند المسلمين؛ ولتشكل عامل ردع ضد كل من تسول له نفسه التعرض لدولة الإسلام وللمسلمين، واستمرارًا للاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومع التكتيك الثاني منها، وهو دور المعلومات الأمنية في خدمة مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقات مع الآخرين وذلك للسيطرة الأمنية على شبه الجزيرة العربية، من خلال إجراءات ثلاثة ووفق ما يلي:

الإجراء الأول: السرايا وجمع المعلومات

احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المعلومات الأمنية، لتعينُه على أخذ القرار المناسب، فاستعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوة العسكرية والسرايا(١) للحصول على هذه المعلومات، كما كانت تحركات هذه السرايا تعتمد على معلومات أمنية مسبقة، ويمكن تقسيم ذلك إلى ثلاث فترات زمانية:

أولًا: فترة ما قبل غزوة بدر

امتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تكتيكًا أمنيًا في سلوكه مع المحيطين به، وشكلت الفترة ما قبل غزوة بدر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهتمامًا كبيرًا بقريش كونها تشكل تهديدًا وجوديًا على دولة الإسلام، فبث السرايا الاستطلاعية الأمنية، وقاد الغزوات فأدت دورها المرسوم لها، والناظر إلى

---

(١) السرية: قطعة من الجيش يقال خير السرايا أربعمائة رجل، والسارية السحابة التي تأتي ليلًا، وأسرى أي سار ليلًا، وقال الله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا}. – الرازي، المختار، ص ١٢٥.

خارطة تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمنية والعسكرية خلال تلك الفترة يرى بوضوح تام أن التحركات اقتصرت على الزمان ما بين رمضان ١ هـ ورمضان ٢ هـ، والمكان المنطقة المحصورة ما بين المدينة شمالًا، ومكة جنوبًا، والبحر الأحمر غربًا وخط المدينة القديد[١] الخرار[٢] شرقًا[٣].

فلقد حدثت خلال هذه الفترة بعض العمليات الأمنية؛ مستهدفة قريشًا أمنيًا واقتصاديًا وسياسيًا، ومن ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل حمزة بن عبد المطلب[٤] رضي الله عنه في سرية إلى سيف البحر[٥] في منطقة العيص[٦]، ليعترضوا عيرًا لقريش قادمة من الشام، فلقي أبا جهل[٧]، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني[٨]. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبيدة بن الحارث[٩] رضي الله عنه على رأس سرية إلى بطن رابغ[١٠]، ليعترضوا عيرًا لقريش[١١] فيها أبو

---

(١) القديد: اسم موقع بالقرب من مكة. – ياقوت، معجم، ج ٤، ص ٣١٣.

(٢) الخرار: وادي بالحجاز يصب على الجحفة، بين مكة والمدينة – البكري، معجم، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٣) شوقي أبو خليل، أطلس، ص ٩٦ – ١١٣.

(٤) حمزة بن عبد المطلب: بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عمارة، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة، ولد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين، وأسلم في السنة الثانية من البعثة، وشهد بدرًا وأبلى في ذلك، وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لواء عقد في الإسلام، واستشهد بأحد قتله وحشي ولقبه أسد الله، وسماه سيد الشهداء. – ابن حجر، الاصابة، ج ٢، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٥) سيف البحر: شطه وما كان عليه من المدن. – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ١٣١.

(٦) العيص: واد ناحية ذي المروة على ساحل البحر، بطريق قوافل قريش الى الشام – الحازمي، الأماكن، ص ٩٣. على ليلة منه وأربع من المدينة. الصالحي، سبل، ج ٦، ص ٨٥.

(٧) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن عمر بن مخزوم، كناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا جهل، وكان يكنى أبا الحكم، وروي عنه أنه قال: لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل. – البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٥٧.

(٨) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٤٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ١١؛ ابن كثير، البداية، ج ٣، ص ٢٣٤؛ ابن حبيب، المقتفى، ج ١، ص ١٢٠.

(٩) عبيدة بن الحارث: بن المطلب بن عبد مناف، وكنيته أبو الحارث، حمل عبيدة على شيبة بن ربيعة يوم بدر، فقتل عبيدة شيبة وقطع شيبة رجل عبيدة، فحمل عبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وعاش حتى رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من بدر إلى المدينة، فلما بلغ الصفراء توفى عبيدة بالصفراء وهو بن ثلاث وستين سنة. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٣١٢، ٣١٣.

(١٠) بطن رابغ: واد عند الجحفة، على عشرة أميال فيما بين الأبواء والجحفة. الحازمي، الأماكن، ص ٥٩.

(١١) الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٣؛ ابن حجر، فتح، ج ٧، ص ٨٤؛ العيني، عمدة، ج ١٦، ص ٢٩٩؛ الحلبي، السيرة، ج ٣، ص ١٣٦.

سفيان[١]، فتناوشوا، وكانت التعليمات بعدم الاشتباك[٢]، وفر من الكفار يومئذ إلى المسلمين؛ المقداد بن عمرو[٣] وعتبة بن غزوان[٤] رضي الله عنهما وكانا أسلما قديمًا[٥].

وبناء على معلومات وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أرسل سعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنه لاعتراض عيرًا لقريش ستمر بالخرار، فخرجوا على أقدامهم، فكمنوا النهار وساروا الليل فوجدوا العير قد مرت بالأمس، وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يتجاوزا الخرار[٦].

وبلغت معلومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عير لقريش عليها أمية بن خلف[٧]، فتحرك على رأس قوة حتى بلغ منطقة بواط[٨] ولم يحدث قتال[٩].

ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ركز جهوده الأمنية خلال تلك الفترة على فرض الحصار الاقتصادي على قريش[١٠]، وشكلت المعلومات الأمنية –التي توفرت له– عاملًا مهمًا لتحقيق أهدافه، فبناءً على هذه المعلومات؛ اعترض قوافل قريش، واستطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمارس الضغط الأمني على تحركاتها، مما تسبب بالتأثير السلبي على اقتصاد قريش، وأن يجعل تكاليف معيشتهم عالية جدًا.

---

(١) صخر بن حرب: بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان القرشي الأموي، وأمه صفية بنت حزن الهلالية، أسلم يوم الفتح، وشهد حنينا وأخطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية، وتوفى أبو سفيان المدينة سنة ٣٠ وقيل ٣١ هـ – ٦٥١م. وهو ابن ٨٨ سنة وصلى عليه عثمان بن عفان. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧١٤، ٧١٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٧؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١١.

(٣) المقداد بن الأسود بن عمرو بن ثعلبة البهراني، أسلم قديما، تزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، هاجر الهجرتين، وشهد بدرا، وأول من قاتل على فرس في سبيل الله– ابن حجر، الاصابة، ج ٦، ص ١٦٠.

(٤) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني، من السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم رجع مهاجرا إلى المدينة رفيقا للمقداد بن الأسود، ولاه عمر في الفتوح وفتح فتوحًا – ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٤٠؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١ ص ٩٦

(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٧.

(٧) أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي، قتل مع أبي جهل يوم بدر –الذهبي، سير، ج ٣، ص ٥٠٥.

(٨) بواط: جبل من جبال جهينة من ناحية جبل رضوى عند ينبع. –ياقوت، معجم، ج ١، ص ٥١.

(٩) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٥٧؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٤؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ج ٦.

(١٠) خطاب، قادة النبي، ص ٥٤.

ويمكن الإشارة إلى أنَّ اتخاذ قرار إرسال السرايا الأمنية والعسكرية؛ استند على معلومات أمنية، ويُرجَّح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استطاع تجنيد عيونٍ خارجية يزودونه بأخبار قريش[1]، مما مكَّنه من تحقيق أهدافه بنجاح[2]، ويشير ذلك إلى دور العمل الأمني المبادر عند المسلمين، والاستفادة من المعلومات الأمنية المتوفرة، والانتقال إلى حالة الفعل وصناعة الحدث، وإشعار من يحيط به بوجود دولة جديدة ذات رهبة وقوة شوكة، وصولًا إلى الدولة القوية والمؤثرة .

ويتضح مما تقدم مدى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتابعة الميدانية للمعلومات الأمنية المتوفرة، لتوثيقها واستكمالها، فعمل على تزويد قادته بتوجيهات أمنية؛ تهدف إلى التركيز فقط على جمع المعلومات وعدم تشتيت الجهد بأمور أخرى، ومن ذلك عدم الاشتباك، وتحذيرهم من تجاوز بعض الأماكن، تأكيدًا منه صلى الله عليه وسلم على الطبيعة الأمنية البحتة لتلك السرايا والتي تهدف إلى رصد تحركات قريش، والحصول على المعلومات التي تساعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

ويبدو أن المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما قد اغتنما فرصة خروج القافلة، فخرجا معها لعلهما يلتحقان بالمؤمنين[3]، ويمكن طرح تساؤل هنا: هل كان المقداد وعتبة هما مصدر معلومة تحرك قافلة قريش؟ ويمكن ترجيح ذلك؛ كونهما علما بخروج القافلة، وإلى كونهما مسلمين سابقًا يرجح بقوة تزويدهما معلومات إلى رسول الله عن القافلة وغير ذلك، بالإضافة إلى خروجهما بالقافلة بنفسيهما؛ يؤكد علمهما بوقت خروجها، فكانت ترتيبات لحوقهما بالمسلمين.

كما استمرت الحرب الخفية بين المسلمين وقريش، فاستعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلومات الأمنية خلال تحركاته، وجاءت غزوة الأبواء[4] بناء على معلومات وصلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تحرك قافلة لقريش، فخرج ليعترضها[5] ومكث رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الغضبان، المنهج، ج ٢، ص ٣٩٧؛ أحمد، فقه الأمن، ص ٢٠.

(٢) حمودي، المخابرات، ص ٧٩.

(٣) أبو زهرة، خاتم النبيين، ج ٢، ص ٦٨٨.

(٤) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرين ميلا، ويوجد في الأبواء قبر آمنة بنت وهب أم الرسول عليه السلام – البكري، المسالك، ج ١، ص ٣١٩.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٥.

وسلم في بني ضمرة[١] خمسة عشر يومًا ووادعهم[٢]، على أن لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يعينوا عليه، فكتب بذلك كتابًا[٣]. وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العشيرة[٤]، ليعترض عيرًا لقريش جمعت أموالها فيها، فبلغ العشيرة ببطن ينبع[٥]، فوجدهم قد رحلوا، ووادع فيها بني مدلج[٦] وحلفاءهم من بني ضمرة[٧].

نخلص من كل ما سبق إلى الأهمية المتشعبة للمعلومات الأمنية، ويبدو أن بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المكان وفر له معلومات عن الأهمية المكانية للمنطقة، وأن التحالف مع قبائلها سيزود رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلومات الأمنية، بالإضافة إلى أنَّ هذه التحالفات ستسبب إخلالًا في موازين القوى لصالح دولة الإسلام.

ويُلاحظ أيضًا أنّ بنود الموادعة حملت بُعدًا استراتيجيًا مهمًا؛ فمن بنودها: أن لا يعينوا عليه ومن ضمن العون: عدم تزويد قريشٍ بمعلومات عن المسلمين، وتزويد المسلمين بالمعلومات حول التحركات المعادية لدولة الإسلام، بالإضافة إلى فرض هيمنة دولة الإسلام في المنطقة.

ثانيًا: فترة ما قبل غزوة الأحزاب

استمر رسول الله صلى الله عيه وسلم بتنفيذ هذا التكتيك، وعمل على توسيع اهتماماته الأمنية في مناطق جديدة؛ فاهتم بالعمل الأمني شرقًا جهة نجد، واستمرت هذه الفترة حتى غزوة المريسيع في

---

(١) بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة – ابن حزم، جمهرة، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢) وادع: والموادعة المصالحة و التوادع التصالح – الرازي، المختار، ص ٣٦٣، ٢٩٧.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٨؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٢٤؛ ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٥٦؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٨٩؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص ١٦٤؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص ٣٧٤.

(٤) العشيرة: وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة وقال أبو زيد العشيرة حصن صغير بين ينبع وذي المروة يفضل تمره على سائر تمور الحجاز –ياقوت، معجم، ج ٤، ص ١٢٧.

(٥) ينبع: قرية غناء فيها أشجار وعيون غريزة، وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وهي على ليلة من رضوى، وعلى يمينها لمن كان منحدرا من المدينة إلى الساحل –ياقوت، معجم، ج ٥، ص ٤٥٠.

(٦) بنى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة – ابن حزم، جمهرة، ج ١، ص ١٨٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٣؛ الصالحي، سبل الهدى، ج ٤، ص ١٧.

شعبان ٥ هـ – ٦٢٦م، وأُبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجود تجمعًا لغطفان[١] وبني سليم[٢] في نجد[٣]، فغزاهما في قرقرة الكدر[٤]،فلم يجد أحدًا، وبث العيون في المنطقة، فوجد بعض الرعاة فسأله عن الناس، فقال لا علم لي بهم وانما أنا راعي غنم لقومي في أيامي المحددة، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فانحدر به إلى المدينة فاقتسموا غنائمهم [٥].

حيث يُرجح أن تكون النقلة المكانية والنوعية بالعمل الأمني تجاه نجد؛ جاءت بناءً على معلومات أمنية كانت تفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجمعات لرجال القبائل، فمكنت هذه المعلومات الأمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل المعركة إلى أرض العدو، ووصلت رسالة قوية لقبائل نجد بأن منطقتهم ستكون ميدانًا للفعل الأمني والعسكري خلال الفترة القادمة.

ويبرز هنا حجم التطور في العمل الأمني من خلال محاولة معرفة أي معلومات قد تشير إلى أماكن تجمع القوم ومناطق هروبهم، فكان استجواب الراعي للوقوف على بعض المعلومات حول المنطقة وسكانها ومن يرتادها، ليشكل بذلك حالة إضافية لمصادر المعلومات.

كما شكل الضغط الأمني والعسكري من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوافل قريش؛ إلى تغير طريقها من طريق الشام إلى طريق العراق[٦]، فخرج صفوان بن أمية[٧] على رأس قافلة، وكان دليلهم فرات بن حيان[٨]، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه

---

(١) غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان – الزبيري، نسب، ج ٢، ص ٤٦.

(٢) بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، ومنهم: بنو رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم؛ وبنو ذكوان بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم. – ابن حزم، جمهرة، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥٠.

(٤) قرقرة الكدر ماء لبني سليم، والقرقرة الأرض المستوية – ابو السعادات، النهاية، ج ٤، ص ٤٨.

(٥) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٢٩٠؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣١.

(٦) الصالحي، سبيل، ج ٦، ص ٣٢.

(٧) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي، أسلم بعد الفتح، وروى أحاديث، وحسن اسلامه وشهد اليرموك، استعار منه الرسول أدرعا يوم حنين، توفي ٤١ هـ– ٦٦١م. – الذهبي، سير، ج ٣، ص ٥٠٥، ٥٠٦.

(٨) فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حية بن ربيعة بن سعد بن عجل، حليف بني سهم، كان دليلا هاديا للطرق، وأسلم بعد أسره مع قافلة لقريش في طريق العراق وكان عندها عين لأبي سفيان، ولم يزل يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض عليه السلام، فنزل الكوفة وابتنى بها دارًا. – أبو نعيم، معرفة، ج ٤، ص ٢٢٩٣، ٢٢٩٤.

إلى القردة[١] يعترضها، فأصابوا العير، وأُسر فرات بن حيان وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه الإسلام فأسلم[٢].

ولقد عطل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش تجارتها، ولم تجد قريش للمسلمين حلًا لاعتراضهم قوافلها، ودخلت القبائل في تحالفات مع دولة الإسلام[٣]، وحولت قريش طريق تجارتها إلى طريق العراق بعد اعتراض قوافلهم على طريق الشام، حيث قال أبو سفيان وصفوان بن أمية: "إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا"[٤].

وبسبب فرض الحصار الاقتصادي على قريش جعلهم أمام خيارين: العمل على القضاء على المسلمين لكسر الحصار الاقتصادي وفتح طرق تجارتهم المقطوعة، أو الاستسلام لدولة الإسلام حتى لا تموت جوعًا[٥]. وفي خطوة استباقية يمكن الإشارة إلى إصرار الرسول صلى الله عليه وسلم على ضرب قوة قريش وزعزعة هيبتها بين القبائل من أجل إضعافها تمهيدًا للقضاء عليها، ويبرز هنا دور المعلومات الأمنية وأهميتها القصوى من أجل تحقيق النجاح للتكتيك الأمني مع قريش والوصول إلى الأهداف المرسومة، وتعد هذا المهمة العسكرية ذات الطابع الأمني؛ ضربة قوية للاقتصاد القرشي.

وبعد ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة المخزومي[٦] رضي الله عنه إلى قطن[٧] حيث بَلَغهُ تحريض ابني خويلد على المسلمين ويدعون إلى حربهم، ولم يحدث قتال، وغنموا بعض

---

(١) القردة ماء في منطقة نجد في الرمة لبني نعامة – ياقوت، معجم، ج ٤، ص ٣٢٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٨٣، ١٨٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣٦؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٦٥؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ١٧١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٦٠.

(٣) الواقدي، المغازي ج ١، ص ١٨٣.

(٤) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٢١٨.

(٥) خطاب، الرسول ص ١٦٤.

(٦) أَبو سَلمة: عبد الله بنُ عَبدِ الأَسدِ هِلاَل بنِ عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، القُرَشي، أُمه برَّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهو ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، كان قديم الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة معه امرأته أُم سلمة، ثم عاد وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وجُرح بأُحد جُرحاً اندمل ثم انتقص، فمات منه في جمادي الآخرة سنة ٣ هـ – ٦٢٤م. – ابن الأثير، أسد، ج ٦، ص ١٦١، ١٦٢.

(٧) قطن: جبل بناحية فيد، به ماء لبني أسد بن خزيمة، بنجد. – ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ١٨.

العير[١]. وقد جاء رجل بجلب[٢] إلى المدينة، وقال: قدمت من نجد وقد رأيت بعض قبائل ثعلبة[٣] قد جمعوا لكم جموعًا، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج أربعمائة من أصحابه، وخرج من المدينة حتى وصل إلى واد الشقرة[٤] فأقام به يومًا، وبث السرايا فلم يجدوا أحدًا وهربت الأعراب إلى قمم الجبال ولم يحدث قتال[٥]، وهذه الغزوة هي ذات الرقاع حيث جرحت أقدام الصحابة، وقلعت أظافرهم، ولفوا الخرق على أقدامهم[٦].

يشير ذلك إلى حجم السيطرة الأمنية لدولة الإسلام؛ من خلال الاستعداد الطوعي أو غير ذلك لكثير من الأعراب لتزويد المسلمين بالمعلومات حول تجمعات القبائل المعادية، وهذا مما ساعد على الفت في عضدهم، وقوى عزيمة المسلمين، ويبدو أن قوة شوكة دولة الاسلام بدأت تؤتي أكلها، وشكلت هاجسًا ورعبًا بين القبائل، دفعها لمغادرة مضاربها والنجاة بأنفسهم.

ويبدو أن معركة صراع الأدمغة بقيت مستمرة مع القوى المعادية لدولة الإسلام، فرضت على المسلمين التحرك على جميع الاتجاهات؛ لجمع المعلومات ومتابعتها لمواجهة التحركات المعادية للقبائل، وهذا تطّلب استعدادًا أمنيًا ونفسيًا للمسلمين، فاتصف المسلمون بقوة التحمل والصبر على الآلام والتعالي على الجراح، فحققوا بذلك مواصفات رجال المهمات الأمنية الصعبة.

ولما بَلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعًا تجمعوا في دومة الجندل[٧]، وحذروه من إغضاب ملك الروم، فتحرك بألف من الفرسان يسير الليل ويكمن النهار، واستعان بدليل ماهر بالطرق، وهجم عليهم فأصاب من أصاب وهرب الباقون، وغنم المسلمون إبلًا وغنمًا وجدت لهم[٨].

---

(١) ابن حبيب، المقتفى، ج ١، ص ١٤٦.

(٢) جلب: سوق الشيء من موضع إلى آخر، والجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع. وما جلب القوم من غنم أو سبي، والفعل يجلبون، والجمع: أجلاب. – ابن منظور – لسان، ج ٣، ص ٢٦٨.

(٣) بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان – البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٣٥.

(٤) الشقرة: قرية على طريق المدينة الأول المتروك لبني ثعلبة. – البكري، معجم، ج ٣، ص ٧٤٩.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٣٣؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٣٧١؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٦) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥١٣؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٤٩؛ أبي يعلي، مسند، ج ١٣، ص ٢٩٠.

(٧) دومة الجندل حصن بين الشام والمدينة، كانت فيها بنو كنانة بن كلب. – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٥٩؛ ابن كثير، البداية، ج ٤، ص ٩٢.

ويتضح مما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خضم حملته الأمنية على نجد، لم يُهمل المعلومات الواردة من عيونه عن التجمعات المعادية لبعض القبائل، فتحرك شمالًا نحو تخوم الشام بالرغم من خطورة التحرك العسكري، إلا أنه أوصل رسالة قوية إلى القبائل المحتمية بدولة الروم، فلاحق قاطعي الطرق وفرض هيبة دولة الإسلام في الأنحاء المختلفة لشبه الجزيرة العربية.

وفي ربيع أول سنة ٦ هـ – ٦٢٧م أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن[١] رضي الله عنه إلى الغمر[٢] في سرية، فخرج سريعاً يختصر الطريق، ونذر به القوم، فهربوا، فبعث شجاع بن وهب[٣] رضي الله عنه طليعة فرأى أثر النعم فتحملوا فأصابوا عينًا لهم فأمنوه، فدلهم على نعم لبني عمه فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير[٤]. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة رضي الله عنه إلى بني سليم، وأرشدتهم امرأة على مكانهم، فغنموا منها نعماً وغنماً وأسرى. وفي جمادي الأولى سنة ٦ هـ – ٦٢٧م بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرًا لقريش قد أقبلت من الشام، فأرسل زيد ين حارثة إلى العيص في مائة وسبعين راكبًا ليعترضها فأخذوها وما فيها من الأموال والفضة وبعض الأسرى، وتوجه زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى حسمى[٥]، لتأديبهم على قطعهم الطريق، والتعرض لدحية الكلبي[٦] رضي الله عنه وتجريده من هدية قيصر الروم له[٧].

يبدو أن عالم الأمن هو عالم الإنسان الذي يخشى الإنسان[٨]، وللوقوف على تحركات القبائل المعادية، ومعرفة المعلومات عن أماكن تجمعات المشركين وأعدادهم؛ استعان قادة السرايا بالعيون

---

(١) عكاشة بن محصن، أبو محصن الأسدي، السعيد الشهيد، حليف قريش، من السابقين الأولين، البدريين، استشهد عام ١١ هـ – ٦٣٢م على يد طليحة الأسدي، وبلغ ٤٥ سنة – الذهبي، سير، ج ٣، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) غمر مرزوق وهو ماء لبني أسد – ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٨٤.

(٣) شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي، أبو وهب، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وأحد والخندق والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى الحارث بن ابي شمر الغساني، بدمشق بالغوطة، استشهد في اليمامة عن بضع واربعين سنة وذلك في ١٢ هـ – ٦٣٣م. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٩٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٨٤.

(٥) حسمى: موضع من أرض جذام شمال شبه الجزيرة العربية – البكري، معجم، ج ١، ص ٤٤٦.

(٦) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الخزرجي الكلبي صحابي مشهور كان جبريل ينزل على صورته، شهد اليرموك، وعاش الى خلافة معاوية. – ابن حجر، الاصابة، ج ٢، ص ٣٢١ – ٣٢٣.

(٧) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٦.

(٨) زهر الدين، موسوعة، ج ١، ص ٨.

والمجموعات الاستطلاعية لمعرفة ما يدور حولهم من تحركات معادية، وللتغلب على المشركين خلال حالات الصراع المحتدمة بينهما.

كما يمكن أن نسجل مما سبق أن قادة السرايا قادوا حربًا أمنية قوية، تميزوا من خلالها بذهنية مرنة، وسرعة بديهة، وجرأة في اتخاذ القرار بناء على معطيات الميدان، ساعدتهم في تحقيق أهدافهم، فاعتمدوا التحرك السريع نحو الهدف بغية الوصول إلى الهدف قبل تسرب أي معلومة عن تحركاتهم للأعداء، وعقدوا الصفقات لتحقيق أهدافهم، وعملوا على استنطاق الأسرى للوصول إلى المعلومات.

ثالثًا: فترة ما قبل فتح مكة

تمثلت الفترة الثالثة من هذا التكتيك الأمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بالتوسع شمالًا حيث دولة الروم، وجنوبًا حتى اليمن، وزمانًا من ذي القعدة ٦ هـ – ٦٢٧م بعيد صلح الحديبية، وحتى قبيل فتح مكة رمضان ٨هـ – ٦٢٩م، وذلك لاستكمال سيطرته الأمنية الكاملة على شبه الجزيرة العربية، والعمل على تهيئتها للمرحلة القادمة، مرحلة السيطرة العسكرية وإخضاعها بصورة كاملة تحت راية دولة الإسلام، مما تتطلب الحصول على المعلومات الأمنية لتحقيق هذه الأهداف.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قضاعة[١] تجمعوا يريدون أطراف المدينة أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يسير الليل ويكمن النهار، حتى وصل إلى ذات السلاسل[٢]، وسار حتى دخل بلادهم ولقي جمعًا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا[٣]. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة[٤] رضي الله عنه إلى غطفان، فسار الليل وكمن النهار، فهجم عليهم فقتلوا من قابلهم وجمعوا الغنائم[٥].

---

(١) قضاعة: قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان، وقال ابن الكلبيّ: قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زيد بن مالك بن حمير– البري، الجوهرة، ج ١، ص ١٨١.

(٢) ذات السلاسل: ماء بأرض جذام، شمال شبه الجزيرة العربية – ياقوت، معجم، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٣١؛ المتقي، كنز، ج ١٠، ص ٢٥٢.

(٤) الحارث بن ربعي بن رافع بن الحارث، أبو قتادة، وقيل الحارث بن ربعي بن بلدمة بن خناس، أبو قتادة الأنصاري السلمي، وقيل إنه النعمان بن ربعي، ويقال عمرو بن ربعي، مات بالمدينة سنة ٥٤ هـ – ٦٧٤م وهو ابن ٧٠ سنة، وقد قيل إنه مات في خلافة على بن أبى طالب رضي الله عنه. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٧٣، ٧٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٣٢؛ ابن حبيب، المقتفى، ج ١، ص ١٩٧.

ويمكن أن يُلاحظ مما سبق مدى أثر المعلومات الأمنية وقيمتها لدولة الإسلام لفرض هيبتها على الأماكن المترامية من شبه الجزيرة العربية، وزرع الرعب في القبائل المختلفة.

ونخلص من كل ما تقدم إلى أهمية السرايا الأمنية الاستطلاعية في جمع المعلومات والتي تخدم مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعينه على اتخاذ القرار السليم المبني على المعلومة الأمنية الصحيحة والموثقة من الميدان.

الإجراء الثاني: جمع المعلومات عن قريش

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتلاك زمام المبادرة في جمع المعلومات، وركز على قريش بصورة خاصة، وسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفة أخبار قريش ورصد تحركاتها في أغلب الأوقات. وبدأ اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعرفة أخبار قريش منذ هجرته إلى المدينة[١]، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش[٢] رضي الله عنه كتابًا[٣] وأمره ألا ينظر إليه؛ حتى يسير يومين، فلما فتح الكتاب وجد فيه: "فإذا نظرت في كتابي فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، وتعلم لنا من أخبار قريش"[٤].

ويشير ذلك إلى مدى التطور في الفكر الأمني عند المسلمين، وتناغمه مع السلوك والفعل على الأرض، كما يتضح من اهتمامه صلى الله عليه وسلم بمعرفة أخبار قريش، وتمكنه من جمع المعلومات الأمنية عنها، ووضع الخطط الناجحة والتي تساهم في التغلب على العدو في المعركة، ورسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حدود المهمة، وحدد معالمها وشدد بوضوح على الالتزام بما فيها، وهي معرفة أخبار قريش ورصد تحركاتها في المنطقة.

---

(١) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٩. (انظر الى عنوان المعلومات والهجرة النبوية).

(٢) عَبْدُ الله بن جَحْش بن رِيَاب بن يَعْمَر بن صَبِرة، أبو محمد الأسدي، أمه أُمَيْمَة بنت عبد المطلب عَمّة رسول الله، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة وأُخته زينب بنت جحش أم المؤمنين، وأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلّم على سَرِيَّة، ثم شهد بدرًا، وقتل يوم أُحد. – ابن الأثير، أسد، ج ٣، ص ١٩٥.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٨.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥١؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٥؛ ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ١٠٥؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٣٦٦.

ولما استطاع أبو سفيان النجاة بالقافلة يوم غزوة العشيرة واتجه إلى الشام، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد[١] رضي الله عنهما ليرصدا عيرًا لقريش قبل عشرة أيام من خروجه لغزوة بدر، فنزلا منطقة ذي المروة[٢] على الساحل، فرصدا قافلة أبي سفيان من مكان مرتفع من الأرض [٣]، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبس بن عمرو[٤] وعدي بن أبي الزغباء[٥] رضي الله عنهما إلى بدر يرصدان ويجمعان الأخبار عن القافلة[٦]، وسمعا جارية تقول لأخرى عندما تأتي العير غدًا أو بعد غد فأعمل لهم[٧].

فعمل كل من بسبس وعدي برفع تقرير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء فيه: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزل ماء كذا يوم كذا، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، وينزل هو ماء كذا يوم كذا، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا، حتى نلتقي نحن وهو على الماء" [٨].

والظاهر أن نجاح قافلة أبي سفيان من الهرب من المتابعة الأمنية في غزوة العشيرة، استدعى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إرسال اثنين من خيار الصحابة ليرصدا عير قريش شمال شبه الجزيرة العربية ثم ألحقهما باثنين عند مياه بدر، في خطوتين أمنيتين تهدفان إلى:

١. نلحظ إرساله فريقه الأمني شمال منطقة العمل الأمني خلال تلك الفترة، وهذا مثال للعمل الأمني الإيجابي وحسب ضرورة الحالة.

---

(١) سعيد بن زيد: بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي، العدوي، هو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل، وشُهد له بالجنة، كُنيته أبو الأعور، مات سنة ٥١ هـ-٦٧١م ودفن بالمدينة ودخل قبره سعد بن أبي وقاص وابن عمر. – ابن منجويه، رجال، ج ١، ص ٢٣٦.

(٢) ذي المروة: قرية بوادي القرى بين المدينة والشام – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ١١٦، ٣٤٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢١٦؛ المزي، تهذيب، ج ١٠، ص ٤٤٨.

(٤) بَسْبَس الجُهَنِي الأنصاري، من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وقيل: بسبس بن عمرو بن ثعلبة ابن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان الذبياني، ويقال بسبس بن بشر، وقيل بسبسة بن عمرو، قال عروة بن الزبير: هو من بني طريف بن الخزرج، شهد بدرًا. – ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ٢٦.

(٥) عدي بن أبي الزغباء: سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة بن بديل بن سعد، وشهد عدي بدرًا والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وليس له عقب. – ابن سعد الطبقات، ج ٣، ص ٤٩.

(٦) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٧١؛ ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٦٣.

(٧) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦؛ ابن عبد البر، الدرر، ص ١٠٤؛ ابن كثير، فصول، ج ١، ص ١١٦.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٢٤.

٢. الحصول على المعلومات الدقيقة والتفصيلية عن تحركات القافلة من خلال استعانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر من فريق أمني للمتابعة، وهذا يوفر المعلومة الأمنية الدقيقة والموثقة من أكثر من مصدر، مما يساعد القيادة على اتخاذ القرار المناسب في اللحظات الحرجة.
٣. يعد إرسال بسبس وابن الزغباء إلى جنوب المدينة وعلى طريق القافلة، حنكة أمنية بحضوره في منطقة الفعل الأمني، وهذا ما ساعد الفريق من رفع تقريرٍ أمنيٍ ملحقٍ بتقدير موقف[١].

وفي السياق نفسه أعلم العباس بن عبد المطلب[٢] رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل معركة أحد بخبر استعداد قريش للتحرك إلى المدينة[٣]، وبعث كتابًا مع رجل من غفار [٤] واشترط عليه بتوصيله بسرعة، وفصَّل في الكتاب أعداد الجيش والعتاد، فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم بقباء وسلمه الكتاب وقرأه أبي بن كعب[٥] رضي الله عنه في بيت سعد بن الربيع[٦] رضي الله عنه واستكتمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، وشاع الخبر بين الناس[٧]، وأكد الخبر وفد من خزاعة[٨] وذكروا عن تعسكر قريش بذي طوى[٩] شمال مكة [١٠].

---

(١) تقدير موقف: عملية تفكير واستخلاص المغزى من المعلومات والمعطيات التي تصل إلى الجهات الأمنية والذي يتم على ضوئها رصد التطورات حول طرق عمل نشاطات العدو المحتملة في الوضع المقصود. – المغاري، الاستراتيجية، ص هـ.

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبو الفضل، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، قيل أسلم قبل الهجرة، وكتم اسلامه، وكان يزود رسول الله بأخبار قريش، حارب مع قريش في بدر وأسر، توفي في سنة ٣٢ هـ – ٦٥٢م عن ٨٨ عاما، ودفن بالبقيع –ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٥، ١٠، ١٢، ٣١.

(٣) الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٣٣.

(٤) غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة – ابن حزم، جمهرة، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٥) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري، أبو المنذر وابو الطفيل، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سيد المسلمين في عهد عمر عام ٢٢ هـ – ٦٤٣م وقيل في عهد عثمان عام ٣٠ هـ – ٦٥١م. – ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ١٨٠ – ١٨٢.

(٦) سعد بن الربيع بن عمرو بن ابي زهير بن مالك بن أمرئ القيس الخزرجي، أحد النقباء، وكان يكتب في الجاهلية، تآخى مع عبد الرحمن بن عوف، استشهد يوم أحد –ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٢٢ – ٥٢٤.

(٧) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٨٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ١٣٦.

(٨) خزاعة: بن حارثةُ بن عمرو بن عامر بن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبةَ بن مازن بن الأزدِ، وولد: ربيعةَ، وهو لُحيُّ، وأفصى، وهما خُزاعةَ – ابن الكلبي، نسب معد، ج ١، ص ١٠٠.

(٩) ذي طوى: واد في مكة – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٣٧.

(١٠) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٨٩.

وكانت قبيلة خزاعة مسلمهم ومشركهم ناصحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تهامة[1] ولا يكتمونه أمرًا ولا يخفون عليه سرًا[2].

يظهر مما سبق أهمية المعلومة الأمنية، والتي منحت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوقت الكافي لأخذ الاستعدادات الكاملة والفرصة لمناقشة سبل التصدي للاعتداء القرشي المرتقب مع كبار قادة الجند[3]، وتزداد أهميتها حسب قرب المصادر منها، ويمكن القول بأن معلومة تحرك قريش العسكري تميزت بما يلي:

١. وردت المعلومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصدرين أحدهما من مكة والآخر من تخوم مكة.
٢. وصلت المعلومة في الوقت المناسب، فلا قيمة لها أمنيًا إذا لم تصل في الوقت المناسب.
٣. كانت المعلومتان متكاملتين، فمعلومة العباس تكلمت عن استعداد قريش داخل مكة، بينما معلومة خزاعة أكدت وجود قريش على أطراف مكة فعززتا بعضهما البعض.
٤. اتصفت المعلومتان بالتفصيل الدقيق عن العدد والعتاد في معلومة العباس، وعن مكان وجود قريش في معلومة خزاعة.

ويُرجح أن طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن كعب وابن الربيع رضي الله عنهما كتمان الخبر؛ لحماية الجبهة الداخلية من الإشاعات والتي تهدف إلى الفت في عضدها.

وقبيل غزوة الخندق أعلم وفد من خزاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج قريش من مكة إلى المدينة[4]، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم؛ جمع الناس وشاورهم، وأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنهما بحفر الخندق[5].

---

(١) تهامة: تقع غرب جبل السراة الممتد من اليمن الى جنوب الشام وحتى ساحل البحر الأحمر، وتضم بلاد الأشعريين وعك وكنانة ودونها الى ذات عرق والجحفة كل ذلك تهامة – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٢٠٥؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٢٣؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٤؛ ابن عبد ربه، العقد، ج ٣، ص ٥٦؛ ابن تيمية، الصارم، ج ٢، ص ٢١٧.

(٣) الهرفي، المخابرات، ص ٥٤.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٩؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٦.

ويبدو أن توفر المعلومة الأمنية عن تحرك قريش للهجوم على المدينة، وبصورة سريعة أعطى المجال واسعًا للمسلمين للتشاور حول سبل التصدي لهذا الاعتداء، ومكنهم من حفر الخندق والانتهاء منه قبل وصول قريش مما شكل مفاجأة صادمة لقريش وقفت أمامه عاجزة عن الفعل.

وحينما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد مكة معتمرًا، حتى إذا كان بذي الحليفة[١] بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بديل بن ورقاء[٢] عينًا له يرصد له أخبار قريش، فلما وصلوا قريبًا من عسفان[٣] أتاه عينه الخزاعي فقال: إني قد تركت قريشًا قد جمعت لك الأحابيش[٤] لقتالك وصدك عن البيت[٥].

وقد شكلت هذه المعلومة أهمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في حالة قضاء العمرة، فكان اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقريش كمصدر للتهديد والتعرف على أخبارها في جميع الأحوال، ويمكن القول: إنّ التعرف على المعلومات تهدف للمساعدة في اتخاذ القرار.

وفي ضوء ما تقدم نشير إلى أهمية الحصول على المعلومات من داخل قريش، ولقد حقق الإجراء الثاني دوره في مساعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتخاذ القرار الصحيح خلال صراعه المرير مع قريش والمبني على المعلومة الأمنية الصحيحة والموثقة من الميدان.

الإجراء الثالث: المعلومات والمفاوضات

عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستفادة من المعلومات خلال المفاوضات، كما استفاد منها خلال الغزوات مع قريش والقبائل، ولقد دعمت المعلومات مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ذي الحليفة: قرية تبعد عن المدينة ٦ – ٧ ميل، وهي ميقات أهل المدينة – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي، وكان اسلامه قبل الفتح وقيل يوم الفتح، له صحبة وسكن في مكة، ويقال أنه قتل في صفين. – ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ٤٠٨ – ٤١٠.

(٣) عسفان: قرية تبعد عن مكة ٣٦ ميلا، على طريق المدينة الجحفة – ياقوت، معجم، ج ٤، ص ١٢١.

(٤) الأحابيش: أحابيش قريش لأن قريشًا حالفت بني الحارث بني عبد مناة بني كنانة على بكر بن عبد مناة، فهم وأحلافهم حلفاء قريش – الزبيري، نسب، ج ١، ص ٩. حبشي جبل جنوب مكة ينسب اليه أحابيش قريش. – ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ٢٧٦.

(٥) ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ٣٨٧؛ البغوي، تفسير، ج ٤، ص ١٩٩؛ ابن منظور، مختصر، ج ٧، ص ٢٤٢؛ السيوطي، جامع، ج ٢١، ص ١٢؛ المتقي، كنز، ج ١٠، ص ٢٢١.

وشكلت له جسرًا للعبور، ويُلاحظ قوة الإرادة والشجاعة والتصميم نحو تحقيق الأهداف المرسومة[١]، حيث يمكن تقسيم ذلك إلى ثلاث فترات:

أولًا: فترة المفاوضات في مكة.

توجّه وفد من قريش منهم أبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان إلى أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضين عليه هدنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدم التعرض لبعضهم البعض؛ فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الأمر، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فقال بعضهم لبعض إنه والله لن يعطيكم شيئًا فقال أبو طالب: والله يا ابن اخي ما رأيتك سألتهم شططًا"[٢].

ويتضح مما تقدم كيف أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاوضات بحكمة وإتقان واستعان بما يملك من معلومات حول أثر المصلحة والهوى عند قريش بسيادة العرب والعجم وريادتهم، فحقق بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نجاحًا على قريش، وأفشل مخططهم وحافظ على دعم عمه أبي طالب.

ثانيًا: فترة المفاوضات في الحديبية.

بعد انتهاء غزوة الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الآن نغزوهم ولا يغزونا"[٣] وتأكيدًا منه على ذلك؛ كان تحركه لإنجاح صلح الحديبية والذي شكل مرحلة فارقة في تاريخ دولة الإسلام، ولقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنجاح المفاوضات مع قريش، وذلل الكثير من العقبات التي اعترضت الصلح سواء على المستوى الداخلي أو على مستوى قريش، واضعًا أمام عينيه أهمية

---

(١) عرموش، قيادة، ص ١٦٢.

(٢) ابن إسحق، سيرة، ج ٤، ص ٢٢٠؛ ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٣١؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ١٩٦؛ ابن كثير، البداية، ج ٣، ص ١٢٣؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٤٢٨، ٤٢٩.

(٣) الطيالسي، مسند، ج ١، ص ٨٢؛ ابن حنبل، مسند، ج ٦، ص ٣٩٤؛ الطبراني، المعجم، ج ٧، ص ٩٨؛ ابن الجوزي، كشف، ج ١، ص ٤٦٨؛ ابن تيمية، كتب، ج ٢٨، ص ٤٦٢.

الانطلاق بالإسلام إلى العالم الخارجي، فذكر عروة بن الزبير [١] عن المسور بن مخرمة[٢] ومروان بن الحكم[٣] حديثًا طويلًا نقتطف منه أسلوب عرض مبادرة الصلح، فلقد ذكر بديل بن ورقاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشًا نزلت "أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل[٤] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا مُعْتَمِرِينَ، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاؤوا مَادَدْتُهُم مُدَّةً وَيُخَلُّوا بيني وبين الناس، فإن أَظْهَرْ فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جَمُّوا[٥]، وإن هم أَبَوْا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[٦] وَلَيُنْفِذَنَّ الله أَمْرَهُ، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشًا، قال إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولًا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ... قال: سمعته يقول كذا وكذا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود[٧] فقال: ... ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بَلَّحُوا[٨] علي جِئْتُكُمْ بأهلي وولدي ومن أطاعني، قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها"[٩].

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام القرشي أخو عبد الله بن الزبير أمهما أسماء بنت أبى بكر الصديق من فقهاء المدينة وأفاضل التابعين وعباد قريش، كان يقرأ كل يوم ربع القرآن فيذهب فيه عامة يومه، ثم يقوم تلك الليلة به على التدبر والتفكر حتى يذهب عامة ليله به، وتوفى سنة ٩٩ هـ – ٧١٧م. – ابن حبان، مشاهير، ج ١، ص ٦٤.

(٢) المسور بن مخرمة: بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف، أبو عبد الرحمن، القرشي، ولد بعد الهجرة بسنتين، مات بمكة يوم جاء نعي يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير سنة ٦٤ هـ – ٦٨٣م. الكلاباذي، رجال، ج ٢، ص ٧٢٨.

(٣) مروان بن الحكم: بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الملك، القرشي، الأموي، ولد مروان بعد الهجرة بسنتين، ومات سنة ٦٥ هـ – ٦٨٤م وهو ابن ٦٣ سنة. الكلاباذي، رجال، ج ٢، ص ٧١٥، ٧١٦. ولقد ذكر البخاري اسم مروان بن الحكم في حديث آخر عن عمرة الحديبية. – البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٣٢.

(٤) العوذ المطافيل: الإبل معها أولادها، ويقال أطفلت فهي مطفل ومطفلة أنهم جاؤوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم، والمطفل: ذات الطفل من الإنسان والوحش معها طفلها. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ١٥٩.

(٥) جَمُّوا: جم الماء يجم جموما إذا كثر في البئر واجتمع بعد ما استقى ما فيها، وقد جم الفرس يجم جمامًا إذا ترك من الركوب أيامًا، وقال بينا هم في وجه إذ أشموا أي عدلوا. – ابن السكيت، إصلاح، ص ٢٦٥.

(٦) تنفرد سالفتي: هي صفحة العنق وهما سالفتان من جانبيه، وكني بانفرادهما عن الموت لأنهما لا تنفرد عما يليها إلا الموت. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٤٠٢.

(٧) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، وأمه سبيعة بنت عبد شمس، أحد الأكابر في قومه، أسلم بعد الطائف وقتله قومه بعد أن دعاهم إلى الإسلام. – ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ٤٠٦ – ٤٠٨.

(٨) بَلَّحُوا: بلح على فلان وبلح: إذا لم تجد عنده شيئًا. – ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٢٧.

(٩) البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٤، ٩٧٥؛ ابن المنذر، الأوسط، ج ١١، ص ٢٩٥، ٢٩٦؛. واللفظ للبخاري.

مما ورد في العرض السابق لرسول الله صلى الله عليه وسلم يُلاحظ مدى اهتمامه بالمعلومات لتحقيق مراده وأهدافه، فيمكن القول إنه استطاع أن يفرق كلمة قريش وحلفاءها من خلال المبادرة السلمية التي قدمها لهم، ولم ينطلق بعرضه السلمي من موقف ضعف، بل أتبع ذلك بموقف قوة وتحدٍ لقريش إذا أصرت على الصد عن سبيل الله تعالى ومعاداة الإسلام.

واستمرت محاولات قريش وحلفائها لثني المسلمين عن مرادهم، فانطلق رجل من كنانة فلما أشرف على المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا فلان وهو من قوم يُعظمون البدن فابعثوها، فبُعثت له، واستقبلوه يُلبون فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع، قال: لأصحابه قال: رأيت البدن قد قُلِّدَتْ[١] وأشعرت[٢] فما أرى أن يصدوا عن البيت"[٣]. فقالوا يا حليس[٤]: إنما أنت أعرابي لا علم لك فغضب وقال: يا معشر قريش والله ما حالفناكم ولا عاقدناكم على أن نَصد عن بيت الله من جاءه معظمًا له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأغادرن والأحابيش، فحاولوا استدراك الأمر فقالوا له: دعنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به [٥].

ويبدو أن معلومة تعظيم الأحابيش للهدي شكلت وسيلة مقنعة لهم لتبني موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعمل المسلمون على الاستفادة من هذه المعلومة فقدموا الهدي أمام الحليس ابن علقمة، فجعلته يغير رأيه ويعود لقريش ويهدد قريش بالوقوف ضدها إذا منعت المسلمين من الطواف بالبيت، مما تسبب بإحداث شرخ في هذه التحالفات.

---

(١) قُلِّدَتْ: التقليد تقليد البدنة وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدى، وأصل القلد الفتل، وتقلدت السيف ومقلد الرجل موضع نجاد السيف على منكبه. – ابن فارس، مقاييس، ج ٥، ص ١٩.

(٢) أشْعَرْتُ البَدَنة: إذا جعلت لها علامة، والمِشعر الحديدة التّي يُشعَر بها أي يُعلم، شعائِر الحجّ واحدتها شَعيرة وشِعارَة وهي البَدَنة تُهدى، وأشعَرْتها إذا طعنتها حتى يسيل دمها. – ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٦٠.

(٣) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٣٦، ٣٣٧؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٣٠؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٦، ٩٧٧؛ ابن المنذر، الأوسط، ج ١١، ص ٢٩٧؛ ابن حبان، صحيح، ج ١١، ص ٢٢٢؛ الملطي، التنبيه، ص ٦، ٧؛ ابن تيمية، منهاج، ج ٨، ص ٣٩٨. واللفظ للبخاري.

(٤) الحليس بن علقمه بن عمرو ابن الأوقح بن جذيمه بن عامر بن عوف وهو ذو الحله بن الحارث ابن عبد مناة بن كنانه رئيس الأحابيش يوم أحد. – ابن ماكولا، الاكمال، ج ٢، ص ٤٩٦ – ٤٩٧.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٣١٣، ٣١٤؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٢٤؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١١٩؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ١٥٩.

وحينما ذهب مكرز بن حفص[1] ليفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أشرف على المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه رجل فاسق فجعل يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاءه سهيل بن عمرو[2] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد سهل لكم من أَمركم... فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا"[3].

ويمكن القول مدى الأهمية البالغة للمعلومات أثناء المفاوضات مع قريش والتي ساعدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشتيت تحالفات قريش وتفريق كلمتهم، ودفعها للقبول بالمفاوضات، ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدف إلى عقد هدنة مع قريش للتفرغ والقضاء على قوى معادية أخرى، بالإضافة لعقد تحالفات جديدة، وتوجيه الرسائل لملوك العالم.

ثالثًا: فترة ما بعد الحديبية الرسائل إلى الملوك.

عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستفادة من الهدنة مع قريش، فأرسل كتبًا إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي غير الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[4]، وفيها "أما بعد تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإنْ تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"[5]، وقيل لرسول الله صلى الله عليه سلم إن الملوك لا يقرأون الكتاب إلا مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة نقشه محمد رسول الله[6].

---

(١) مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة، القرشي العامري، ذكره ابن حبان في الصحابة، بينما ذكره المرزباني بأنه جاهلي، وهو الذي أقبل لافتداء سهيل بن عمرو يوم بدر. – ابن حجر، الاصابة، ج ٦، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، أبو يزيد، خرج من مكة إلى حنين وهو مشرك، واسلم في الجعرانة، وتوفي في طاعون عمواس عام ١٨ هـ – ٦٣٩م. – ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٣) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٣٧؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٣٠؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٧؛ الملطي، التنبيه، ص ٧؛ السيوطي، الخصائص، ج ١، ص ٤٠٠. واللفظ للبخاري.

(٤) مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٣٩٧؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٦٨؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ٢٦٦؛ الزرعي، زاد، ج ١، ص ١٢٠؛ الصالحي، سبل، ج ١١، ص ٣٤٥.

(٥) القاسم، الأموال، ج ١، ص ٣١؛ ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ٣٤٧؛ الرافعي، التدوين، ج ٣، ص ٤١٨؛ السيوطي، جامع، ج ٢١، ص ٣٤٦؛ المتقي، كنز، ج ١٠، ص ٢٧٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٥٨؛ البخاري، الجامع، ج ١، ص ٣٦؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٦٥٧؛ البزار، مسند، ج ١٣، ص ٤٢٣؛ أبو يعلى، مسند، ج ٦، ص ٣٠؛ ابن تيمية، الجواب، ج ٢، ص ٦٣.

ويُلاحظ اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق الرسائل لهدفها فخاطب الملوك والزعماء من باب غير الطامع بملكهم، وأنه يدعوهم للتعاون وفق الاحترام المتبادل والنّدّيّة وعلى مبدأ عبادة الله وحده، واهتمامه بمعايير الكتب الرسمية فاتخذ له خاتمًا رسميًا.

فأرسل كتابًا إلى هرقل الروم وحمله دحية الكلبي[1] وعندما وصل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم؛ أُحضر أبا سفيان إلى قصره، وسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " فإن كان ما تقول حقًا فسيملك قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أَخْلُصُ إليه لَتَجَشَّمْتُ لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه، ثم دعا بكتاب رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الذي بَعَثَ بدحية إلى عظيم بصرى[2] فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[3] {قل يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ألا نَعْبُدَ إلا اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شيئا ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا من دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[4] قال أبو سُفْيَانَ فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كَثُرَ الصخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا"[5].

والظاهر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بكل الوسائل لإنجاح المهمة فكان اختياره لدحية الكلبي لجماله، وكان الروم يتصفون بالجمال والأناقة، ويبدو من نص الكتاب الموجه لهرقل أنه يشير إلى معرفة بلقب ملك الروم وحتى باستخدام مصطلح عامة الناس وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك المعلومات حول دولة الروم وملكها ومجتمعها.

---

(١) كان دحية رجلا جميلا، وروى العجلي في تاريخه عن عوانة بن الحكم قال أجمل الناس من كان جبرائيل ينزل على صورته. – ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٣٢١.

(٢) بصرى: مدينة من أعمال دمشق في الشام، وهي قصبة كورة حوران. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٤٤١.

(٣) الأريسيون: يقال ارس يأرس أرسًا إذا صار أريسًا وهو الأكار وجمعه أريسون وهي لغة شامية تعني الأكارين الجهال الذين لا يملكون معرفة وفي بعض روايات الحديث البريسين وهم الحراثون وبعضها فعليك إثم الركوسيون والركوسية دين بين النصارى والصائبين. – الحميدي، تفسير غريب، ج ١، ص ٤١٤. وقبل الأريسيين هم الفلاحون وأن العجم كلهم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث فلا تقف بين الفلاحين وبين الإسلام ولا تمنعهم أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية. – القاسم، الأموال، ج ١، ص ٣٠.

(٤) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٥) البخاري، الجامع، ج ١، ص ٧، ٨؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٣٩٤ – ١٣٩٦. واللفظ للبخاري.

وحمل حاطب بن أبي بلتعة[١] إلى المقوقس[٢] كتابًا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بداعية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم القبط"[٣]، ولقد قال له المقوقس "أنت حكيم جاء من عند حكيم[٤]".

ويبدو أن حاطب بن أبي بلتعة اتصف بالحكمة وسرعة البديهة، وامتاز بالشجاعة والبلاغة، وشكلت هذه المواصفات للرسل بالإضافة إلى ما احتوته الرسالة من معلومات عن المقوقس والقبط سببًا من أسباب نجاح المهمة وتحقيق أهدافها.

كما يظهر مما سبق دور المعلومات خلال المفاوضات سواء في مرحلة الضعف أو في مرحلة القوة وتبرز أهميتها من خلال اقناع الأطراف المحايدة بمواقف المسلمين أو تحييد بعض الأطراف المتحالفة مع قريش، ويلاحظ أيضًا دور المعلومات خلال مخاطبة الملوك، من خلال معرفة تركيبة مجتمعاتهم والمصطلحات المستخدمة والألفاظ المحببة للملوك.

وبالإمكان القول وفي نهاية التكتيك الثاني للاستراتيجية الأمنية أنها قد حققت الدور المرسوم لها من خلال الإجراءات الثلاثة واسهمت المعلومات في صنع القرار والوقوف على مخططات الأعداء مما أعطى المجال لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفرصة الكاملة بتبني المواقف الصحيحة والقوية والتي كان لها الدور الأكبر بتحقيق الأهداف.

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل بن العتيك بن سعاد بن راشدة بن جزيلة بن لخم بن عدي، حليف بني أسد ابن عبد العزى، يكنى أبا محمد، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد بدرًا، أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مصر رسولًا إلى المقوقس، مات بالمدينة سنة ٣٠ هـ ٦٥١م وصلى عليه عثمان بن عفان. – ابن ماكولا، الإكمال، ج ٤، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) المقوقس: جريج بن مينا، ومعنى المقوقس المطول للبناء، وأهدى المقوقس مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حاطب بن أبي بلتعة، وأهدى معها أختها سيرين ووهبها رسول الله لحسان بن ثابت، يقال إن هرقل عزله لما رأى ميله إلى الإسلام. – السهيلي، الروض الآنف، ج ١، ص ٤٣.

(٣) ابن بكار، المنتخب، ج ١، ص ٥٥؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٣٩٣؛ الزرعي، هداية، ج ١، ص ٣٥؛ الزيلعي، نصب، ج ٤، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٤) أبو نعيم، معرفة، ج ٢، ص٦٩٦؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ٣٩٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٣٤، ص ٢٨٠؛ ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ٥٢٩؛ ابن منظور، مختصر، ج ٤، ص ٤٦٤.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة[١] فأوصله إلى عظيم البحرين فدفعه بدوره إلى كسرى[٢]، وجاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق على الكافرين فأسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك آثام المجوس"[٣]، فلما قرأه مزقه فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقهم كل ممزق[٤].

والأرجح أن اختيار عبد الله بن حذافة لحمل الكتاب إلى كسرى لما يتصف به من صلابة في إيمانه وتعلقه بالآخرة وتحلِّيه بالحكمة وتقدير الموقف.

وهكذا تحقق فرض السيطرة الأمنية وصولاً إلى قوة شوكة دولة الإسلام على شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى النقلة النوعية إلى العالمية من خلال الرسائل للملوك، وبرز هنا دور المعلومات الأمنية في خدمة الاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم للسيطرة الأمنية على شبه الجزيرة العربية ووفق التكتيكات الثلاثة، ويتضح مما سبق التطور الحاصل في العمل الأمني من خلال تحول الفهم الأمني عند المسلمين إلى فكرٍ أمنيٍ متقدِّمٍ، وليمهد إلى أثر المعلومات الأمنية لتحقيق الاستراتيجية الأمنية من خلال توظيف المعلومات في خدمة مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء المعارك.

---

(١) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي، أبو حذافة، من السابقين الأولين، شهد بدرًا ، توفي في خلافة عثمان ودفن في مصر. – ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ٥٠ – ٥٣.

(٢) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٦١٠.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٧٧؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٣٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٨٩؛ ابن حنبل، مسند، ج ١، ٣٠٥؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٠٧٤.

المبحث الثالث

أثر المعلومات في خدمة مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في المعارك

لقد شكلت الانتصارات السابقة للاستراتيجية الأمنية والتقدم النوعي في العمل الأمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم دافعًا قويًا للمسلمين من أجل الاستمرار بمخطط فتح شبه الجزيرة العربية، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على استدعاء المعلومات، وتعزيز العمل الأمني خلال استراتيجية الصراع[١] مع القوى المعادية، وليظهر هنا أثر المعلومات في خدمة مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، أملًا في الوصول بالمسلمين لحالة الثقافة[٢] الأمنية، وعليه سنبدأ في التكتيك الثالث من الاستراتيجية الأمنية وفق الإجراءات التالية:

الإجراء الأول: المعلومات ومعارك الرسول ضد قريش

استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل الأمني، واستدعى المعلومات الأمنية لتعينه على أخذ قرارٍ بالحرب، كما تؤسس له قواعد النصر على أعدائه، فحدثت معارك مع قريش مثل:

غزوة بدر[٣]

تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه يرصدان ويجمعان المعلومات في منطقة بدر، فوقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش وعن محمد

---

(١) استراتيجية الصراع: أسباب الاهتمام باستراتيجية الصراع إلى: رغبة المسلمون بالانتصار في هذا الصراع، معرفة كيف يتصرف اطراف الصراع وصولًا إلى فهم أساليب اللعب وقياس السلوك الفعلي، السيطرة على سلوك الآخرين في هذا الصراع. – شيلينج، استراتيجية، ص ١١، ١٢.

(٢) الثقافة: هي ذو علاقة بمجموعة الفعاليات الفكرية مثل الفن والأدب والدين والفلسفة، وأساليب الاحساس والتصرف والتفكير السائدة في مجتمع معين، المعايير الاجتماعية من حيث أن الأفراد اعتنقوها خلال فترة تنشئتهم الاجتماعية. – سيلامي، المعجم، ج ٢، ص ٨٢٣.

(٣) غزوة بدر: حدثت في ١٧ رمضان ٢ هـ – ٦٢٤م، وكان المسلمون ٣١٣ نفراً، يتعاقبون ٧٠ بعيرًا وفرسين، وكانت قريش ما بين ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ نفر وخيلهم ١٠٠ فرس، واستشهد من المسلمين ١٤ رجلًا، وقتل من المشركين يومئذ ٧٠ رجلًا وممن قتل منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وأبو جهل وأبو البختري وحنظلة بن أبي سفيان وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف وأسر منهم ٧٠ رجلًا. – ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢ – ١٩.

وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: بلغني أن محمدًا خرج يوم كذا أو كذا، وهم الآن بمكان كذا أو كذا، وبلغني أنَّ قريشًا خرجوا يوم كذا أو كذا، وهم اليوم في مكان كذا أو كذا، فلما فرغ من كلامه قال فمن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نحن من ماء"(١).

ويلاحظ مما سبق مدى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع المعلومات الأمنية عن قوات قريش وتعداد أفرادها ونوعية عتادها وعن مكان وجود هذه القوات وفق ما يلي:

١. لم يكتفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أرسله من عيون حول منطقة آبار بدر بل تحرك بنفسه وأبي بكر ليتتبعا أخبار قوات قريش وتلمس المعلومات عنها.
٢. تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلومات الأمنية في ميدان الفعل الحربي المتوقع، فتحرك بنفسه وقام بالاستفسار ميدانيًا وخرج بحصيلة مهمة من المعلومات الأمنية.
٣. استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحيطة والحذر أثناء تحركاته في الميدان، فكان سؤاله عن الطرفين في محاولة ناجحة لإبعاد أية شبهة أو إشارة تحدد شخصيته أو ولائه.
٤. استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم التورية عند لحظة تعريف نفسه للشيخ وفق ما اتفقا عليه، فعرف نفسه بصورة غير مباشرة، وغادر مسرعًا قبل انتباه الشيخ، فتركه حائرًا.

وقد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وسعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنهما في نفر من الصحابة بجمع المعلومات من منطقة ماء بدر، فاعتقلوا مجموعة من سقاة قريش، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش، فأرشداه إلى موقع تعسكر قريش، واستفسر منهم عن عدد قريش، فأفادوا بكثرتهم وعدم معرفتهم بعددهم، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم يذبحون كل يوم؟ فقالوا يذبحون يومًا تسع نوق، ويومًا آخر عشر نوق، فأخبرهم إن القوم بين التسعمائة والألف، ثم سألهم عمن فيهم من قادة قريش فأخبروه: حكيم بن حزام(٢) والنضر بن الحارث(٣) وأبو

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٦٢؛ ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٧٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢٧؛ أبو الفرج، الأغاني، ج ٤، ص ١٨٣، ١٨٤؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١٨.

(٢) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، ابن عم الزبير بن العوام، وابن أخ خديجة بنت خويلد بن أسد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الفيل ١٣ سنة، وشهد مع أبنه الفجار وقتل أبوه حزام في الفجار الآخر، وكان يكنى أبا خالد وأسلم يوم فتح مكة وأسلم أولاده يومئذ وهم هشام بن حكيم وخالد بن حكيم وعبد الله بن حكيم، وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه ومات بالمدينة سنة ٥٤ هـ – ٦٧٤م. – ابت قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٣١١.

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، قتل كافرا يوم بدر صبرا. ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٢٢.

جهل بن هشام وأمية بن خلف وسهيل ابن عمرو وعمرو ابن عبد ود[١] وغيرهم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[٢]"[٣].

ويبدو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَرَصَ على الحصول على المعلومات عن قوات قريش، فأرسل أكثر من مجموعة أمنية، لتتبع الحدث وملاحقة المعلومات، واستخدم وسائل عديدة ومتنوعة للحصول على المعلومات التي تساعده في اتخاذ القرار، فقامت مجموعة أمنية باعتقال مجموعة من سقاة قريش والتحقيق معهم للتعرف على أخبار قوات قريش ومن ذلك:

١. علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان وجود قوات قريش وتمركزها.
٢. استنبط رسول الله صلى الله عليه وسلم العدد الأقرب لقوات قريش.
٣. معرفة أسماء قيادات قريش التي خرجت من مكة والمشاركة مع القوات.

ومن جهة أخرى فإنَّ قريشًا عملت على معرفة أخبار المسلمين، فبعثت عميرَ بن وهب[٤] للتعرف على أعدادهم، فدار بفرسه حولهم وعاد فقال: "لا مدد لهم ولا كمين القوم ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلًا، ومعهم سبعون بعيرًا وفرسان، يا معشر قريش: البلايا[٥] تحمل المنايا، نواضح[٦] يثرب تحمل الموت الناقع[٧]، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، أما ترونهم خرسًا لا يتكلمون يتلمظون[٨] تلمظ

---

(١) عمرو بن عبد ود، الفارس المشهور، قتل كافرًا يوم الخندق. ابن حزم، جمهرة، ج ١، ص ١٦٨.

(٢) أفلاذ: والفلذة: القطعة من الكبد واللحم والمال والذهب والفضة – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٥٠٢.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٧٣– ٢٧٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ١٦٠، ١٦١؛ أبو الفرج، الأغاني، ج ٤، ص ١٨٤؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٤٢، ٤٣؛ البغوي، تفسير، ج ٢، ص ٢٣٧،

(٤) عمير بن وهب: بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، أبو أمية، وأمه أم سخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم، وكان لعمير من الولد وهب بن عمير وكان سيد بني جمح، وكان عمير بن وهب قد شهد بدرا مع المشركين كان ابنه وهب بن عمير فيمن أسر يوم بدر، اتفق مع صفوان بن امية على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم بعد اكتشاف أمره وحسن إسلامه ثم هاجر إلى المدينة فشهد أحدًا وما بعد ذلك من المشاهد. – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٥) البلايا: البلية الناقة أو الدابة التي كانت تعقل في الجاهلية، تشد عند قبر صاحبها لا تعلف ولا تسقى حتى تموت، كانوا يقولون أن صاحبها يحشر عليها – ابن منظور، لسان، ج ١٤، ص ٨٦.

(٦) النواضح: الإبل التي يستقى عليها، واحدها ناضح البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء والأنثى بالهاء ناضحة وسانية. – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٦١٩.

(٧) ناقع: أي بالغ قاتل، وقد نقعه أي قتله، ويقال: سم منقوع ونقيع وناقع – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٣٦٠.

(٨) لمظ: اللمظ ما تلمظ بلسانك على أثر الأكل وما بقي في الفم، ما ذاق لَماظًا: أي شيئًا، والتمظه: طرحه في فمه سريعًا، ورجل تلماظ لا يثبت على مودة واحدة. – الصاحب، المحيط، ج ١٠، ص ٣٠.

الأفاعي، والله ما أرى أن تقتل منهم رجلًا حتى يقتل منا رجل، فإذا أصابوا منكم عددهم فما خير في العيش بعد ذلك فروا رأيكم؟"[١].

كما أرسلت قريش رجلًا آخر، فكرر الكلام نفسه فحدث خلاف بين أبي جهل وسادات قريش حول أهمية خوض المعركة [٢].

ويبدو أن محاولة قريش في التعرف على أخبار المسلمين وعلى أعداد قواتهم من خلال مخمن مختص بتقدير الأعداد؛ انعكست معرفة قريش بالمعلومات عن قوات المسلمين بصورة سلبية عليهم من خلال التهويل من قوة المقاتل المسلم ووصفه بالموت القاتل، بالإضافة إلى إثارة الخلافات بين قادة قوات قريش حول جدوى خوض المعركة، والتأثير على الروح المعنوية لقوات قريش.

وإثر انتهاء المعركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ينظر ما فعل أبو جهل فانطلق بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء[٣] حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبا جهل، قال: وَهَلْ[٤] فوق رَجُلٍ قتله قَوْمُهُ أو قال قتلتموه"[٥].

ويمكن إبراز اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلومات، ومعرفة نتائج المعركة الفعلية والتأكد من مصير بعض قادة قريش وعلى وجه الخصوص أبو جهل والذي طالما حمل لواء الحرب والمعاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الرمق الأخير، وذلك ليس للشماتة بل للتعرف على القيادة الجديدة لقريش من أجل تحديد الاستراتيجية الجديدة وكيفية التعامل معها، بالإضافة إلى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتأهيل المسلمين على أهمية المعلومات وضرورة الذهاب إلى الميدان للوقوف على حقيقة الأخبار وتوثيقها.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٨١؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٦.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٧٣.

(٣) معاذ ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم، شهدا بدرًا، قتل معاذ بن الحارث بالحرة سنة ثلاث وستين، وهما ابنا عفراء وعفراء أمهما، وقد قيل إن معاذ بن الحارث بن عفراء قتل مع على بن أبى طالب رضي الله عنه. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٤) وَهَلْ: وهل وهلًا، ضعف وفزع وجبن، وهو وهل، ووهله أفزعه، الوهل بالتحريك الفزع، ووهلت بالكسر إذا فزعت منه. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٧٣٧.

(٥) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ١٢٩؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٥٨؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٢٤؛ أبو يعلى، مسند، ج ٧، ص ١١٥؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٢٨٨؛ العيني، عمدة، ج ١٧، ص ٨٦. واللفظ للبخاري.

غزوة أحد[١]

كان قد وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب من عمه العباس رضي الله عنه حول تحرك قوات قريش نحو المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسًا ومؤنسًا ابني فضالة[٢] رضي الله عنهما ليرصدا قوات قريش، فعادا ليخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قريشًا تركت إبلهم وخيلهم يسرحون في الزرع الذي بالعريض[٣] حتى تركوه ليس به خضراء، ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم الحباب بن المنذر [٤]رضي الله عنه فاخترق جموعهم، وقدر أعدادهم، وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك[٥].

ويظهر مما تقدم حجم اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتابعة المعلومات حول تحركات قوات قريش صوب المدينة، فيمكن ملاحظة ذلك من خلال ملاحقة عيون المسلمين لقوات قريش ورصد تحركاتها والتعرف على تموضع قواتها وأماكن تعسكرها، ويمكن القول إن اختراق صفوف قريش والتعرف على أعدادهم شكل تطورًا نوعيًا للعمل الأمني وساهم في نتائج المعركة.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب[٦]رضي الله عنه بعيد معركة أحد أن ينظر ماذا تفعل قريش وماذا تريد، فإن ركبوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة، فو الله لئن أرادوا المدينة لأخرجن إليهم ثم لأقاتلنهم، فرصد علي امتطاءهم الإبل

---

(١) غزوة أحد: شوال ٣ هـ – ٦٢٥م، كان المسلمون ١٠٠٠ رجل، وانخذل عبد الله بن أُبي بثلث الناس، وكانت قريش ٣٠٠٠ رجلا، فأصيب المسلمون وانهزم منهم من انهزم، استشهد من المهاجرين يوم أحد أربعة نفر حمزة بن عبد المطلب وعبد الله ابن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان بن الشريد واستشهد من الأنصار واحد وستون رجلًا، وقتل من المشركين يوم أحد ١١ نفراً. – ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ج ١، ص ١٥٨ – ١٦١.

(٢) أنس ومؤنس ابني فضالة بن عدي بن حرام بن الهيثم بن ظفر، وأمهم سودة بنت سويد بن حرام بن الهيثم بن ظفر. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٤٤.

(٣) العريض: وهو واد بالمدينة له ذكر في المغازي. – ياقوت، معجم، ج ٤، ص ١١٤.

(٤) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، أبو عمرو، وأمه الشموس بنت حق بن أمة بن حرام، وشهد الحباب بدرًا، استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم بدر فقام الحباب بن المنذر فقال أرى أن نعور المياه إلا ماء واحدا نلقاهم عليه، وكان لواء الخزرج يوم بدر مع الحباب، وشهد أحدًا والمشاهد كلها، وتوفي الحباب بن المنذر في خلافة عمر بن الخطاب وليس له عقب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٦٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣٧؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٦١.

(٦) قال ابن إسحاق: فبعث عليا – وقال عروة. ومحمد بن عمر، وابن عائذ: سعد بن أبي وقاص – الصالحي، سبل، ج ٤، ص ٢٢١.

وتوجههم إلى مكة[1]، وقيل إن قريشًا لما همَّت بالعودة إلى المدينة للقضاء على المسلمين، فرفض صفوان بن أمية ذلك مخافة وجود قوات أخرى للمسلمين في المدينة[2].

ويمكن الإشارة إلى مدى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعرفة ماذا تخطط قريش له بعيد غزوة أحد، وكانت القراءة الأمنية والتحليل المنطقي وفق ما يلي:

١. بالرغم من مرارة الهزيمة في أحد، فقد سما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على الجراح وتحملوا الآلام فكانت المتابعة الأمنية لقريش لجمع المعلومات عنها والتعرف على مبتغاهم بعيد المعركة.
٢. جاءت هذه الخطوة الأمنية المتقدمة للتعرف على مقصد قريش لمنعها من الهجوم على المدينة وجعل المعركة خارجها، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحًا دقيقًا بما يريد من رجل الأمن المكلف برصد قريش.

غزوة الأحزاب[3]

ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ردد ثلاث مرات: من يذهب ويعلمنا بخبر القوم، فأجاب الزبير بن العوام في كل مرة أنا، ثم قال: "إن لكل نبي حواريًا[4] وإن حواري الزبير"[5]، وأُضيف في كل مرة ذهب الزبير على فرسه وأَعلمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم[6].

---

(١) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٥١٣؛ ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٢٣٢؛ أبو الفرج، الأغاني، ج ١٥، ص ١٩٤؛ الثعلبي، تفسير، ج ٣، ص ١٤٢؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٨١؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٧٣؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٨٧؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ١٠٢.

(٣) غزوة الأحزاب: وهي غزوة الخندق شوال ٥ هـ– ٦٢٧م، وسببها أن بني النضير لما أجلوا إلى خيبر حرضوا قريشاً على الحرب، وعاهدوهم، فاجتمعوا في أربعة آلاف، فيهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير، عليهم أبو سفيان بن حرب، واستعْدُوا العرب، فجاءهم الأحزاب من القبائل حتى استكملوا عشرة آلاف ، وحفر المسلمون الخندق، وفرغوا من الخندق بعد ستة أيام، وكان المسلمون ٣٠٠٠ رجلًا، وقتل من المسلمين خمسة، ثم هزم الله الأحزاب صبيحة اختلافهم بعد حصار المدينة خمسة عشر يوما. – الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٤١ – ٤٣.

(٤) حواري من أمتي أي خاصتي من أصحابي وناصري. – ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٥) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٣٦٥؛ ابن حميد، المنتخب، ج ١، ص ٣٢٨؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٠٩، ابن ماجة، سنن، ج ١، ص ٤٥؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٦٤٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ١٨، ص ٣٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٠٨. واللفظ للبخاري.

(٦) النسائي، سنن، ج ٥، ص ٢٦٤.

ولقد قال عبد الله بن الزبير[١]: كنت يوم الأحزاب أنا وعمر بن أبي سلمة[٢] في النساء، فرأيت الزبير على فرسه يذهب إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا[٣]، وأعلم الزبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأن بني قريظة يُصلحون حصونهم وطرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم[٤].

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة[٥]، وأسيد بن حضير، فقال: "إنه قد بلغني أن بني قريظة قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم، فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني حقًا؛ فإن كان باطلًا فأظهروا القول، وإن كان حقًا فتكلموا بكلامٍ تلحنون به أعرفه؛ لا تفتوا أعضاد المسلمين... " فلما انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال سعد بن عبادة: "عضل والقارة"[٦].

وصلت معلومة عن نقض بني قريظة العهد، والظاهر أن خطورة هذه المعلومة تكمن زماناً خلال فترة حصار المشركين للمدينة، ومكانًا لوجودهم لحظة الحصار في قلب المدينة وخلف ظهور قوات المسلمين، فشكل هذا النقض تهديدًا لضعاف المسلمين من النساء والأولاد، بالإضافة إلى تخوف المسلمين من غدر وخيانة يهود بني قريظة واستهداف قوات المسلمين من الخلف.

ويفسر ما سبق الاهتمام الفائق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأكد من معلومة نقض بني قريظة العهد، وصحة هذا الخبر لما يترتب على ذلك من كشف ظهور قوات المسلمين، ويفرض هذا التغيير المفاجئ تغيرًا بالخطط، وإعادة تموضع قوات المسلمين لمواجهة هذا التهديد.

كما أن طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبير ثم من سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهم الذهاب إلى بني قريظة؛ يشير إلى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالتأكد من

---

(١) عبدالله بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، ولد عام الهجرة، أحد العبادلة، وأحد الشجعان من الصحابة، بويع للخلافة سنة ٦٤ هـ، وصفه ابن عباس عفيف الاسلام، قارئ القرآن، شهد اليرموك وفتح أفريقيا، وشهد الدار والجمل، وقتل في الكعبة سنة ٧٣ هـ – ٦٩٢م. – ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٧٩ – ٨٢.

(٢) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد وهو ابن أم المؤمنين ام سلمة، ولد في الحبشة سنة ٢ هـ، تولى البحرين زمن علي وشهد معه الجمل، مات في المدينة سنة ٨٣ هـ – ٧٠٢م. – ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٤٨٧.

(٣) ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ١٦٦؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٣٦٢، النسائي، سنن، ج ٥، ص ٦٠.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٩١.

(٥) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، من بني ساعدة الخزرجي، أحد النقباء الاثني عشر، لم يشهد بدرًا، مات في حوران في الشام في خلافة عمر سنة ١٥ هـ – ٦٣٦م. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٦١٣، ٦١٧.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٩١، ٣٩٢.

المعلومة وتوثيقها أكثر من مرة، ويبرز استعداد الزبير وجهوزيته الدائمة لتنفيذ المهمات الأمنية كرجل المهمات الخاصة، فاستحق بجدارة أن يكون من خاصته صلى الله عليه وسلم.

ويمكن ملاحظة مدى محافظة رسول الله صلى الله عليه وسلم على معنويات قوات المسلمين، وذلك من خلال تكليفه لبعض الصحابة للتأكد من الخبر بصورة سرية، وكانت تعليماته لهم باستخدام الشفرة وهي إشارة معينة متفق عليها لإبلاغه إذا كان الأمر حقًا، مما يؤكد على اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلابة الجبهة الداخلية وتماسكها وتحصينها من أية مؤثرات خارجية.

ولقد تحدث حذيفة بن اليمان[١] رضي الله عنه عن طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين استطلاع أخبار قريش، فقال: " لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقَرٌ[٢]، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يأتني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: قُم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي، قال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم[٣] عليَّ، فلما ولَّيت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يَصلِي ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تذعرهم عليَّ، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت، قال: قم يا نومان"[٤].

ويبدو أنَّ الظروف المخيفة والمحيطة بالمسلمين أدت لعدم استجابة أحدٍ من المسلمين لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم برصد قوات الأحزاب ومعرفة المعلومات عنهم وأخبارهم؛ مما تتطلب تكليف حذيفة رضي الله عنه بتنفيذ هذه المهمة الأمنية، وتوفير هذه المعلومات الخطيرة.

---

(١) حذيفة بن اليمان واليمان يقال له حسيل بن جابر وقال عمرو بن علي حذيفة بن الحسيل بن اليمان أبو عبد الله العبسي الكوفي، قال البخاري مات بالمدائن بعد عثمان بن عفان بأربعين يومًا في أول سنة ٣٦هـ – ٦٥٦م. – الكلاباذي، رجال، ج ١، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٢) قر: برد، ويم قار أي بارد، وليلة قارة وقرة بالفتح أي باردة. – الرازي، مختار، ص ٢٢١.

(٣) تذعرهم: لا تفزعهم ولا تعلمهم بنفسك وامش في خفية لئلا ينفروا منك. – ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٤) مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤١٤؛ البزار، مسند، ج ٧، ص ٣١٧، ٣١٨. واللفظ لمسلم.

ويتضح مما تقدم مدى أهمية تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم الواضحة لحذيفة رضي الله عنه باختراق صفوف قوات الأحزاب ورصد ومتابعة أخبارهم مع التشديد بعدم فعل أي سلوك يؤثر بصورة سلبية على المهمة، أو حتى إثارة ردود فعل غاضبة من قبل قوات الأحزاب.

فتح مكة(١)

جاء عمرو بن سالم(٢) وآخرون من خزاعة وأعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقض قريش للعهد فطلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن "راجعوا وتفرقوا في الأودية"(٣)، وكما لقي أبو سفيان بديل بن ورقاء، فسأله عن مكان قدومه، فأجابه بديل عن جولته في خزاعة في هذا الساحل، فأتى أبو سفيان إلى مكان ناقة بديل ففت بعرها فرأى فيها نوى يثرب، فتأكد أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل أبو سفيان حتى قدم المدينة يريد التأكيد على العهد وزيادة مدته، فاستوضح منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حول مدى التزامهم بالعهد، فأكد أبو سفيان ذلك، وحاول مع كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم الوساطة والتدخل وتمديد الهدنة فلم يجد منهم أي تجاوب(٤).

ويمكن أن يستنتج من هذه الحادثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبدى اهتمامًا كبيرًا بقضية خرق الهدنة من قبل قريش، وعمل على الإعداد بسرية عالية على معاقبة قريش على فعلتها، وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلومات عن أبي سفيان وعمل على عدم إعطائه وعدًا ولا حتى كلمة ترضيه، والتزم الصحابة أيضًا بعدم الرد على أبي سفيان بأية معلومة تساعد أبو سفيان على معرفة مقصد رسول الله صلى الله عليه، فكان أبو سفيان في حيرة من أمره لا يدري ماذا يفعل والكل يرده ويصده.

---

(١) فتح مكة: في رمضان ٨ هـ – ٦٢٩م، ودخل مكة دون قتال، وأسلمت قريشا طوعًا وكرهًا ثم دخل البيت فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فقال ما تظنون إني فاعل بكم، قالوا: خيرًا أخ كريم وابن عم كريم قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء. – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٨ – ٦٠.

(٢) عمرو بن سالم بن حصين بن سالم بن كلثوم الخزاعي من مليح بن عمرو بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن يحيى بن خزاعة، ركب عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة يخبره الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم، وكان أحد من يحمل ألوية خزاعة يوم فتح مكة. – ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٥٢١، ٥٢٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٤، ص ١٢، ١٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٥، ٢٣٦؛ ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٢ – ١٤.

وعزم رسول الله صلى الله عليه سلم فتح مكة وقال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها"[١]، وذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف على الأنقاب[٢] قيمًا بهم فيقول: "لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه"[٣]، ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران[٤] وقد عَجَزَت قريش من معرفة نواياه صلى الله عليه وسلم، ولا يدرون ما هو فاعل[٥].

ويتضح مما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى للسرية، وقطع عن قريش المعلومات ورصد الطرق ولاحق العيون[٦]، وعزل المدينة عن محيطها الداخلي والخارجي، ليُسقِطَ قريشًا ويفرض عليها الاستسلام دون مقاومة حقنًا للدماء[٧] وقطفًا لثمار العمل الأمني والوصول إلى اللحظة التاريخية بتحقيق النصر الكاسح على قريش ومن عاونها تمهيدًا لنهاية المرحلة بامتداد الفتح ليشمل كامل شبه الجزيرة العربية.

الإجراء الثاني: المعلومات ومعارك الرسول ضد اليهود

ناصبت اليهود العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيًا وحسدًا، فذكرت أم المؤمنين صفية بنت حُيي[٨] أنها سمعت عمها وهو يقول لأبيها: أهو هو؟ قال: نعم والله، وقال: ماذا ستعمل قال حيي: عداوته والله ما بقيت[٩]. ففي غزوة بني قريظة[١٠] بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خوات

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٥؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ٢، ص٤٠.

(٢) النقب: الطريق، وقيل: الطريق الضيق في الجبل، والجمع أنقاب. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٦٧.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٤) مر الظهران: موضع على مرحلة من مكة والظهران وادي به عيون كثيرة ونخل وجميز، وذكر بين مر الظهران ومكة خمسة أميال. – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ١٠٤.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٨؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥٦؛ الطبراني، المعجم، ج ٨، ص ١٠.

(٦) بودلي، الرسول، ج ٣٤٨، ٣٤٩.

(٧) عرموش، قيادة، ص ١٢٧.

(٨) صفية بنت حيي بن أخطب، أم المؤمنين، من بني النضير، وهي من ذرية هارون بن عمران أخي موسي عليهما السلام، ماتت سنة ٥٢ هـ. – ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢١٠ – ٢١٢.

(٩) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٤١ – ١٤٧؛ البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٥٣٣؛ الزرعي، هداية، ج ١، ص ١٩؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٢٩٨؛ السيوطي، الخصائص، ج ١، ص ٣١٥.

(١٠) غزوة بنى قريظة: ذي القعدة ٥ هـ– ٦٢٧م، حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة ٢٥ ليلة، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم، بأن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت فيهم بحكم الله. – ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٢٧٤ – ٢٧٨.

بن جبير[١] رضي الله عنه إلى بني قريظة على فرس[٢] ليرصد ثغرة أو نقطة ضعف في حصونهم، فكمن ورصد الحصون وأخذه النوم، فاستيقظ وهو محمول من قبل رجل طليعة من يهود فسحب معول من على وسط اليهودي وطعنه فقتله وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

ويتضح مما تقدم اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالمعلومات الأمنية ومعرفة نقاط الضعف لحصون بني قريظة وسعيه الدؤوب للبحث عن الثغرات في جدرانها، فأرسل العيون لجمع المعلومات ورصد تحركات القوم، ويبرز هنا سرعة البديهة عند رجل الأمن وحسن التصرف، فبعد مأزق خطفه؛ استطاع التخلص من هذا المأزق الخطير، والذي سيترتب عليه خسارة للمعلومات الأمنية التي كان يعرفها خوات، وإرباك للخطة الموضوعة، وقد يؤثر على نتيجة المعركة وأقلها تأخر ساعة النصر.

وأما في غزوة خيبر[٤] فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر[٥] على رأس مجموعة استطلاع، فاعتقل عينًا لليهود من أشجع، وبعد التحقيق معه أفاد أن كنانة بن الربيع[٦] وآخرين ساروا في حلفائهم من غطفان، فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنةً، فجاءوا بالخيل والبعير والسلاح، ودخلوا معهم في حصونهم، وفيها عشرة آلاف مقاتل، وهذه الحصون لا تقتحم، فيوجد بها سلاح وطعام كثير وماء دائم، لو حوصروا لسنين لكفاهم، ما أرى لأحدٍ بهم طاقة، وبعد ضربه أخذ الأمان لنفسه، وقال: إنهم مرعوبون منكم خائفون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود، وإن يهود

---

(١) خوات بن جبير: بن النعمان بن أمية بن البرك، وأمه من بني عبد الله بن غطفان، وكان خوات يكنى أبا صالح وقيل أبوعبد الله، أسلم فحسن إسلامه، وخرج خوات إلى بدر وأصيب في الطريق فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجره، وشهد خوات أحدًا والخندق والمشاهد كلها ومات خوات بن جبير بالمدينة في سنة ٤٠ هـ – ٦٦٠م وهو ابن ٧٤ سنة. ابن سعد الطبقات، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٢) ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ٣٧٩؛ الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٤٦٦؛ السيوطي، جامع، ج ١٩، ص ٤٢٩؛ المتقي، كنز، ج ١٠، ص ٢٠٨.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٩٤.

(٤) غزوة خيبر: خرج المسلمون في المحرم ٧ هـ – ٦٢٨م وافتتحوا حصونهم في صفر حصنًا حصنًا، وحاصروهم بضعا وعشرين ليلة، خرج مرحب اليهودي من حصنهم فخرج إليه محمد بن مسلمة فقتله، سألوا رسول الله أن يسيرهم ويحقن دماءهم وأن يعاملهم في الأموال على النصف ففعل. – ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٨٢، ٨٣.

(٥) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل، يكنى أبا بشر وقيل أبو الربيع، وأمه فاطمة بنت بشر بن عدي، وأسلم عباد بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وشهد يوم اليمامة وقتل يومئذ شهيدًا سنة ١٢ هـ – ٦٣٣م وهو يومئذ بن ٤٥ سنة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٤٠.

(٦) كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير، كان زوج صفية بنت حيي بن أخطب، قتل يوم خيبر. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ١٢٠.

يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة إلى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونه بقلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم وبالإمكان هزيمتكم، فقال لي كنانة: اذهب واعترضهم وخذل عنا وقدّر أعدادهم وهول أعدادنا ثم عد لنا، فأتى به عباد للرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسكه معك يا عباد فأوثق رباطه، وعَرَضَ عليه الإسلام حتى أسلم(١).

ويُلاحظ مما ورد مدى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل الأمني وسعيه من أجل الحصول على المعلومات الأمنية الدقيقة، والتي تعينه على أخذ القرار الصحيح في الوقت المناسب، وتساعده في حسم المعركة بأقل التكاليف وأقصر وقت، تأكيدًا منه على روح رسالة الإسلام في عدم إراقة الدماء، وأنها تهدف إلى هداية الناس جميعًا.

ويتضح من خلال ذلك حجم تطور الفكر الأمني عند المسلمين والذي تحول إلى ثقافة أمنية راسخة في تفكير المسلمين وسلوكهم، فكانت سرعة البديهة عند بشر وسعة أفقه ورفضه لاعترافات عين اليهود، فمارس التحقيق وأعطى الأمان ليصل إلى المعلومة الصحيحة، فكُللت جهوده الأمنية بمعلومات ساعدت المسلمين على حسم المعركة.

وقد وصلت معلومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم تفيد بوجود تجمعًا لغطفان يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فبعث إليهم عليًا رضي الله عنه في مائة رجلٍ، فسار الليل وكمن النهار، فأصاب عينًا وتم التحقيق معه فاعترف أنه عينٌ لهم، بعثوه إلى خيبر، يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم، فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمع منهم مائتا رجل، قالوا: فسر بنا حتى تدلنا. قال: على أن تؤمنوني قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم أمناك، وإلا فلا أمان لك، فخرج بهم دليلًا إلى سهوله فإذا نعمًا كثيرة وشاء، فأغاروا عليه فهرب الرعاء إلى جمعهم فحذروهم، فتفرقوا وهربوا، وبلغوا معسكرهم فلم يروا أحدًا، فأطلقوا سراح العين، وساقوا النعم(٢).

ويبدو أن عيون المسلمين ورجال رَصْدِهم كانوا يزودونه صلى الله عليه وسلم بكافة المعلومات الأمنية والعسكرية، فكان ذلك بمثابة غرفة العمليات حيث كانت تصدر الأوامر للسرايا والعيون للتحرك ومتابعة الأعداء وملاحقتهم، ويمكن القول إن منطقة خيبر تحولت إلى منطقة عسكرية مغلقة، وأما مناطق التماس مع خيبر فكانت منطقة عمل أمني وعسكري تمت مُطاردة القبائل ومُلاحقة عيونهم.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ١١٨، ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٩.

والظاهر أن قادة السرايا الاستطلاعية ورجال الأمن بالإضافة إلى تمتعهم بسرعة البديهة، وسعة الأفق كانوا يتميزون بالاجتهاد، وأخذ القرارات الميدانية، والتي تساعدهم على تحقيق أهدافهم، فتابعوا العيون ورصدوهم، واعتقلوهم وحققوا معهم، وبناء على الاعترافات أخذوا القرار بملاحقة التجمعات المعادية وتشتيتها، في خطوة تهدف إلى قطع أي أمل يزيد من تشبث اليهود بمواقفهم.

وحدث كعب بن مالك: "إن رجلاً من اليهود من أهل النطاة نادانا بعد ليلٍ ونحن بالرجيع(١): أنا آمنٌ وأبلغكم؟ قلنا: نعم، قال: فابتدرناه فكنت أول من سبق إليه فقلت: من أنت؟ فقال: رجلٌ من اليهود، فأدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليهودي: يا أبا القاسم: تؤمني وأهلي على أن أدلك على عورة من عورات اليهود؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فدله على عورة اليهود، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تلك الساعة فحضهم على الجهاد، وخبرهم أن اليهود قد أسلمها حلفاؤها وهربوا، وأنها قد تجادلت واختلفوا بينهم، قال كعب: فغدونا عليهم فظفرنا الله بهم، فلم يكن في النطاة(٢) شيءٌ غير الذرية"(٣).

يُستنتج مما تقدم الأهمية الكبرى للانتشار الأمني في منطقة العمليات ما بين غطفان وخيبر فلقد شجع وجود المسلمين على الأرض أحد رجالات اليهود لتقديم معلومات أمنية مقابل إعطائه الأمان وقد ساهمت هذه المعلومات في فتح حصن النطاة، ولقد ترتب على ذلك انتصار المسلمين في خيبر فتوسعت سيطرة دولة الإسلام وهيمنتها إلى الشمال، مما أكسبها قوة التأثير على حركة القوافل التجارية إلى الشام(٤)، إيذانًا بنهاية الاستراتيجية الأمنية المرسومة وعبر مراحلها المختلفة للسيطرة الأمنية والعسكرية على شبه الجزيرة العربية، وتمهيدًا لبدء مرحلة صراع جديدة مع قوى أخرى خارجية مثل الروم.

الاجراء الثالث: المعلومات ومعارك الرسول ضد الروم

عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسراع بحسم الصراع مع قريش والقبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، وجاء هذا الاهتمام من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفرغ لنشر

---

(١) الرجيع: واد بين خيبر وغطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر. – البكري، معجم، ج ٢، ص ٥٢٣.
(٢) النطاة: حصن بخبير، وقيل عين بها تسقي بعض نخيل قراها وهي وبئة. – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ٢٩١.
(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ١٢٢؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص٧٢٣.
(٤) الملاح، الوسيط، ص ٢٦٧.

الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، واستند لنشر دعوته في الخارج على الرسائل التي أرسلها للملوك، بالإضافة إلى الإهتمام بتأديب القبائل العربية بتخوم شمال شبه الجزيرة العربية والذي شكل هاجسًا مخيفًا أرعب حكام الشام من الروم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك هذه الحقيقة جيدًا منذ بداية الاحتكاك مع حكام الشام وحلفائهم(١)، فحدث صراعٌ خفيٌ ومعلن بين الطرفين، وشكلت حرب المعلومات ودورها في حسم المعركة تنافسًا بينهما كما يلي:

غزوة مؤتة(٢)

جاءت غزوة مؤتة(٣) في السنة الثامنة للهجرة ردًا على قيام شرحبيل بن عمرو(٤) بقتل الحارث بن عمير(٥) رضي الله عنه، فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشًا من المسلمين وقال: أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبدالله بن رواحة(٦) رضي الله عنهم، فإن قتل فَلْيَخْتَرْ المسلمون من بينهم رجلًا يُؤمروه عليهم، فوصلت معلومات للعدو عن تحركات المسلمين فجمع شرحبيل بن عمرو جموعًا كثيرة من المقاتلين، وأرسل الطلائع أمامه، ونزل المسلمون معان(٧) وبلغهم أن ملك الروم قد حشد حشودًا أخرى، فتشاوروا واتفقوا على مواجهة الروم، وقُتل الأمراء يومئذ، فاتفق المسلمون على خالد بن الوليد(٨) رضي الله عنه فأخذ اللواء، وأعاد ترتيب الجيش وغير

---

(١) الملاح، الوسيط، ص ٢٦٨.

(٢) غزوة مؤتة: جمادى الآخرة ٨ هـ – ٦٢٩م، بعث رسول الله الأمراء الثلاثة إلى الشام وكان عدة المسلمين يوم مؤتة ٣٠٠٠ رجلا، فحشد هرقل مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب، وحدثت المعركة واستشهد الأمراء الثلاثة، فأخذ الراية خالد بن الوليد. – ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) مؤتة: قرية من قرى البلقاء على حدود الشام وبها كانت تطبع السيوف – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ٢٢٠.

(٤) شرحبيل بن عمرو الغساني، من أمراء قيصر على الشام. – العيني، عمدة، ج ١٧، ص ٢٦٧.

(٥) الحارث بن عمير الأزدي اللِهْبي، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصري بكتابه، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو فأوثقه رباطًا وضرب عنقه صبرًا. – ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٦٨٢.

(٦) عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بن حارثة، أمه كبشة بنت واقد بن عمرو، شهد بدرًا واحدًا وهو نقيب استشهد يوم مؤتة في حياة رسول الله صلى الله عليه سنة ٨ هـ – ٦٢٩م. – ابن خياط، الطبقات، ج ١، ص ٩٣.

(٧) معان: مدينة طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي بلقاء. – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ١٥٣.

(٨) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، يكنى أبا سليمان، أسلم ٨ هـ، من المهاجرين، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله، مات في عهد عمر بحمص سنة ٢١ هـ – ٦٤٢م. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ١٠١.

تموضعهم موهمًا الروم بوصول مَدَدٍ له، واستطاع الانسحاب بالجيش من أرض المعركة وبأقل الخسائر [١].

وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرض وجود دولة الإسلام على القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام مما سيؤثر على التحالفات في المنطقة وإحداث توازنات جديدة[٢] على قاعدة فرض السيطرة الأمنية وصولًا لقوة شوكة دولة الإسلام.

يُلاحظ حالة صراع الأدمغة بين دولة الإسلام والقوى المعادية لها، فنلمس ذلك من خلال معرفة الروم لتحركات جيش دولة الإسلام والتي وصلتهم عبر عيونهم؛ سواء أكانت الموجودة في المدينة نفسها أو داخل القبائل التي تسكن في طريق المدينة إلى الشام.

إن خطوة خالد في الإيحاء[٣] إلى الروم بوصول مدد كبير له، في حين كان ينسحب من أرض المعركة تُشير إلى التكتيك العسكري[٤]، والذي استند أمنيًا على خلط الأوراق في ميدان المعركة وتزويد الروم بمعلومات غير صحيحة، مما أربك حسابات الروم وأعطى الفرصة الكاملة لنجاح تكتيك الانسحاب من المعركة.

غزوة تبوك[٥]

وقد كانت العلاقة التجارية ما بين المدينة والأنباط قوية ويتردد الكثير من الأنباط على المدينة يوميًا، ووصلت معلومات تفيد أن الروم قد جمعت أعدادًا كثيرة بالشام، ومعهم قبائل لخم وجذام وغسان وعاملة وتقدموا إلى البلقاء[٦] وعسكروا بها، فاستنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وأرسل

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) الملاح، الوسيط، ص ٢٧١.

(٣) الإيحاء: أن يعرض الرجل فكرة أو اعتقادا عرضًا هو من المهارة و الرزانة بحيث أن من يقابله يمكن أن يعتقد أنه خطر له تلقائيًا– سيلامي، المعجم، ج ١، ص ٣٨٧.

(٤) عرموش، قيادة، ص ١١٢.

(٥) غزوة تبوك: غزوة العسرة في رجب ٩ هـ – ٦٣٠م، خرج رسول الله في ثلاثين ألفا، وفيهم عشرة آلاف فرس لحرب الروم، وخرج المنافقون يثبطون الناس، وأقام رسول الله بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة، وهرقل بحمص، ثم انصرف عن تبوك، ولم يلق كيداً. – الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٨١ – ٨٣.

(٦) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وسميت البلقاء لإن بالق من بني عمّان بن لوط عليه السلام. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٤٨٩.

إلى القبائل، وجهز جيشًا وأعلمهم أنه يريد تبوك[١] في حر شديد وسفر بعيد، وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على القتال والجهاد، ورغبهم فيه، وأمرهم بالصدقة، فتسابق المسلمون في تجهيز جيش العسرة، رجالًا ونساءً فقراءً وأغنياء[٢].

يتضح مما سبق أن الدولة الإسلامية كانت على إطلاع مستمر بأحوال بلاد الشام عن طريق تجار الأنباط، مما يبرز الأهمية البالغة للعلاقات مع الأطراف الأخرى وتوظيفها لخدمة العمل الأمني من خلال معرفة المعلومات الخاصة بالطرف الآخر[٣]، مع الإشارة إلى خطورة هذه العلاقات والارتداد السلبي لها وإمكانية استغلال الطرف الآخر لهذه العلاقات في التعرف على عورات المسلمين من خلال بث العيون أو تجنيد التجار من الأعراب.

كما تحرك المسلمون من ثنية الوداع[٤] إلى تبوك وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية والرايات[٥]، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك عشرين ليلة[٦]، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في تبوك على فرض هيبة المسلمين في المنطقة، فبث العيون وأرسل السرايا، ومنها إرسال خالد بن الوليد رضي الله عنه في ٤٢٠ فارسًا إلى دومة الجندل فتمكن من أسر أكيدر[٧] ملكهم وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنه وصالحه على الجزية وأخلى سبيله وعاد إلى دومة الجندل[٨]. فشكلت حادثة أسر أكيدر رعبًا بين أمراء وملوك العرب في تلك المنطقة، فقرروا

---

(١) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام ما بين الحجر وأول الشام وهي حصن فيه عين ونخل وحائط، وهي بين جبلي حسمي غربيها وشروري شرقيها. – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٤.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٣٧٩؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٢، ص ٣٤؛ ابن منظور، مختصر، ج ١، ص ٤٨؛ ابن حجر، فتح، ج ٨، ص ١١١.

(٣) الهرفي، المخابرات، ص ٣٥.

(٤) ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة يمر عنها من يريد مكة، وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودع فيها سراياه ويودع أهل المدينة إذا خرج في غزوة، والوداع اسم وادي في المدينة. – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٨٦.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٣٧٩، ٣٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٢، ص ٣٦؛ ابن منظور، مختصر، ج ١، ص ٤٩.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٦٨.

(٧) اكيدر: ابن عبد الملك بن عبد الحق الكندي، وكان نصرانيا وبقي في حصنه، وحاصره خالدا في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقتله مشركا نصرانيا لنقضه العهد. – النووي، تهذيب، ج ١، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٦٦؛ ابن الجوزي، كشف، ج ١، ص ١٨٨؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٢٥٢.

تقديم الولاء وفروض الطاعة، فقدم يحنة بن رؤبة ملك أيلة[١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه أهل جرباء[٢] واذرح[٣] فأتوه فصالحهم على الجزية[٤].

لقد ساعدت المعلومات الدقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحقيق الانتصارات، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد المعلومات عن مكان وجود أكيدر، وساعدت دقة المعلومات رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرض سيطرة دولة الإسلام في المنطقة، فجاءته القبائل مستسلمة، ومن الممكن القول إنه بفرضه تحالفات جديدة مع بعض القبائل العربية أو بعض المدن في الشمال قد فرض بذلك سيطرته الكاملة على شبه الجزيرة العربية وبلا منازع[٥]، مما يعني نجاح الاستراتيجية الأمنية والعسكرية والتي رسمها من أجل الوصول إلى هذه اللحظة.

وبالإمكان القول إن السيطرة الأمنية والعسكرية على شبه الجزيرة العربية قد تحققت، وقد شكلت المعلومات الأمنية مرتكزًا أصيلًا لذلك وفق التكتيكات الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويلاحظ هنا تحول الفكر الأمني إلى ثقافة أمنية سائدة في حياة المسلمين ليؤسس لمرحلة جديدة للعمل الأمني.

وهنا يمكن تسجيل انتصار الاستراتيجية الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال تبيان أهمية المعلومات ودورها في عهد النبوة، وأثرها في تحقيق الأهداف المرسومة للوصول إلى هذه اللحظة التاريخية والتي أَذِنَتْ بتغيير استراتيجي في خارطة العالم، وأثرت على موازين القوى وإلى مراحل مستقبلية طويلة الأمد.

---

(١) أيلة: مدينة عامرة على ساحل البحر الحمر آخر الحجاز، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت، وسميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٢٩٢.

(٢) الجرباء: بلد من أطراف الشام من أعمال السراة ومن نواحي البلقاء. – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١١٨.

(٣) أذرح: بلد من أطراف الشام من أعمال السراة ومن نواحي البلقاء. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ١٢٩.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٠٩؛ ابن حبان الثقات، ج ٢، ص ٩٤.

(٥) عرموش، قيادة، ص ١٤٦، ١٤٨؛ الملاح، الوسيط، ص ٢٨٦.

الفصل الثاني

الحرب النفسية في عهد النبوة

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: التحريض ومحاولات اليهود والمنافقين اختراق الصف الداخلي

المبحث الثالث: الحرب النفسية ضد المشركين

المبحث الأول

الحرب النفسية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم

احتل سلاح الحرب النفسية[١] مكانة الصدارة بين أسلحة الحروب المستخدمة آنذاك كونه يستهدف معنويات الإنسان وإرادة القتال فيه[٢]، وقد عمل أعداء الإسلام من قريش والمنافقين واليهود على استخدامها خلال تصديهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحاولة التأثير سلبًا على أتباعه ومحبيه، ولقد تبنوا الحرب النفسية الاستراتيجية[٣] والتي هدفت[٤] إلى المس المباشر بالروح المعنوية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمس بدائرته الشخصية بصورة خاصة لإشغاله بنفسه، وصولًا إلى المس بالدائرة التنظيمية للمسلمين بصورة عامة، واستعانوا بالحرب النفسية التكتيكية[٥] كما استخدموا الإشاعة[٦]، وسنتعرف على الحرب النفسية[٧] من قبل قريش والمنافقين واليهود ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضد دائرته الشخصية المحصنة وضد الدائرة التنظيمية الجهادية.

---

(١) الحرب النفسية: هي الاستخدام المتعمد للدعاية وغيرها من الوسائل؛ للتأثير على أراء ومشاعر ومواقف وتصرفات المجموعات المعادية والمحايدة والصديقة، دعمًا لسياسة الدولة أو الأهداف الراهنة. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ٢١٥؛ أو ذلك النوع من الحروب الذي تشنه الجماعات بالدعاية والإشاعة، وتستخدم فيه كل وسائل الإعلام بقصد إثارة القلق لدى العدو، ولتحقيق الأهداف الموضوعة. – الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٢) نوفل، الإشاعة، ص ٦، ٧؛ الهرفي، المخابرات، ص ٥٦؛ المنياوي، الحرب، ص ١٥.

(٣) الحرب النفسية الاستراتيجية: للدلالة على دعاية موجهة إلى جمهور كبير ومناطق واسعة. الحرب النفسية التكتيكية: للدلالة على دعاية ذات علاقة مباشرة بالعمليات القتالية وأكثرها شيوعاً طلب الاستسلام. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ٢١٥.

(٤) مهام الحرب النفسية: ١. تشكيك العدو بعدالة أهدافه. ٢. زعزعة ثقة العدو بنفسه وبإمكانياته. ٣. بث روح الفرقة والشقاق بين صفوف العدو. ٤. التفريق بين العدو وحلفائه. ٥. تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها. – محفوظ، الحرب، ج ٢، ص ١٨، ١٩.

(٥) الحرب النفسية التكتيكية: للدلالة على دعاية ذات علاقة مباشرة بالعمليات القتالية وأكثرها شيوعًا طلب الاستسلام. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦) الإشاعة: تتألف الإشاعة من ثلاثة عناصر: ١– موضوع معين مطروح بشكل مقصود، ٢– يتناقل الأفراد هذا الموضوع، ٣– سريان الشائعة لا يحتاج إلى برهان لتصديقها. – النجار، الحرب، ص ١٦٦.

(٧) الحرب لنفسية: وتسمى الحرب المعنوية، وحرب الأعصاب، الحرب الباردة، حرب الأفكار، حرب الأيدولوجيات، حرب الدعاية. – العيسوي، الحربي، ص ٤٥.

التحريض والإشاعات حول رسول الله صلى الله عليه وسلم

عمدت قريش على تصعيد حربها ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخدمت كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، فاستعانت بالحرب النفسية مستهدفة بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاولة منها تشويه صورته والطعن في شخصيته، ومن هذه المحاولات ما فعله الوليد بن المغيرة[١] عندما أشار على قريش أن تكون على رأي واحد لمواجهة القبائل أَثناء موسم الحج، فبعد اختلافهم على تشخيص حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ اتفقوا على أَن يقولوا إنه ساحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فجعلوا يمرون على القبائل يحذرونهم منه، ويقولون لهم إنه ساحر[٢]، وقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لحملة من التكذيب والاستهزاء في حرب نفسية قذرة قادها نفر من قادة قريش وهم الأسود بن عبد يغوث[٣]، والوليد بن المغيرة وغيرهم[٤]، وقد ذُكر أن نَفَرًا من قريش تداول تسفيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحلامهم، وشتم آبائهم، وعاب دينهم، وتفريق جماعتهم، وسب آلهتهم، فبينما هم كذلك مر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفًا بالبيت فغمزوه بالقول فظهر ذلك واضحًا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥].

نخلُصُ من كل ما تقدم استشعار الحالة الصعبة التي تعيشها قريش، والتي وقفت عاجزة عن مقارعة الحجة بالحجة، وحائرة أمام تشخيص الحالة، ولم تستطع منع الناس من الدخول في الإسلام، مما استدعى من قادة قريش التوافق على القيام بحرب نفسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإثارة الإشاعات والتشهير به، ولعل اتهام قادة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسحر لتوصيف حالة لم يقدروا على فهمها؛ كان يهدف إلى التشكيك برسول الله صلى الله عليه وسلم في محاولة لنزع المصداقية عنه، لتفرض على القبائل حذرًا وضغطًا بعدم الاستماع له.

---

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو القرشي، وهو والد خالد بن الوليد، وزوج لبابة الصغرى بنت الحارث وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. – ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٢١٥.

(٢) ابن اسحاق، سيرة، ج ٢، ص ١٣١، ١٣٢؛ ابن تيمية، الجواب، ج ٥، ص ٣٧٥ – ٣٧٧.

(٣) الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، وأمه: هنيدة بنت مازن، من أهل اليمن. وابنه عبد الرحمن، وكان له قدر، وأمه: آمنة بنت نوفل بن أهيب بن عبد مناف. – الزبيري، نسب، ج ٨، ص ٢٦٢.

(٤) ابن اسحاق، سيرة، ج ٥، ص ٢٥٤؛ ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٩؛ الماوردي، النكت، ج ٣، ص ١٧٥؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٨؛ الكلاعي ، الاكتفاء، ج ١، ص ٢٩١.

(٥) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٤٨؛ الحميدي، الجمع، ج ٣، ص ٤٣٨؛ ابن الجوزي، الوفا، ج ١، ص ١٨٨.

ويمكن القول بأن ميدان الحرب النفسية يبقى دائمًا هو الإنسان[١]، فلذلك كان التشكيك[٢] بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل قريش بالإشاعة[٣]، في محاولة منها لإبعاد الناس عن الإسلام، وإنَّ استخدامها لذلك لم يَكن عملية عشوائية؛ بل كانت عملًا منظمًا ومخططًا ومدروسًا، وبالرغم من علم قريش اليقيني بكذب إشاعاتهم[٤].

من جهة أخرى يظهر حجم شراسة الحرب النفسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال لَمْزِهِ أثناء مروره بقريش وخلال طوافه بالكعبة، وذلك للضغط النفسي ولزعزعة ثقته بنفسه أمام الناس، يقول تعالى: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}[٥]، وهنا يرسل الله تعالى رسالة توضيح وتثبيت لرسوله صلى الله عليه وسلم في ظل هذه المحنة، ويمكن تفسير هذه التصرفات من قريش والنظرات والهمز واللمز بأنه إنما يعود منبعها إلى شدة عداوتهم له فيرموه بنظراتهم غيظًا منه[٦]، بالإضافة إلى أن موقفها كان يتسم بالبرود وبنوع من السخرية وعدم الرضا[٧]، كما تعزز الآيات ثقة المسلمين بأنفسهم وتبين لهم أن مرد هذه الحرب إنما هو الحقد والحسد.

كما عمدت قريش إلى ملاحقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما حل وحيثما ذهب، ورافق هذه الملاحقات شن الحرب النفسية ضده، وعملوا على التشهير به واتهامه بالكذب، في محاولة من قريش لصد الناس عنه، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في سوق ذي المجاز[٨] يقول: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في فجاجها والناس مُتقصفون[٩] عليه فما رأيت أحدًا

---

(١) تستهدف الحرب النفسية بصورة رئيسة الإنسان للتأثير على معنوياته والقضاء على إرادة القتال عنده، وفي بعض الأحيان لفرض المواقف عليه. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ٢١٥.

(٢) الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٣) أهداف الشائعة: ١- تدمير القوى المعنوية، ٢- الإرهاب وبث الرعب في النفوس، ٣- بث الإشاعة لإخفاء حقيقة ما، ٤- تمثل الإشاعة كطعم يستفز الطرف الاخر لكشف معلومات، ٥- تستخدم الإشاعة لتكذيب أخبار معادية. – النجار، الحرب، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٤) نوفل، الإشاعة، ص ٤٠، ٤١.

(٥) سورة القلم، آية ٥١.

(٦) الطبري، تفسير، ج ٢٩، ص ٤٦.

(٧) الملاح، الوسيط، ص ١٠٧.

(٨) ذي المجاز: سوق في مكة بالقرب من عرفه، كانت في الجاهلية ٨ أيام. – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ٥٥.

(٩) مُتَقَصِّفُونَ: الانقصاف الاندفاع، وانقصفوا عليه: تتابعوا. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٢٨٣.

يقول شيئًا وهو لا يسكت يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، إلا أنَّ وراءه رجلًا أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول إنه صابئ كاذب"[١]، وكلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجالس العرب ومنازلهم يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به؛ كان عمه يقول: يا قوم لا تسمعوا منه فإنه كذاب فلم يستجب له أحد من القبائل ولاقى ردًا عنيفًا[٢] من بعض القبائل وساومه آخرون[٣] على الحكم من بعده [٤].

وتحدث أبو جهل مع الوليد بن المغيرة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقسم أبو جهل بأنه يعلم إنه لصادق، وكنا نلقبه في صباه الصادق الأمين، فكيف يعقل أن نَنْعَتَه الكذاب الخائن بعد ما تم عقله واكتمل رشده، والله إنه لصادق، فأجابه الوليد وما يمنعك أن تؤمن به؟ فقال أبو جهل: إني أخاف أن تقول نساء قريش أني اتبعت يتيمًا[٥]! ولقد قال هرقل لأبي سفيان: ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى[٦].

ويبدو مما تقدم خطورة خطة الحرب النفسية الاستراتيجية التي اعتمدتها قريش، ولتمرير هذه الخطة كان يتصدر الحرب النفسية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب المقربين إليه حتى تُقنعَ قريش القبائلَ باتهاماتها الملفقة وتمرير هذه الإشاعات، ولعل الحرب النفسية والإشاعات نجحت نوعًا ما في التأثير على القبائل في عدم التعاطي بجدية مع دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما شكل عبئًا إضافيًا وتَطَلَّب جهدًا مضاعفًا للتصدي لهذه المحاولات.

وتبرز ثمة مسألة جديرة بالمناقشة وهي أن اتهام قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب كان يهدف المس بشخصه الكريم، والطعن في مصداقيته، لتشكيك الناس به، وذلك لقطع الطريق عنه لمحادثة القبائل، ولمنع الناس من الاستجابة له، فقادة قريش يعلمون صدق رسول الله

---

(١) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٤٩٢؛ ابن حبان، صحيح، ج ١٤، ص ٥١٨؛ الحاكم، المستدرك، ج ١، ص ٦١؛ ابن كثير، تفسير، ج ٤، ص ٥٦٥. واللفظ لابن حنبل.

(٢) ردت بنو حنيفة ردًا عنيفًا. ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٨٩.

(٣) ساوم بنو عامر بن صعصعة على الحكم بعد وفاة الرسول. ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٨٩.

(٤) ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٨٩؛ الكلاعي ، الاكتفاء، ج ١، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٥) القرطبي، الجامع، ج ١٦، ص ١٧٠.

(٦) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٤٥؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٦٥٨؛ مسلم صحيح، ج ٣، ص ١٣٩٥؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٢٦٧؛ النسائي، سنن، ج ٦، ص ٣١٠؛ أبو يعلى، مسند، ج ٥، ص ٩؛ الزرعي، هداية، ج ١، ص ٣٣؛ العيني، عمدة، ج ١٨، ص ١٤٣.

صلى الله عليه وسلم ويقرون بذلك، ويمكن القول تفسيرًا لذلك أن قريشًا بَقِيتْ مستمرة في عنادها للحق مقتفية آثار الطغاة الظلمة من السابقين الأولين[١]،ومع كل فشل يصيبها تحاول قريش شن الحرب النفسية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما سمعت أم جميل بنت حرب[٢] ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وكان في يدها حجر، فلما وصلت عندهما أخذ الله بصرها فلم ترى سوى أبي بكر، فقالت يا أبا بكر: أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت وجهه بهذا الحجر، أما والله اني لشاعرة ثم قالت: " مذممًا[٣] عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا[٤] ثم انصرفت"[٥]، وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذممًا ثم يسبونه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا تعجبون لما صرف الله عني أذى قريش يسبون مذممًا وأنا محمد"[٦].

ومن جانب آخر نَعلمُ أنَّ أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم وهو أول مَيْت من ولده صلى الله عليه وسلم بمكة ثم مات عبد الله فقال العاص بن وائل[٧] لقد انقطع نسله فهو أبتر[٨] فأنزل الله تعالى {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}[٩]، ويعني أن مبغضك هو الأبتر، هو الذي أبتر من الخير[١٠].

---

(١) النجار، الحرب، ص ٨٧.

(٢) أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، زوجة أبو لهب بن عبد المطلب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٥٩.

(٣) مذممًا: رجل مذموم جدًا، وشيء مذم أي معيب، والذموم العيوب. – ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص ٢٢٠.

(٤) قلينا: تركنا. – الزبيدي، تاج، ج ٣٩، ص ٣٤٣.

(٥) الماوردي، النكت، ج ٦، ص ٣٦٨؛ ابن العربي، أحكام، ج ٤، ص ٤٦٤؛ القرطبي، تفسير، ج ١٠، ص ٢٦٩؛ ابن عادل، اللباب، ج ٢٠، ص ٥٥١؛ ابن عاشور، التحوير، ج ١٩، ص ٢٠٨.

(٦) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٤٤٦؛ البخاري، الأوسط، ج ١، ص ١١؛ الماوردي، الحاوي، ج ١١، ص ١٣٢؛ ابن تيمية، كتب، ج ١٦، ص ٦٠١؛ القرطبي، تفسير، ج ٢٠، ص ٢٣٥. واللفظ لابن هشام.

(٧) العاص بن وائل بن هاشم، السهمي، والد كل من عمرو وهشام. ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٩٣.

(٨) الأبتر: الذي لا عقب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر. – الرازي، مختار، ج ١، ص ١٦.

(٩) سورة الكوثر، آية ٣.

(١٠) مقاتل، تفسير، ج ٣، ص ٥٢٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٧؛ ابن بكار، المنتخب، ج ١، ص ٣١؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٦٢؛ الثعلبي، تفسير، ج ١٠، ص ٣٠٧.

وقد كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فأنزل الله تعالى {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ[١] لُّمَزَةٍ[٢]}[٣] وقد ذكر أنها قد نزلت بغيره[٤]، ويمكن أن تكون نزلت في الجميع، والسورة مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الأوصاف والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٥].

ويظهر مما سبق محاولات قريش الحثيثة استهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم في شخصه وبذل الجهود لإضعاف شخصيته، والمس بروحه المعنوية، فاعتمدت قريش أسلوب الحرب النفسية بهدف إثارة الشك في نفسه وفي شرعية قضيته، وزعزعة الشعور بالثقة بالنفس[٦]، وذلك من خلال سعيها لإشغاله بقضايا جانبية مثل التنادي بالألقاب لمس شخصه الكريم، بالإضافة لهمز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمزه بهدف الضغط عليه نفسيًا وإثارته سلوكيًا.

واجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحبار اليهود والنصارى من أهل نجران[٧] ليدعوهم إلى الإسلام، وقال أبو رافع القرظي: هل تريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني هل صحيح تريد منا أن نعبدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره[٨]، قال تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ }[٩].

---

(١) همزة: الهمز كاللمز وَزنًا ومعنى، والهامز والهماز العياب، والهمزة مثله، يقال رجل همزة وامرأة همزة أيضًا. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٩١.

(٢) لمزة: اللمز العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٥٢.

(٣) سورة الهمزة، آية ١.

(٤) قيل نزلت في الأخنس بن شريق، أو العاصي بن وائل، أو جميل بن معمر، أو الوليد بن المغيرة، أو أمية بن خلف. – أبو حيان، تفسير، ج ٨، ص ٥٠٩.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٤٤٧؛ الطبري، تفسير، ج ٣٠، ص ٢٩٣؛ البغوي، تفسير، ج ٤، ص ٥٢٣؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٦) انظر أهداف الحرب النفسية. – العيسوي، الحربي، ص ٤٨.

(٧) نجران: مدينة بالحجاز أعلى اليمن، وسميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب، وهو أول من نزلها وأطيب البلاد نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن ودمشق من الشام. – البكري، معجم، ج ٤، ص ١٢٩٨، ١٢٩٩.

(٨) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٩٦؛ ابن أبي حاتم، تفسير، ج ٢، ص ٦٩٣؛ البيهقي، دلائل، ج ٥، ص ٣٨٤؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٩٧. – الخبر ضعيف، أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) سورة آل عمران، آية ٧٩.

وقد شن اليهود الحرب النفسية الاستراتيجية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجهوا سهامها بصورة غير مباشرة إلى الجهات المحايدة بغية ثنيها عن الإسلام[١]، ويمكن القول إن اليهود والنصارى كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم من دون الله[٢]، فاستدعى اليهود هذه الفعلة النكراء محاولين إسقاطها المباشر[٣] على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بالإشارة لوفد نجران بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس برسول، وغير جدير بالإتباع، وقد كان للتوجيهات القرآنية دور في حماية المسلمين من الاستهدافات النفسية وأثر في تحصينهم.

ولقد تكلم المنافق نبتل بن الحارث[٤]: إني لأنال من محمد ما أشاء وأتهرب من الالتزام بأوامره، ثم آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلف له فيقبل مني[٥]، فأنزل الله تعالى {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٦] وكان نبتل يتردد على المسجد ليسمع كلامًا من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين[٧].

كما تربص المنافقون للمسلمين ورصدوهم وتصيدوا الأخبار السيئة ليذيعوها بين الناس ويشيعوها، وإن لم يقعوا على بغيتهم لفقوا الأخبار[٨]، فيُلاحظ أن المنافقين ساروا على خُطَا قريش فشنوا الحرب النفسية وأشاعوا الأكاذيب وتعرضوا لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدفوا من إثارة الإشاعات؛ المس بالروح المعنوية عند المسلمين، وتشكيكهم بدينهم وزعزعة ثقتهم به، وشكلت التعليمات القرآنية للمسلمين حالة اطمئنان لهم، وتوجيه لسلوكهم، وتثبيت لقلوبهم أمام الحرب النفسية والتي تهدف إلى المس بتماسك الصف الإسلامي وترابطه.

---

(١) نوفل، الإشاعة، ص ٩٧؛ العيسوي، العسكري، ص ٤٥.

(٢) البخاري، الكبير، ج ٧، ص ١٠٦؛ ابن كثير، تفسير، ج ١، ص ٣٧٨.

(٣) الإسقاط المباشر: محاولة أن أنسب فيه ما بنفسي إلى غيري. – الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد، الأنصاري الأوسي، ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب النسب مقرونا بأخيه أبو سفيان وقد ذكره بن الكلبي ثم البلاذري في المنافقين فيحتمل أن يكون أبو عبيد اطلع على أنه تاب. – ابن حجر، الإصابة، ج ٦، ص ٣٢٩.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٣٥.

(٦) سورة التوبة، آية ٦١.

(٧) الطبري، تفسير، ج ١٠، ص ١٦٨؛ ابن عادل، اللباب، ج ١٠، ص ١٢٨؛.

(٨) نوفل، الإشاعة، ص ٤٣.

واستكمالًا لرسم صورة الصد عن سبيل الله في مواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ فقد ورد في غزوة تبوك أنَّ ناقته صلى الله عليه وسلم قد ضلت، فقال زيد بن اللصيت: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، قال: فلان يقول: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته، وإني والله لا آتيكم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عيلان[١] وهي في هذا الشعب[٢]، قد حبستها شجرة بزمامها[٣] فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف[٤].

ونستنتج من كل ما تقدم أنَّ السعي الحثيث لليهود لاستهداف شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتركيز عليه للمسِّ بنفسيته لعلمهم أن ذلك يؤدي إلى زعزعة الشعور بالثقة بالنفس[٥] برسول الله صلى الله عليه وسلم وصولًا لارتداد المسلمين عن دينهم وانتهاءً بالقضاء على الإسلام، ولهذا الهدف كان جل تركيزهم خلال حروبهم النفسية الاستراتيجية والتكتيكية؛ هو استهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يتورعون عن استغلال أصغر الأحداث ولا أحقرها.

التعرض لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم

التعرض لبناته صلى الله عليه وسلم

عملت قريش على استخدام الحرب النفسية في إثارة الإشاعات حول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفقوا على رد بناته إليه لإشغاله بهن، فذهبوا إلى أبي العاص بن الربيع[٦] فقالوا له

(١) عيلان: عال للضالة، يعيل عيلا عيلانا إذا لم يدر أين يجدها. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٤٨٩.

(٢) الشعب: الطريق، وانشعب الطريق: تفرق، وقيل: الشعبة ما انشعب من الوادي، أي عدل عنه، وأخذ في طريق غير طريقه، فتلك الشعبة، والجمع شعب وشعاب. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٤٩٩.

(٣) الزمام: ما زم به والجمع أزمة والزمام الحبل الذي يجعل في البرة والخشبة وقد زم البعير بالزمام، وزممت الناقة أزمها زمًا، زممت البعير إذا علقت عليه الزمام. – ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص ٢٧٢.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٦٠؛ البقاعي، نظم، ج ١، ص ٤٣. – الحديث ضعيف، أورده معلقاً، أخرجه البيهقي في الدلائل مرسلًا عن عروة وعن موسى بن عقبة، ونقله ابن كثير.

(٥) نوفل، الإشاعة، ص ٩٩؛ العيسوي، الحربي، ص ٤٨.

(٦) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي العبشمي صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل لقيط وقيل مهشم وقيل هشيم والأكثر لقيط وأمه هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة لأبيها وأمها وكان أبو العاص بن الربيع ممن شهد بدرًا مع كفار قريش وأسر، وأسلم وحسن إسلامه ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته عليه وتوفي أبو العاص بن الربيع ويسمى جرو البطحاء في ١٢ هـ. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٠١ – ١٧٠٤.

فارق زوجَك ونحن نزوجك أي امرأة تريد من قريش فرفض ذلك بشدة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه خيرًا [١]، وأُسر أبي العاص يوم بدر ففدته زينب[٢] رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلادة لها، وأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقابل إرسال زينب رضي الله عنها إلى المدينة، فخرجت إلى المدينة فلحق بها رجال من قريش منهم هبار بن الأسود[٣] فروّعَها برمحه وهي على هودجها، وجاء أبو سفيان ورفض عودتها بصورة علنية مخافة الإساءة لقريش وتم الاتفاق على عودتها سرًا[٤].

وهكذا يُلاحظ أن قريشًا ماضية في حربها النفسية الاستراتيجية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونجدها قد تحولت إلى المس بدائرته الشخصية محاولة استهدافها للضغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسيًا، وذلك بتفريق بناته عن أزواجهن مما يشكل ثقلًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشغله بنفسه وأهله.

ومما يجدر ذكره هنا إبراز كيف تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي العاص عند أسره وكيفية الاستفادة من ذلك من خلال شن حرب نفسية مضادة[٥] على أسرى قريش بصورة عامة، وعلى أبي العاص بصورة خاصة، فنتج عن ذلك أولًا توافق بإرسال زينب رضي الله عنها إلى المدينة لحظة عودته إلى مكة، وهذا يعد انتصارًا معنويًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش، وثانيًا وهو الأهم إسلام أبي العاص وهجرته إلى المدينة وزواجه من زينب من جديد لاحقًا.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٣٥٤؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٢؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٢، ص ٤٢٨؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٦٧، ص١١؛ الهيثمي، مجمع، ج ٩، ص ٢١٤.

(٢) زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أكبر بناته صلى الله عليه وسلم، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع قبل النبوة، وولدت زينب لأبي العاص عليًا وأمامة، فتوفي علي وهو صغير وبقيت أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة رضي الله عنها، توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول سنة ثمان من الهجرة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٠، ٣١، ٣٤.

(٣) هَبّارُ بنُ الأسْود بن المطلب القرشي، وأخواه لأمه هبيرة وحزْن ابنا أبي وهب المخزوميان. وحزن هذا هو جد سعيد بن المسيّب بن حَزن، أسلم بعد الفتح، وحسُن إسلامه، وله صحبة. – ابن الأثير، أسد، ج ٥، ص ٣٩٩.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٣٢٥ – ٣٢٨؛ البخاري، الأوسط، ج ١، ص ٧؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٧٦؛ الحاكم ، المستدرك، ج ٤، ص ٤٥؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٩.

(٥) تفيد الحرب النفسية بالتأثير على أسرى الحرب وتعديل معتقداتهم عبر أساليب متعددة ومنها غسل الدماغ كشكل من أشكال الحرب النفسية. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ٢١٥.

وفي لفتة جديدة من نوعها فقد سَجَّلت قريش خروجًا عن عادات العرب من خلال استهداف النساء جسديًا والذي ترتب عليه إجهاض زينب رضي الله عنها[١]، ولعل تدخل أبي سفيان لمعالجة الحدث جاء تداركًا لهذا الفعل الشائن، وفي الوقت نفسه عمل على حفظ ماء وجه قريش من خلال عدم تحطيم الروح المعنوية من جديد لقريش بعد معركة بدر، وهنا يُسجل ارتداد نتائج الحرب النفسية على قريش وقادتها.

ولما أنزل الله تعالى قوله {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}[٢] أمر أبو لهب ابنيه عتبة[٣] وعتيبة[٤] بمفارقة ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم[٥] ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما[٦]، فأخرجهما الله من يدهما كرامة لأبيهما صلى الله عليه وسلم وهوانًا لابني أبي لهب[٧].

وقد ذُكر أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة طلب من عمه العباس أن يأتيه بابني أخيه عتبة ومعتب، فلما حضرا دعاهما للإسلام، فأسلما وبايعا ثم انطلق بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة والسرور يرى في وجهه، فسأله العباس رضي الله عنه عن سبب سروره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم إني استوهبت ابني عمي هذين ربي فوهبهما لي"[٨].

ويبدو أن أبا لهب حمل لواء العداء والتصدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونراه هنا يواصل حربه النفسية المستعرة، ويقوم بعملية الشحن لابنيه ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتوقف هذا التحريض عند فراق ابنيه لابنتي رسول صلى الله عليه وسلم، بل تعداه ليصل إلى حد

---

(١) البخاري، الأوسط، ج ١، ص ٧؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٣؛ الحاكم، المستدرك، ج ٢، ٢١٩.

(٢) سورة المسد، آية ٤.

٣) عُتْبَةُ بنُ أبي لهب عبد العُزَّى الهاشمي، وأُمه أُم جَمِيل بنت حرب بن أُمية، أسلم هو وأخوه مُعَتِّب يوم الفتح، وشهدا حنينًا، وكانا ممن ثبتا ولم ينهزما وشهِدا الطائف، ولهما عقِب. – ابن الأثير، أسد، ج ٣، ص ٥٨٨.

(٤) عتيبة بن أبي لهب: قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك ثم سطا عليه وشق قميصه، فدعا عليه: "أما أني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه"، فخرج إلى الشام فعسكر في الزرقاء ليلا، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فقتله. – محب الدين، ذخائر، ج ١، ص ١٦٤.

(٥) أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة بنت خويلد، تزوجها عتيبة بن أبي لهب، قبل النبوة، وهاجرت إلى المدينة، فلما توفيت أختها رقية تزوجها عثمان بن عفان، وكانت بكرًا، فلم تزل عنده إلى أن ماتت، وماتت في شعبان سنة ٩ هـ– ٦٣٠م. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٧، ٣٨.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٧؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٢، ص ٤٣٥.

(٧) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٣٥٤؛ الطبراني ، المعجم، ج ٢٢، ص ٤٢٨.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٦٠؛ الطبري، المنتخب، ج ١، ص ٣٢.

الاعتداء عليه، ويجدر هنا الإشارة إلى استشعار رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئولياته أمام الله، فلم يَنْسَ دوره الحقيقي تجاه ابني عمه عتبة ومعتب، مسجلًا انتصارًا حضاريًا على حقد قريش الأسود.

زواجه من زينب بنت جحش

كان زيد بن حارثة قد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمام أبيه وعمه: "ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا أنت مني بمكان الأب والأم... فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا أن زيدًا ابني أرثه ويرثني ... فدُعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام"(١).

وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش(٢) رضي الله عنها، فطلقها زيد رضي الله عنه بعد ذلك، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم المنافقون بذلك وطعنوا فيه محرضين باتهامه بالزواج من امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى {ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}(٣). وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأنْ يدعوَ زيدًا باسم أبيه فدعي زيد بن حارثة، ودُعي الأدعياء إلى آبائهم(٤).

ويمكن الإشارة هنا إلى محاولة المنافقين في استغلال الخبر من أجل إثارة المسلمين ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال تزييف الحقائق بهدف فصلها عن قيادتها واستعادة مكانتهم(٥)، ويُستنتج إصرار المنافقين على الاستمرار في حربهم النفسية الاستراتيجية، ويبرز هنا أهمية التعاليم القرآنية والتي شكلت حماية المسلمين من الاستهدافات المعنوية وحصنت صفوفهم من الانشقاقات.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٢؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٢٠٦؛ الطبري، المنتخب، ج ١، ص ٥؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ١٩، ص ٣٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٣٤٨؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٢١١، ٢١٢؛ ابن منظور، مختصر، ج ٣، ص ٢٢٩؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ١٣٢.

(٢) زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر، الأسدية المدنية، من حلفاء قريش، أم المؤمنين وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وماتت في خلافة عمر سنة ١٦ هـ – ٦٣٧م. – الكلاباذي، رجال، ج ٢، ص ٨٤١.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٤٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٢، ٤٣؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٢٠٦؛ الطبري، المنتخب، ج ١، ص ٥؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ١٩، ص ٣٤٨؛ البري، الجوهرة، ج ١، ص ٢١٩.

(٥) نوفل، الإشاعة، ص ٤٣.

كما يُلاحظ أيضًا استمرار المنافقين في التعرض لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدفوا من إثارة الإشاعات؛ المس بالروح المعنوية عند المسلمين وزعزعتها تمهيدًا لتشكيك المسلمين بأحكام الإسلام، ونزع ثقتهم بهذا الدين، وصولًا لحالة ارتداد عن الدين وانفصال عن دولة الإسلام.

حادثة الإفك

بعدما خرجت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بني المصطلق، وفي طريق العودة سقط عقد لها، وتأَخرت وهي تبحث عنه، ولما عادت إلى الجيش وجدتهم قد غادروا المكان فمر صفوان بن المعطل[1] رضي الله عنه بالمكان فوجدها فقرب البعير وركبت فانطلق سريعًا يلحق بالركب فلما وصلا؛ قال أهل الإفك[2] ما قالوا واضطرب الناس، وكان الذي تولى كبر هذه الفاحشة عبد الله بن أبي[3] وبعض المنافقين، والذي أشاع الفاحشة من المسلمين حسان بن ثابت[4]، ومسطح بن أثاثة[5]، وحمنة بنت جحش[6] رضي الله عنهم، ولما عادوا إلى المدينة مرضت عائشة رضي الله عنها شهرًا، وتداول الناس الإشاعة بحقها وهي لا تعلم شيئًا، وعلمت

---

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة السلمي أبو عمرو الذكوانى قتل سنة تسع عشرة غازياً على عهد عمر بن الخطاب، وكان على ساقة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ١٩٢.

(٢) الإفك: الكذب أفك يأفك أفكًا، وأفكته عن الأمر صرفته عنه بالكذب والباطل، والأفيك المكذب عن حيلته وحزمه، المأفوك الذي يقبل الإفك وهو المؤتفك، والمؤتفكة الأمم الماضية الضالة المهلكة، والأفاك الذي يأفك الناس عن الحق أي يصدهم عنه بالكذب والباطل. – الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ٤١٦.

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول وسلول أم عبد الله، وكان رأس المنافقين، ونزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحسانا وكرما وحلما. – النووي، تهذيب، ج ١، ص ٢٤٦.

(٤) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، من بني النجار خزرجي، كنيته أبو الوليد، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم اهجهم وجبريل معك، ثم قال اللهم أيده بروح القدس، مات بالمدينة خلال فترة مقتل على بن أبى طالب، وهو ابن مائة وعشرين سنة، سنه وسن أبيه وجده سواء. – ابن حبان، مشاهير، ص ١٢.

(٥) مسطح بن أثاثة: بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا عباد، وأمه أم مسطح بنت أبي رهم، ويعد مسطح قريبا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، شهد بدرًا وتوفي سنة ٣٤ هـ – ٦٥٤م وهو ابن ست وخمسين سنة. – ابن حبان، الثقات، ج ١، ٣، ص ٢٩٥، ٣٨٣.

(٦) حمنة بنت جحش بن رياب، من بني أسد بن خزيمة، أخت زينب بنت جحش، كانت عند مصعب بن عمير واستشهد في أحد، ثم تزوجها طلحة بن عبيد الله، وكانت حمنة ممن خاض في الإفك على عائشة. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨١٣.

عائشة رضي الله عنها بعد ذلك قول أهل الإفك بحقها، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد[١] رضي الله عنهما، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النساء لكثر وبإمكانك أن تستبدلها، وبالإمكان أن تسأل الجارية، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة[٢] ليسألها قالت: والله لقد كانت عائشة طيبة خَيّرة ولا أعيب عليها شيئًا، وأما أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عائشة زوجك ولم نعرف منها إلا خيرًا[٣]، وقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولما كثر القول في شأني قال زيد بن حارثة وأبو أيوب الأنصاري[٤] إذا سمعا شيئًا من ذلك سبحانك هذا بهتانٌ عظيم[٥].

إن حادثة الإفك والتي عصفت بالمسلمين شهرًا كاملًا، وجعلتهم يغوصون في بحار الشك والقلق الذي لا يطاق، وكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم آلامًا لا تحتمل[٦]، وكانت بالفعل تجرِبة من أشد التجارِب على المسلمين[٧]، والظاهر أن الحرب النفسية من قبل المنافقين ضد بيته صلى الله عليه وسلم قد انحدرت إلى مستوى متدن من الاستهداف المعنوي.

ويُلمس حرص المنافقين على شق صف المسلمين، وزرع بذور الشقاق بينهم، واستغلال المواقف وتضخيمها، حيث عمل المنافقون على تشويه صورة القيادة في فكر المسلمين، في محاولة لإضعاف الارتباط بين المسلمين وبين قدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيضعف الالتزام وتهتز

---

(١) أسامة بن زيد: بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى، أبو زيد المدني، وهو مولى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقال إنه من كلب من اليمن، وأمه أم أيمن واسمها بركة وكانت حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم، مات في آخر خلافة معاوية. – الكلاباذي، رجال، ج ١، ص ٩٢، ٩٣.

(٢) بَرِيرَةُ مولاةُ عائشة رضي الله عنها، وكان اسم زوجها مُغِيثًا، وكان مولى فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلّم فاختارت فراقه، وكان يحبها، فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي، واستشفع إليها برسول الله ، فقال لها فيه، فقالت: أتأمر؟ قال: (بل أشفع). قالت: فلا أُريده. – ابن الأثير، أسد، ج ٧، ص ٤٣، ٤٤.

(٣) ابن راهويه، مسند، ج ٢، ص ٥١٧ – ٥٢١؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥١٧ – ١٥٢٠؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ٢١٢٩ – ٢١٣٣؛ ابن شبه، تاريخ ، ج ١، ص ١٨٧، ١٨٨. واللفظ للبخاري.

(٤) أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، وشهد العقبة، وشهد بدرا والمشاهد كلها، وتوفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٢ هـ – ٦٧٢م وصلى عليه يزيد بن معاوية وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٨٤، ٤٨٥.

(٥) ابن شبه، تاريخ، ج ١، ص ١٩٠؛ ابن حجر، فتح، ج ١٣، ص ٣٤٤؛ السيوطي، الدر، ج ٦، ص ١٦١.

(٦) النجار، الحرب، ص ١١٠.

(٧) نوفل، الإشاعة، ص ٤٥؛ النجار، الحرب، ص ١١٠.

المبادئ، ويظهر المسلمون في صورة مهزوزة من غير أسوة صالحة للاقتداء[١]، وبالرغم من طول وقت الفتنة إلا أنَّ المسلمين سجلوا نجاحًا واستطاعوا التغلب على هذا الحدث، وكان الكثير منهم على يقظة كاملة، وثقة كبيرة ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشير هذا إلى الوعي الأمني لدى المسلمين، وقوة الترابط بين المسلمين من جانب، وتعلقهم بقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ينقص إشاعة الثلاثة من المسلمين حادثة الإفك من قوة الصف الإسلامي، فقد يحدث لبس عند بعض المسلمين مرده إلى التعجل في نقل الأخبار دون التوثق منها ودون إرجاع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بعد ذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبي فقال: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما يدخل على أهلي إلا معي... فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك...فقال سعد بن عبادة لسعد رضي الله عنهما: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عباده كذبت لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّهُ فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فكادت تحدث فتنة بين الأوس والخزرج ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهدئ بين الطرفين... حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ[٢] حتى سكتوا"[٣].

وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه فجلس ثم قال: "أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت[٤] بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه، ... فقالت عائشة: وأنا جارية

---

(١) العليمي، دروس، ص ٢٠٣.

(٢) يخفضهم: أي يسكنهم ويهون عليهم الأمر، من الدعة والسكون. – ابن منظور، لسان، ج ٧، ص ١٤٦.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٢٠؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ٢١٣٣، ٢١٣٤؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ٢٩٨؛ أبو يعلى، مسند، ج ٨، ص ٣٤٣، ٣٤٤؛ الطبراني، مسند، ج ٣، ص ٣٣٤، ٣٣٥؛ ابن العربي، احكام، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩٠؛ ابن تيمية، منهاج، ج ٤، ص ٤٥٥، ٤٥٦. واللفظ للبخاري.

(٤) ألممت: اللمم الإلمام بالذنب الفينة بعد الفينة، وهو الذنب الذي ليس من الكبائر، ومنه قوله تعالى {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم}. – الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ٤١٦.

حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا، إني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتُصدِقُنّي، فوالله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف حين قال {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ على ما تَصِفُونَ}[1]، ... فو الله ما رام رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه... فسُري عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة أمّا الله فقد برأكِ"[2].

ويُلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضاق ذرعًا بإشاعات المنافقين وأكاذيبهم، فأعلن ذلك للمسلمين على المنبر، مؤكدًا للجميع على ثقته التامة بعائشة وبصفوان رضي الله عنهما[3]، وكما أثرت الحرب النفسية على تماسك المسلمين، وشكلت الإشاعة خطرًا جسيمًا عليهم، فعملت على تفتيت الصف الواحد والرأي الواحد وتوزيعه وبعثرته، فالناس ما بين مصدق ومكذب، وغدا المجتمع فئات مختلفة[4]، وتفاقمت الفتنة بين المسلمين وكاد يقع المحذور ويقتل المسلمون بعضهم بعضًا، وكان هذا مقصد المنافقين أن يهدموا وحدة المسلمين ويزعزعوا ثقتهم بقيادتهم[5]، ولولا تدارك رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر لحدث ما لم تحمد عقباه، وبالإمكان القول بأن الحرب النفسية كادت تحقق إحدى مهامها وأهدافها وهي شق صف المسلمين وإحداث التناحر بينهم.

وفي ضوء ما تقدم نلمس كيف عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم حادثة الإفك بكثير من الحكمة وبعد نظر ساعداه في البحث عن أنجح الوسائل لمعالجة ذلك[6]، فنراه استشار أقرب الصحابة له، وخاطب المسلمين شارحًا موقفه من حادثة الإفك، وهدئ من روع المسلمين، ثم نجده يذهب إلى عائشة رضي الله عنها لتبيان الأمر منها مستفسرًا حول الحدث، لكي يعذر نفسه أمام الله تعالى مستنفذًا كل الجهود البشرية، وكأنه كان يتطلع إلى السماء منتظرًا نزول الوحي بالخبر الصحيح، فلقد

---

(١) سورة يوسف، آية ١٨.

(٢) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٢١؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ٢١٣٥ – ٢١٣٦؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ٢٩٨، ٢٩٩؛ أبو يعلى، مسند، ج ٨، ص ٣٤٥، ٣٤٦؛؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٣، ص ١٠١؛ البيهقي، شعب، ج ١، ص ٣٨٤، ٣٨٥؛ ابن عادل، اللباب، ج ١٤، ص ٣١٧. واللفظ للبخاري.

(٣) العمري، السيرة، ج ٢ص ٤١١.

(٤) نوفل، الإشاعة، ص ١٢٨.

(٥) العمري، السيرة، ج ٢، ص ٤١٢.

(٦) العليمي، درس، ص ٢٠٣.

بلغت الفتنة أوجها، واستشعر المسلمون خطرها، ولا زالت تعصف بدولة الإسلام ممثلة ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخيرًا نزل قول الله تعالى ليحسم الأمر، ويكشف بشاعة الحرب النفسية والتي استهدفته رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته، ولولا عناية الله تعالى كادت الفتنة أن تعصف بالأخضر واليابس لا تبقي على نفس مستقرة مطمئنة[١]، يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَآءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ}[٢]، فكان بحق امتحانًا صعبًا على نفوس المسلمين، وخرج المسلمون منه أقوى حالًا، وأرصُ صفًا، وأوثق ثقة بقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتدت الحرب النفسية على المنافقين بكل سوء، ومنبهًا المسلمين من تكرار التعاطي مع الإشاعات، فكانت التوجيهات الربانية للمسلمين توجيهًا يمنع من تكرار التجربة.

الإشاعات بين صفوف المسلمين

إشاعة إسلام قريش بين مهاجري الحبشة

لما بلغ المسلمين في الحبشة خبر إسلام أهل مكة، في شوال من السنة الخامسة للبعثة[٣]، عزم بعضهم على العودة إلى مكة دون التأكد من المعلومة، فلما اقتربوا من مكة تأكدوا من عدم صحة المعلومة، وأن الأمر لا يعدو أن يكون إشاعة، وتثاقلوا أمر العودة إلى الحبشة، فدخلوا مكة في جوار بعض أهل مكة [٤]، إلا ابن مسعود فمكث قليلًا ثم عاد إلى الحبشة[٥].

ويبدو أن إشاعة إسلام قريش سرت في شبه الجزيرة العربية؛ حتى وصلت إلى مهاجري الحبشة من المسلمين، وإن بُعدَهم عن الحدث منعهم من التأكد من صحة الإشاعة، فكلفهم ذلك عناء السفر، وإمكانية تعرضهم للأذى، وتداركوا الأمر بسؤالهم عن صحة ذلك قبل دخولهم مكة.

---

(١) نوفل، الإشاعة، ص ١٢٧.

(٢) سورة النور، آية ١١، ١٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠٦؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤) ابن اسحق، سيرة، ج ٢، ص ١٥٨؛ الطبراني، المعجم، ج ٩، ص ٣٥،٣٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠٦؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ١٦٥؛ ابن جماعة، المختصر، ج ١، ص ٣٧؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٣٦٦؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص ٩.

وكما يمكن الإشارة إلى موضوع الهجرة وفراق الأهل والبعد عن الوطن كنتيجة طبيعة لحالة الصراع بين المسلمين وقريش، لتشكل أسلوبًا من الحرب النفسية على المسلمين في الحبشة، ولعل تشوقهم للعودة فرض عليهم الرجوع دون التأكد من المعلومة.

حادثة الإسراء والمعراج

لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس فكذبته ولم تصدقه، فمثل الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فأخبر قريش عنه وهو ينظر عليه[1]، فعملت قريش على استغلال الحادثة للضغط النفسي على المسلمين وإثارة الإشاعات، فسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر مستبقًا الخبر ومحاولًا سرقة المواقف منه فقال: "هذا صاحبك يزعم أنه قد أسري به الليلة إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته فقال أبو بكر أو قال ذلك قالوا نعم، فقال أبو بكر: فإني أشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، فقالوا: أتصدقه بأنه جاء الشام في ليلة واحدة ورجع قبل أن يصبح، قال أبو بكر: نعم إني أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء بكرة وعشيًا فلذلك سمي أبو بكر بالصديق"[2].

ويستنتج مما تقدم أن قريشًا حاولت استغلال كل حادثة للتعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم وزعزعة الثقة بينه وبين المسلمين، فجاءت حادثة الإسراء الخارقة إلى بيت المقدس لتسجل حالة فتنة عصيبة بحق المسلمين، وتمكنت قريش من استغلالها أسوأ استغلال من خلال المس بمصداقيته صلى الله عليه سلم؛ لأن حادثة الإسراء غير منطقية بأية مقاييس مادية في ذلك الزمان.

ويبرز هنا موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه أمام محاولات قريش في التأثير على موقفه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء، حيث نرى أنه لم يَغِبْ عن باله في خضم هذا الخبر الخارق أن صاحب هذه الرحلة إلى بيت المقدس إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن قياس المعايير الأرضية على أفعاله دائمًا، وبالإمكان ملاحظة الحوار بين رجل قريش وأبي بكر ودرجة الاستغراب والعجب التي تملكت رجل قريش وبالوقت نفسه درجة اليقين عند أبي بكر والثقة الكاملة بهذا الخبر.

---

(١) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤٠٩؛ مسلم، صحيح، ج ١، ص ١٥٦؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٣٠١؛ أبو عوانة، مسند، ج ١، ص ١٧٧؛ الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ٢٤٧؛ السيوطي، الدر، ج ٥، ص ٢٢٣.

(٢) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٢٨؛ الآجري، الشريعة، ج ٣، ص ١٥٣٨.

حادثة تحويل القبلة

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا تقريبًا، وكان يرجو من الله تعالى أن تتحول القبلة إلى الكعبة ولما نزل قوله تعالى { قد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }[1] حوَّل وجهه إلى الكعبة وأمر المسلمين بذلك، فغاظ اليهود ذلك وبدأوا بإشاعة الأخبار الكاذبة، وتشكيك المسلمين بدينهم فقالوا: إن كانت صلاتكم إلى بيت المقدس هدى فقد رجعتم عنه، وإن كانت ضلالًا، فقد مات عليها جماعة منكم، فأنزل الله تعالى { وما كان الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ }[2]، وتوجه المسلمون تجاه الكعبة مباشرة[3].

ويظهر مما تقدم مدى الحقد اليهودي وطبيعة الحسد الذي تملكهم، فأفرز ذلك مكرًا ومؤامرات ضد الإسلام، فاستغلوا كل حادثة مهما صغرت لتحقيق مآربهم الخبيثة، وكان وقع تغيير القبلة على اليهود شديدًا، فلقد غضبوا للأمر وقاموا بدعاية واسعة[4]، ويبرز هنا محاولات اليهود التشكيك في إيمان المسلمين عند تحويل القبلة، فأشاعوا في إشارة منهم إلى أنهم هم أصل الإيمان ومن يتحول عن قبلتهم فقد حُرم القبول وبَطُل عمله.

وقد كانت التوجيهات القرآنية حاسمة للأمر، ولم تترك مجالًا للشك، بل و أبطلت سحر البيان عند اليهود، وأحبطت[5] مكرهم للمس برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تثبيت لمعنويات المسلمين وتحصين لصفهم ضد الاختراقات النفسية والمعنوية.

ويتضح مما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تعرض هو وأهله والمسلمين لحرب نفسية رهيبة شنها مثلث الحقد الأسود من قبل قريش والمنافقين واليهود، في محاولة منهم للطعن بشخصه الكريم تمهيدًا لإبعاد الناس عنه وتنفيرهم من الإسلام.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٣) البخاري، الجامع، ج ١، ص ٢٣، ١٥٥؛ ابن الجارود، المنتقى، ص ٥١؛ البيهقي، سنن، ج ٢، ص ١٢؛ الحميدي، الجمع، ج ١، ص ٥٢٣، ٥٢٤؛ ابن حجر، فتح، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) العمري، السيرة، ج ٢، ص ٣٥١.

(٥) الإحباط: الدلالة التي يتخذها وضع معين بالنسبة لشخص معين، هو معنى مبتذل يواجه الإنسان يوميًا وهو حالة يحرم فيها من اشباع مشروع من خابت آماله – سيلامي، المعجم، ج ١، ص ٩٥، ٩٦.

المبحث الثاني

التحريض ومحاولات اليهود والمنافقين اختراق الصف الداخلي

استشعر المشركون من قريش والمنافقون واليهود بخطورة الإسلام عليهم، لأن هذا الدين يشكل تهديدًا لأطماعهم، ومن يؤمن به سيكون وقودًا لهذا الدين، ومن هذا المنطلق استخدم المشركون الحرب النفسية ضد المسلمين بهدف زرع بذور الفتنة بينهم، وشق الصف من خلال اللعب على التناقضات، ومحاولة إحياء الثارات القديمة من أجل تقويض محاولات النهوض بمشروع دولة الإسلام أو العمل على تأخير قيامها، وسنقف على المحاولات الحثيثة لإثارة الحرب الأهلية، بالإضافة إلى حملات التحريض ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام.

محاولة اليهود والمنافقين وقريش تصديع الجبهة الداخلية

محاولة شأس بن قيس الإيقاع بين الأوس والخزرج

مر اليهودي شأس بن قيس على مجموعة من المسلمين من الأوس والخزرج في مجلس يتحادثون، وكان شأس بن قيس شيخًا كبيرًا، عظيم الكفر، شديد الحقد على المسلمين كثير الحسد عليهم، فغاظه ما شاهد من تآلف بينهم وترابط على الإسلام بعد سنوات العداوة والقتال بينهم، فبعث شابًا من يهود ليجلس معهم ثم يُذكرَهم بيوم بعاث(١) وما كان قبله فأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وبدأ القوم بذكر بعاث، فتفاخر كل فريق بما حققه من انتصارات، فتنازعوا حتى قام رجلان من الفريقين أوس بن قيظي(٢) من الأوس وجبار بن صخر(٣) من الخزرج فتواعدا على القتال، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض المهاجرين حتى جاءهم فقال: "يا معشر المسلمين

---

(١) يوم بعاث: بعاث موقع في نواحي المدينة، وقعت فيه معركة قبل الإسلام بين الأوس والخزرج، وقتل فيها سيد الأوس حضير الكتائب والد الصحابي أسيد. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٤٥١.

(٢) أوس بن قيظي: بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي، شهد أحدًا وابناه كباثة وعبد الله، ولم يحضر عرابة بن اوس أحدًا مع أبيه وأخويه، استصغره رسول الله صلى الله عليه وسلم. – ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) جبار بن صخر بن أمية بن خنساء، أحد بني سلمة، ويكنى أبا عبد الله، وشهد العقبة، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه خارصًا إلى خيبر وغيرها، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة سنة ٣٠ هـ– ٦٥١م وله عقب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٧٦.

الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به من قلوبكم فعرَّفَ أنها نزغة[١] من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا ثم انصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس[٢]، وقال الله تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا فَرِيقًا من الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}[٣].

كان اليهود بصورة عامة وهنا شأس بن قيس بصورة خاصة؛ في حالة مستمرة من الحسد على الإسلام والمسلمين، وحقدًا أبديًا عليهم، ويبدو أن ذلك شكل قاعدة لحالة العداء الأبدية من قبل اليهود على المسلمين، ومنطلقًا قويًا لاعتماد أسلوب الحرب النفسية الاستراتيجية على المسلمين، بهدف إشاعة الفرقة والانقسام بين الطوائف[٤] وأوجدَ طريقًا للسيطرة من جديد على القوى المتصارعة[٥]، فحاولوا إعادة الأوس والخزرج إلى حالة الصراع الطويل بينهم، والإبقاء على استمرارية الصدام، لإشغالهم بأنفسهم وتمهيدًا لوأد مشروع دولة الإسلام في مهده.

وقد شكلت يقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملًا قويًا لتحصين الجبهة الداخلية، ومَثَّل وعيه للحرب النفسية التي كانت تستهدف الإسلام والمسلمين؛ عنصرًا مهمًا لتقوية الصف الداخلي، فلاحق كل ما عصف فيها من فتن، وقام بالدعاية الدفاعية[٦] ولعلنا نلحظ هذا الربط العجيب بين الجاهلية والفرقة من جهة؛ وبين الإسلام وتأليف القلوب من جهة أخرى، حيث خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم نفوس المسلمين فنهاهم عن دعوى الجاهلية وحثَّهم على الوحدة، وأعقبه التشديد من قبل الله تعالى والتأكيد على ذلك؛ من خلال آياته والتي وصفت من يطيع اليهود ويستمع لهم بالكافرين، في هزة عنيفة لنفوس المسلمين لتخرجهم من حالة الاستهواء[٧].

---

(١) نزغة: أن تنزغ بين قوم فتحمل على إفساد بعضهم على بعض. – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٤٥٤.

(٢) ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ١٩٨ – ٢٠٠ابن حجر، العجاب، ج ٢، ص ٧٢٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٠.

(٤) نوفل، الإشاعة، ص ٩٧؛ العيسوي، الحربي، ص ٤٨؛ الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٥) الميداني، مكائد، ص ١٠٦.

(٦) الدعاية الدفاعية: تخدم المجهود الحربي، وتدعم الجبهة الداخلية وتزيد النفوس ثقة، وتحقق الأهداف. – الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٦.

(٧) الاستهواء: يتم استهواء الجماهير عند اجتماعها، والسلوك الجماهيري المتجاوب مع الإيحاء سلوك شديد العدوى، يضعف الروح المعنوية فتكون الجماهير أكثر تقبلا للإشاعات. – الحفني، الموسوعة، ج ١، ص ٢٩٥.

كما يمكن الإشارة إلى نتاج المعالجة النفسية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله على تحصين الجبهة الداخلية؛ والمقارنة بين ردة فعل المسلمين الأولى من هذه الحادثة بتفاعلهم مع الذكريات الأليمة في لحظة غفلة، وردة فعلهم الثانية بسرعة استحضار اليقظة وعودة اللحمة إلى صف المسلمين، وبدا وكأنَّ شيئًا لم يكن.

تحريض ابن أُبي بن سلول الأنصار على الانقلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال جابر بن عبد الله[1] رضي الله عنه: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، قال يَرَوْنَ أنها غزوة بني المصطلق، فَكَسَعَ[2] رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجري، فَسَمِعَ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية، فقيل رجل من المهاجرين كسع رجلًا من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوها فإنها منتنة، قال جابر وكان المهاجرون حين قدموا المدينة أَقل من الأنصار، ثم إن المهاجرين كثروا، فبلغ ذلك عبد الله بن أُبي فقال فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز منها الأذل، فسمع ذلك عمر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه"[3].

وفي رواية أُخرى قال عبد الله بن أبي لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر زيد بن أرقم[4] رضي الله عنه ذلك لعمه فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أنكر عبد الله بن أبي أنه قال ذلك، فكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا، وأصابه الهم حتى نزل قوله تعالى: { هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَاوَاتِ

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو عبد الله السلمي الأنصاري المديني، ذهب بصره آخرًا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم، مات سنة ٧٨ هـ– ٦٩٧م وعمره يومئذ ٩٤ سنة، صلى عليه ابان بن عثمان بن عفان والي المدينة. – الكلاباذي، رجال، ج ١، ص ١٤١.

(٢) كَسَعَ: أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دبر إنسان أو شيء، أن رجلًا كسع رجلًا من الأنصار أي ضرب دبره بيده. – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٣٠٩.

(٣) الحميدي، مسند، ج ٢، ص ٥١٩؛ ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٣٩٢؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٨٦٣؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ١٩٩٨؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٤١٧؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ٢٧١؛ ابن حزم، المحلى، ج ١١، ص ٢١٧؛ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥٤٤. (واللفظ لابن حنبل).

(٤) زيد بن أرقم بن ثابت، الأنصاري، الحارثي، الخزرجي، يكنى أبو عمرو ويقال أبو عامر، سكن الكوفة، وتوفي زمن المختار بالكوفة سنة ٦٨ هـ – ٦٨٧م.– الكلاباذي، رجال، ج ١، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ، يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }[١] فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال إنَّ الله تعالى قد صَدَّقَكَ[٢].

قد استعان المنافقون بقانون التضخيم[٣] واستغلال الإشكاليات التي تقع بين المسلمين أنفسهم ومحاولة تأجيج الأحداث وتضخيمها للوقيعة بين المسلمين والتحريض على الاقتتال الداخلي، ويظهر مما سبق مستوى الحقد والحسد من قبل ابن سلول واستغلاله الرخيص للحادثة، واستعان بالحرب النفسية الاستراتيجية لإثارة النعرات وفسخ الصف، محاولًا عزل الأنصار عن باقي المسلمين وصولًا لإعلان حالة التمرد والتخريب[٤]، وهذا ما جاء في خطابه التحريضي ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضد المهاجرين ودعوته للانقلاب على رأس الدولة وطردهم من المدينة.

ولعل ابن سلول تبنى الحرب النفسية الاستراتيجية مستعينًا بخطوات تصعيدية ضد دولة الإسلام، فحاول استهداف الاقتصاد بهدف التأثير على الأراء والمواقف للأنصار[٥]، فحرض على عدم الإنفاق على المسلمين ووقف الدعم عنهم، محاولًا فرض حالة الحصار الاقتصادي على دولة الإسلام، واستشعارًا من زيد رضي الله عنه بخطورة هذا التحريض؛ وللحد من خطر الإشاعة والتحريض؛ تحرك وبسرعة وقام بإبلاغ الرسول صلى الله عليه وسلم بطبيعة مؤامرة الانقلاب.

ويبدو أن سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعتمد على الاهتمام بالتعبئة النفسية[٦] للمسلمين، والمعالجة العاجلة والسريعة لإشكاليات المسلمين في محاولة منه لتحجيم دور المنافقين والتأثيرات السلبية لحربهم النفسية ونتائجها المخيفة على المسلمين، كما يُلاحظ أيضًا رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ القتل لمن يثير الإشاعات؛ لأنه يبقى الصف محافظًا على قوة ارتباطه داخليًا وخارجيًا، ولأن قتلهم سيعطي الفرصة لدعاة الفتنة أن يشوّهوا الأعمال النافعة بما فيها من

---

(١) سورة المنافقون، آية ٧، ٨.

(٢) ابن حميد، المنتخب، ج ١، ص ١١٣؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٨٥٩.

(٣) محفوظ، الحرب، ص ١٩؛ العيسوي، الحربي، ص ٤٨.

(٤) العيسوي، الحربي، ص ٥٣، ٥٤؛ الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٣.

(٥) المنياوي، الحرب، ص ١٦.

(٦) التعبئة النفسية: تكون قبل وقوع الحرب ذاتها، لتكون لدى الجماعة والأفراد صلابة الإرادة وصدق العزيمة وليكتسبوا المناعة ضد الدعاية والإشاعة. – الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٦.

صورة مؤلمة عند من لا يعلم سبب قتلهم[1]، وسيمنح أعداء الإسلام الفرصة لإثارة النفوس وتأجيجها ويكون وقودًا لها في الوقت نفسه.

محاولة قريش زعزعة الثقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين

توجه رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى مكة لأداء العمرة، فنزل بأقصى الحديبية عندما سمع باستعداد قريش لمقاتلته وصده عن المسجد الحرام، عرض عليهم معاهدة صلح من خلال بديل بن ورقاء، فقام عروة بن مسعود وذكّر قريش بموقفه المساند لها، وعرض عليهم مناقشة المبادرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، "فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوًا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجْتَاحَ[2] أهله قَبْلَكَ، وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهًا وإني لأرى أشوابًا[3] من الناس خَلِيقًا أن يفروا ويَدَعُوْكَ، فقال له أبو بكر امْصُصْ بِبَظْرِ[4] اللات، أنحن نفر عنه وَنَدَعُهُ، فقال من ذا قالوا أبو بكر، قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أَجْزِكَ بها لَأَجَبْتُكَ"[5].

ويتضح مما سبق أن عروة بن مسعود الثقفي حاول النيل من وحدة المسلمين وتماسكهم، فعمل على شن حربٍ نفسية ذات بعد استراتيجي على المسلمين، محاولًا من خلالها إشاعة أجواء الفرقة والانقسام بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى، ليزعزع الشعور بالثقة بينهم ويزعزع أملهم بالنصر[6]، وقد تعددت المحاولات وتنوعت في محاولة منه للمس بطبيعة العلاقة المقدسة، أو الإيحاء للطرفين بإمكانية حدوث هذا الانفصال، بالإضافة إلى محاولة التشكيك في إيمان بعض الصحابة مثل شعبة بن المغيرة الثقفي.

---

(١) ابن عاشور، تفسير، ج ١٠، ص ٢٦٦.

(٢) اجتاح: استأصل، الجائح الجراد. – ابن منظور، لسان، ج ١٤، ص ١٣٣.

(٣) أشوابًا: أخلاط من الناس، الأشواب والأوباش، الرعاع. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٩٧.

(٤) بظر: بين الإسكتين من المرأة، ويطلق هذا اللفظ في معرض الذم. – ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٧٠.

(٥) ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ٣٨٧، ٣٨٨؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٤؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٥، ٩٧٦؛ الطبري، تفسير، ج ٢٦، ص ٩٨، ٩٩؛ ابن المنذر، الأوسط، ج ١١، ص ٢٩٥، ٢٩٦؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٠، ص ١١؛ الملطي، التنبيه، ج ١، ص ٤، ٥؛ الثعلبي، تفسير، ج ٩، ص ٥٦، ٥٧؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٦) العيسوي، الحربي، ص ٤٨؛ الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

كما أضاف قائلًا: "وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة[1] قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر[2]، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف[3]، وقال له أخر يدك عن لحية رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة، فقال أي غدر، ألستُ أسعى في غَدْرَتِكَ[4]"

ويمكن الإشارة إلى قوة صف المسلمين وارتباطهم العضوي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقتهم بقيادته الحكيمة وثقته بهم، وبالإمكان القول إنهم استفادوا من محاولات الحروب النفسية السابقة لاستهدافهم، فأصبحوا صفًا عصيًا على الانكسار أمام الحروب بشتى أنواعها وأخطرها وهي الحرب النفسية[5]، ويمكن ملاحظة التناغم الكبير بينه صلى الله عليه وسلم من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى وتبادل الأدوار، فلقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم المجال واسعًا للمسلمين ليعبروا بصورة غير مسبوقة وبألفاظ غير معهودة، عن ردة فعلهم الغاضبة تجاه عروة بن مسعود والتي جاءت من قبل ابن أخيه في رسالة قوية نحو طبيعة الرابط الديني الجديد، والرافضة لمثل هذه الحرب النفسية القذرة والذي حمل لواء الرفض أبو بكر أعرف الناس بالناس.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: "أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ مَلِكًا قط يُعَظِّمُهُ أصحابه ما يُعَظِّمُ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدًا، والله إن تنخم نُخَامَةً[6] إلا وقعت في كف رجل منهم فَدَلَّكَ بها وجهه وجلده، وإذا امرهم

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، كان من دهاة العرب، غَدَر بنفر من الناس فقتلهم وهم نائمون واستولى على أموالهم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامه ورفض أموال الغدر، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، مات سنة ٥٠ هـ – ٦٧٠م. – ابن حجر، الاصابة، ج ٦، ص ١٥٦ – ١٥٨.

(٢) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، والمغفر حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه. – ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٢٧.

(٣) نعل السيف: الحديدة التي في أسفل قراب السيف، أسفل غمده، ما يكون في أسفل جفنه من حديدة أو فضة. وفي الحديث: كان نعل سيف رسول الله، من فضة. ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٦٦٩.

(٤) ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٢٩؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٦. واللفظ للبخاري.

(٥) الحرب النفسية: أكثر خطورة من الحرب العسكرية، توجه تأثيرها على أعصاب الناس ومعنوياتهم وتكون في الغالب مقنعة، بحيث لا ينتبه الناس الى أهدافها ولا يحتاطون لها. – العيسوي، الحربي، ص ٤٦.

(٦) النخامة: بالضم النخاعة، نخم الرجل نخما، تنخم دفع بشيء من صدره أو أنفه، واسم ذلك الشيء النخامة، وتنخم أي نخع. – ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص ٥٧٢.

ابتدروا امره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحيدون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها"[١].

وذكر الواقدي: "واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم؛ وقد رأيت قومًا ما يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم؛ والله لقد رأيت نَسِيَّاتٍ[٢] معه إن كن ليسلمنه أبدًا على حال؛ فَرُوْا رأيكم، وإياكم وإضجاع[٣] الرأي، وقد عرض عليكم خطةً فمادوه يا قوم، اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح، مع أني أخاف ألا تنصروا عليه، رجلٌ أتى هذا البيت معظمًا له، معه الهدي ينحره وينصرف، فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور لو غيرك تكلم بهذا للمناه، ولكن نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع إلى قابلٍ[٤]".

غيرَ أن مما يجدر ذكره هنا التحول الجذري بمواقف عروة بن مسعود، فقام بنقل ما شاهده لقريش تاركًا لنفسه العِنان في وصف مشاهداته التي لم يشاهدها من قبل، في حالة غريبة أثرت عليه من موقف المسلمين الثابت والقوي، فقام من حيث لا يدري بشن حربٍ نفسية على قريش وقام بدعاية هجومية[٥] انعكس عليها بصورة سلبية، وحقق اختراقًا أمنيًا في نفس عروة، نقله لقريش فألجمها وحطم عنجهيتها، فارضًا عليهم القبول بالجلوس للمفاوضات.

تحريض اليهود والمنافقين على الإسلام

تحريض اليهود ضد الإسلام

استمر اليهود على عدائهم للإسلام وتصديهم له، وكانت الحرب النفسية إحدى أخطر الوسائل المستخدمة من قبلهم في حربهم ضد الإسلام، فاتفق بعض اليهود منهم عدي بن زيد والحارث بن عوف على إعلان الإيمان بالإسلام صباحًا، وأن يكفروا مساءً، بهدف تشكيك المسلمين بدينهم ولعلهم

---

(١) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٣٦؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٣٠؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٦؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١١٩. (واللفظ للبخاري)

(٢) نسيات: النسوة بالكسر والضم والنساء والنسوان جمع امرأة من غير لفظها وتصغير نسوة نسية ويقال نسيات. – الرازي، مختار، ج١، ص ٢٧٤.

(٣) التضجيع في الأمر: التقصير فيه، والضجوع: الضعيف الرأي. ويقال: تضاجع فلان عن أمر كذا وكذا إذا تغافل عنه، وتضجع في الأمر إذا تقعد ولم يقم به. ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٢٢٠.

(٤) المغازي، ج ٢، ص ٨٨.

(٥) دعاية هجومية: التأثير على عقول الأعداء وعواطفهم. – الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٦.

يتركون دينهم كما نفعل نحن[1]، فأنزل الله تعالى قوله { وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُواْ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[2].

والظاهر من خلال هذه المواقف أن اليهود قد أصروا على معاداة الإسلام، ولعجزهم عن خوض الصراع عسكريًا؛ لجأوا إلى الحرب النفسية الاستراتيجية مستهدفين جل المسلمين، واستخدموا أسلوب تشكيك المسلمين بسلامة الإسلام وعدم أهليته للاتباع[3]، ومارسوا الضغط النفسي عليهم لترك دينهم، وفضحت الآيات القرآنية هذه الحرب النفسية القذرة، وبينت أنها مؤامرة من قبل اليهود، وفندتها للمسلمين وعملت على تحصينهم النفسي والمعنوي ضد مثل هذه الاستهدافات.

وقلل أحبار اليهود من إسلام عبد الله بن سلام[4] رضي الله عنه، ومن أسلم معه من اليهود، وقالوا: ما آمن بالإسلام إلا شرار اليهود، ولو كانوا من سادتنا ما تركوا دينهم واتبعوا دين غيرهم[5].

ويبدو مما تقدم أنَّ اليهود لم يرتدعوا ولم ييأسوا من محاولات تصديهم للإسلام، وكان أسلوبهم المفضل؛ في صدهم عن الإسلام هو استخدام الحرب النفسية كأقوى سلاح وأخطره، ويظهر هنا محاولتهم لتحقير من أسلم، وتهوين أمرهم، والتقليل من شأنهم، محاولين المس بالروح المعنوية للمسلمين[6]؛ من خلال ربطهم الحصري والغريب بين الخيرية وبين اليهودية، وفيه إشارة للحرب النفسية القذرة التي اتبعها اليهود ضد المسلمين للإيحاء بأن من يتبع هذا الدين هم الأشرار فقط.

تقليل اليهود والمنافقين من انتصارات المسلمين والتحريض عليهم

عمد كعب بن الأشرف[7] حين بلغه خبر انتصار المسلمين في بدر إلى التحريض ضد المسلمين وقال: والله لئن كان قد قُتِلَ قادة قريش؛ لبطن الأرض خير من ظهرها[8].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٩٥. – الخبر ضعيف، أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) سورة آل عمران، آية ٧٢.

(٣) نوفل، الإشاعة، ص ٩٩؛ العيسوي، العسكري، ص ٤٥؛ الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٤) عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي من بنى قينقاع كان اسمه الحصين، وكنيته أبو يوسف وكان حبرًا قبل أن يسلم مات سنة ٤٣ هـ- ٦٦٣م في خلافة معاوية بن أبى سفيان. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٠٠. الخبر ضعيف اخرجه ابن جرير في تفسيره والبيهقي.

(٦) العيسوي، الحربي، ص ٤٣؛ المنياوي، الحرب، ص ٥٨.

(٧) كعب بن الأشرف: من بني نبهان بطن من طيء حليف لبني قريظة. – ابن الكلبي، نسب، ج ١، ص ٨٧.

(٨) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٤٦٠ – ٤٦٥.

ويلاحظ مدى الارتباط المصيري بين اليهود ومشركي قريش، وكيف وقع عليهم خبر هزيمة قريش في بدر كوقع الصاعقة، فعمد كعب بن الأشرف إلى شن الحرب النفسية على المسلمين، من خلال التحريض على الإسلام والمسلمين، ولعل استخدامه مصطلح لبطن الأرض خير لنا من ظهرها فيه تحريض واضح وصريح لشن الحرب على المسلمين.

حاولت يهود بني قينقاع التقليل من انتصار بدر، فشنت حربًا نفسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: محمد لا يصيبك الغرور بانتصارك على نفر من قريش ليس لهم علم بالحرب، وكانوا أغمارًا[١]، فعندما تخوض غمار الحرب معنا فستعرف أننا أهل القتال، وأنك لم تلق مثلنا، فكان يهود بنو قينقاع أول من نقض العهد[٢].

يتضح مما سبق أنَّ اليهود قد اعتمدوا الحرب النفسية التكتيكية ضد الإسلام والمسلمين، ومن صور ذلك؛ التقليل من النصر الذي حققه المسلمون في غزوة بدر[٣]، ولعلهم حاولوا نسب هذا الانتصار إلى قلة خبرة قريش بفنون الحرب ولا خدعها، بل وألحقوا ذلك بالتلويح بهزيمة المسلمين في أي معركة قادمة يخوضها مع اليهود.

انطلق الأدلاء بجيش المسلمين نحو أحد حتى إذا كانوا بوسط الطريق انخذل عبد الله بن أبي بحوالي ثلث الجيش[٤]، وكان أشار على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعدم الخروج إلى قريش والبقاء بالمدينة، فقال لم يأخذ برأيي[٥]، وبعد انتهاء معركة أحد، قال اليهود: ما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ساعٍ للرئاسة، ولم يتعرض رسول قط لما تعرض له، أصيب في جسده وأصيب أصحابه، وبدأ المنافقون بالتحريض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأمرون الصحابة بالتفرق عنه، وشن المنافقون الحرب النفسية على المسلمين، مُدَّعين أن من قتل من المسلمين لو لم يخرج لما قُتل، فاستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتل من يتكلم بذلك من اليهود والمنافقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: يا عمر، إنَّ الله ناصر دينه ومعز رسوله، ولليهود ذمة[٦] فلن

---

(١) أغماراً: الأغمار جمع غُمر، لا تجربة له بحرب ولم تحنكه التجارب. – ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٣٢.

(٢) ابو داود، سنن، ج ٣، ص ١٥٤ – ٢٠٠؛ الضياء، الأحاديث، ج ١٠، ص ٣٥٢.

(٣) محفوظ، الحرب، ص ٤٩؛ الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٣.

(٤) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٦٥؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٥) المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٥.

(٦) الذِّمَّة: العهد، ورجل ذِمي أي: له عهد ويَدخل في أَمانِ المسلمين، وأَهل الذمة: أَهل العَقد وهم الذين يؤدون الجزية من المشرِكين كلهم. – الزبيدي، تاج، ج ٣٢، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

أؤمر بقتلهم، فقال عمر: فدعني أقتل المنافقين يا رسول الله، فقال: إني نُهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله[١].

ويُلاحظ أن انتصار المسلمين يوم بدر شكل هاجسًا مرعبًا على نفوس اليهود والمنافقين، فكانوا يتخوفون من تبعات ذلك على مصيرهم، ولقد جاءت نتائج غزوة أحد لتنهض بنفوسهم المهزومة والمحبطة، ولتشكل مادة إعلامية دسمة لهم، محاولين استغلالها والاستفادة منها، فعمل اليهود على تشكيك المسلمين في قيادتهم وعجزها عن تحقيق آمالها[٢]، وإنما كانت تصريحاتهم بنفي النبوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وادِّعاؤهم بأن الرسل لا تصاب في المعارك؛ فيه تشكيك للمسلمين برسالة الإسلام، وإشارة منهم للمسلمين بترك الإسلام.

ويبدو أن المنافقين شنوا الحرب النفسية على المسلمين، وعملوا على تحريضهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليؤكدوا على أن النصر لن يتحقق دون مشاركتهم في المعركة[٣]، والأرجح أنهم استغلوا ذلك لتحقيق هدفين: الأول الإشارة إلى أن رأس النفاق كان قراره صائبًا عندما عاد بثلث الجيش قبيل المعركة، وأنهم جنبوا أنفسهم القتل، أما الهدف الثاني فهو تحريض المسلمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخاذه قرار الخروج لقتال قريش.

ولذلك فقد تعاملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تحريض اليهود والمنافقين بحكمة بالغة بعد انشقاق ابن سلول بثلث الجيش والذي كان يمكن أن يتسبب بتصدع في الجيش زمن الحرب[٤]؛ وبالرغم من أن التحريض زمن الحرب خيانة عظمى[٥]، فيشار إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قتل مروجي الإشاعات والمحرضين على القيادة؛ إنما يعود لالتزام دولة الإسلام بعهودها والمحافظة على النسيج الاجتماعي لهذه الدولة.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٧٠، ٢٧١؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٥، ص ٢٧؛ الصالحي، سبل، ج ٤، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٣) الغضبان، المنهج، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٤) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٥) الخيانة العظمى: هي جريمة سياسية ضد أمن وسلامة والدولة، وتشمل: ١ – التآمر على حقوق المواطن، ٢ – تسليم البلد للأجنبي، ٣ – خلق حالة من الفوضى تسهل تدخل الدولة الأجنبية في شئون الدولة، وهي في حالة تختلف عن الجرائم العادية والمعاقب عليه جزائيًا والخاضعة للقوانين العادية. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ٦٣٤.

وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة؛ صالح يهود بني النضير على ألا يكونوا عليه ولا له، فتوجه إليهم ليعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية[١]، فتآمروا على قتله وهو جالس عندهم، فجاءه جبريل فأعلمه بخبر مؤامرة يهود على قتله، فقام على فوره متوجهًا إلى المدينة، ثم سار إليهم وحاصرهم خمس عشرة ليلة[٢]، وكان أرسل عبد الله بن أبي وبعض المنافقين إلى بني النضير أنْ اثبتوا ولا تنزلوا عند حكمه صلى الله عليه وسلم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، لكن المنافقين أخلفوا وعدهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب[٣].

ويستنتج مما سبق مدى العلاقة الوثيقة بين المنافقين واليهود، ولعل الخطوة التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق يهود بني النضير، وفرض الإجلاء عليهم من مساكنهم سببت إرباكًا في صفوف اليهود والمنافقين، فحرض المنافقون يهود بني النضير بعدم الاستجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالإمكان القول إن يهود بني النضير قد بلغوا مرحلة الاستهواء القابلة للإيحاء[٤]، فصدقوا وعد المنافقين لهم والذين فضحهم القرآن وتوَّجَهم بعار الخيانة[٥].

وفي سياق هذه المؤامرات تكرر ذلك يوم الخندق ففي لحظات الشدة والخوف والحصار؛ بَشَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنصر، فاستبشروا وقالوا الحمد لله بأن وعدنا الله النصر، فحاصرتهم الأحزاب، فشكك المنافقون بالبشارة وادّعوا أنها باطلة؛ فكيف يعدكم بالنصر على الروم والفرس وأنتم يَتَلْبَسُكُم الخوف وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تظهروا أمام الأحزاب، بل وأَتْبَعَ المنافقون قولهم هذا بالتحريض على الانشقاق والهروب من الجيش والعودة إلى منازلهم[٦].

ويبرز هنا دور الحرب النفسية التكتيكية والتي شنها المنافقون لتثبيط عزائم المسلمين وبث روح اليأس في نفوسهم[٧]،ولا تقال هذه التصريحات المثيرة إلا في الخفاء بين مجموعة من المنافقين

---

(١) عمرو بن أمية: بن خويلد بن عبد الله، الضمري، وشهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، ثم أسلم، وكان رجلًا شجاعًا له إقدام، ويكنى أبا أمية، ومات بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. – ابن سعد الطبقات، ج ٤، ص ٢٤٨.

(٢) الشيباني، السير، ج ١، ص ٥٢؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ١٨٠؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٢٢، ٣٢٣؛ الطبري، تفسير، ج ٢٨، ص ٤٥.

(٤) الاستهواء القابلة للإيحاء: يكون استعدادًا يميل صاحبه لتصديق ما يقال له من غير تمحيص ولا تحقيق. – الحفني، الموسوعة، ج ١، ص ٢٩٥.

(٥) الغضبان، المنهج، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٦) الثعلبي، تفسير، ج ٣ن ص ٤١؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٤٢٠؛ الخازن، تفسير، ج ٥، ص ٢٣٥.

(٧) من أهداف الحرب النفسية. – الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٣.

الموثوقين، ويبدو أن هؤلاء المنافقين لو احتل العدو أرضهم لتعاملوا معه وتخلوا عن دينهم(١)، ولعل هذه التصريحات التحريضية في زمن الحرب ومحاولات الأعداء استئصال دولة الإسلام والقضاء على المسلمين لا يمكن تصنيفه إلا بالخيانة العظمى.

وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المسلمين منهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ لبني قريظة للتأكد من خبر نقضهم العهد يوم الأحزاب، فتلاسنوا مع يهود بني قريظة حتى قال اليهود: إنكم والله ما لقيتم أحدًا يحسن القتال ولا يعرفه؛ نحن والله نحسن قتالكم، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين أقبح الكلام، وشتموا سعد بن عبادة شتمًا قبيحًا حتى أغضبوه، فقال سعد بن معاذ: "دعهم فإنا لم نأت لهذا، ما بيننا أشد من المشاتمة – السيف"(٢).

ويتضح مما ورد آنفًا أن نقض يهود بني قريظة العهد مع المسلمين جاء تكليلًا للحرب النفسية على المسلمين لتفتيت الحلفاء وإيجاد جو من عدم الثقة(٣)، فشكل ذلك حالة صعبة من الضغط النفسي بين صفوف المسلمين، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدًا من كبار الصحابة ليتأكدوا من الخبر، فعمد يهود بني قريظة على الاستعانة بالحرب النفسية فاستدعوا الشتم والسباب في محاولة منهم لإثارة وفد المسلمين والضغط عليهم للتعرف على ردود أفعالهم.

تحريض قريش على المسلمين

حين عاد أبو سفيان بالقافلة من الشام قبيل معركة بدر؛ أخذ الحيطة والحذر خوفًا من اعتراض المسلمين للقافلة وحذرًا منهم، فلما اطمأن على القافلة أرسل إلى قادة قريش يُعلمها بنجاته والقافلة؛ ويطلب منهم الرجوع إلى مكة، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم عليه ثلاثًا، فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف القيان(٤) وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعنا فلا يزالون يهابوننا بعد ذلك(٥).

---

(١) الغضبان، المنهج، ج ٢، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٩٢؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٣، البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٤٠٣.

(٣) نوفل، الإشاعة، ص ٩٨.

(٤) القينة: الأمة المغنية، والجمع قيان، وهي كلمة هذلية، وقيل: القينة الأمة، مغنية كانت أو غير مغنية. قال الليث: عوام الناس يقولون القينة المغنية. – ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ٣٥١.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٧٦، ٢٧٧؛ الطبري، تفسير، ج ١٠، ص ١٦؛ الثعلبي، تفسير، ج ٤، ص ٣٦٤؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٣٣؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١٩.

يستنتج مما سبق أن قريشًا شعرت بتراجع هيبتها بين القبائل خلال السنة الأخيرة، فاعترض المسلمون قوافلها وعقدوا التحالفات مع القبائل، ولعل الحدث الأخير من محاولة المسلمين اعتراض قافلة أبي سفيان أعطى المجال واسعًا لأبي جهل لمحاولة إعادة هيبة قريش، وفرض سطوتها من جديد، محاولًا الاستفادة من موسم بدر ذلك التجمع الكبير للقبائل فيه، وأراد أن تكون إقامته صاخبة مدوية لتبعث رسائل قوية إلى المسلمين وإلى جميع القبائل، فتهابهم العرب وتعود إلى تحالفاتها السابقة مع قريش، بالإضافة إلى الضغط النفسي على المسلمين فيرتدعوا ويتراجعوا عن اعتراضاتهم للقوافل القرشية.

كما استمرت الحرب النفسية من قبل قريش وقادتها ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعيد غزوة أحد وفي ساحة المعركة حاول أبو سفيان استغلال نتيجة المعركة لصالحه بهدف إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين، فعمد إلى الصعود على الجبل ونادى بأعلى صوته قائلًا: " أنعمت فعال[١]، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر"[٢]، هل رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود بينكم؟ هل أبو بكر وعمر بن الخطاب بينكم؟ وأعاد ذلك ثلاث مرات، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم أن يردوا عليه، فما كان من أبي سفيان إلا أن قال لقومه إنهم قد قتلوا، فلم يتمالك عمر نفسه ورد عليه: إنهم لا زالوا أحياء ليلحقوا فيكم النكاية، فقال أبو سفيان: إنكم ستجدون بين القتلى من مُثِّلَ بأجسادهم ولم آمر ولم أمنع ذلك، ثم بدأ يشدو اعلُ هبل اعلُ هبل، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرد، فقال عمر: الله أعلى وأجلَ، قالوا: إنَّ لنا العزى ولا عزى لكم، فرد عمر: الله مولانا ولا مولى لكم[٣]، لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وتوعد أبو سفيان المسلمين إن موعدكم بدر للعام القادم، وأجابه المسلمون بقوة نعم هو بيننا وبينكم موعد[٤].

ويتضح أن أبا سفيان علم على الاستعانة بالحرب النفسية لقطف ثمار المعركة، فوجه رسالة للمسلمين مفادها: أن نتيجة المعركة تؤكد على موقف قريش الصحيح في التصدي للرسول صلى الله

---

(١) أنعمت فعال عنها: كان الرجل من قريش إذا اراد ابتداء امر عمد إلى سهمين فكتب على أحدهما: نعم وعلى الآخر: لا، يتقدم إلى الصنم ويجيل سهامه فإن خرج سهم نعم أقدم وإن خرج سهم لا امتنع. وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل فخرج له سهم الإنعام فذلك قوله لعمر أنعمت فعال عنها: أي تجاف عنها ولا تذكرها بسوء يعنى آلهتهم. أبو السعادات، النهاية، ج ٣، ص ٢٩٤.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) الطيالسي، مسند، ج ١، ص ٩٩؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٢٩٣؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١١٠٥.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ٥٣، ٥٤.

عليه وسلم، مُرجعًا نتيجة المعركة إلى مباركة هُبل وموافقته، في محاولة منه لزعزعة الإيمان بالعقيدة[١]، وحاول التأكيد على ذلك بقوله اعل هبل؛ وذلك للنيل من إرادتهم وعزيمتهم وثقتهم بأنفسهم[٢] والضغط عليهم نفسيًا باستحالة تحقيق آمالهم وأهدافهم[٣] فيسبب لهم حالة من الإحباط، ومضيفًا أن الأيام دول وأن الحرب سجال، لبث اليأس في نفوس المسلمين وإشاعة الذعر بينهم بالمبالغة في وصف نتائج المعركة[٤]، ولينهي حربه النفسية بتحديه للمسلمين بمعركة قادمة، في إشارة منه لإثارة الرعب في نفوس المسلمين وحتى موعد المعركة.

والظاهر أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالرد على أبي سفيان حتى يرفع الروح المعنوية عند المسلمين[٥]، ويعزز ثقتهم بأنفسهم وبمنهجهم، بالإضافة إلى تحقيق نصرٍ نفسي على قريش، فكانت الردود بمثابة إحباط لمحاولات قريش من التأثير النفسي والمعنوي على المسلمين.

وأرسل أبو سفيان عقب انتهاء معركة أحد برسالة شفوية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد من عبد القيس كان قاصدًا إلى المدينة للتزود بالميرة[٦] وكانت تحمل تهديدًا إلى المسلمين أنهم قد أجمعوا السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه ليستأصلوا بقيتهم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال: حسبنا الله ونعم الوكيل[٧].

والظاهر أن الحرب النفسية بُعيد غزوة أحد من قبل أبي سفيان لم تَنْتَهِ بتحديد موعد المعركة القادمة، فعمد أبو سفيان إلى تهديد المسلمين ودولتهم بحرب استئصالية، وجاء هذا التهديد عبر وفود القبائل المتوجهة إلى المدينة، والأرجح أن أبا سفيان قصد من ذلك توجيه رسالتين: الأولى للمسلمين

---

(١) الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٢) العيسوي، العسكري، ص ٤٥؛ المنياوي، الحرب، ص ٧١.

(٣) الحفني، الموسوعة، ج ٢، ص ١٢.

(٤) المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٣.

(٥) المنياوي، الحرب، ص ٥٩.

(٦) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار أهله من باب باع، ومنه قولهم ما عنده خير ولا مير والامتيار مثل المير. – الرازي، مختار، ج١، ص ٢٦٧.

(٧) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٦٩؛ الطبري، تفسير، ج ٤، ص ١٨٠، ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٢٣٦؛ الثعلبي، تفسير، ج ٣، ص ٢٠٩؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٣١٦؛ البغوي، تفسير، ج ١، ص ٣٧٤؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٨٦؛ الصالحي، سبل، ج ٤، ص ٣١١.

من خلال الضغط النفسي عليهم وإرهابهم، بينما كانت الرسالة الثانية إلى القبائل العربية بإعادة حساباتها التحالفية من جديد.

ويمكن الإشارة إلى الروح المعنوية العالية لدى المسلمين وحصانة صفهم، فلم تستطع تلك الإشاعة أن تجد لها طريقًا إلى نفوس المسلمين، وألجأوا أمرهم إلى الله تعالى[١]، وهذا يفسر متانة الترابط بين صف المسلمين وقوة الثقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

خرج المسلمون إلى بدر الموعد في العام التالي ولم يلقوا كيدًا، وعمل أبو سفيان على إرسال نعيم بن مسعود[٢] لتخذيل المسلمين عن الخروج للقاء قريش، وحاول أن يستخدم المكر والدهاء الذي يتمتع به، فيخرج مسيرة يومٍ أو يومين فإن كان المسلمون لم يخرجوا بلغهم أنَّ قريشًا قد خرجت ورجعت لأن المسلمين لم يخرجوا فيكون هذا لقريش على المسلمين، وإن كانوا خرجوا أظهرت قريش أن هذا عام جدب فلم يخرجوا [٣].

والظاهر أن أبا سفيان حاول تحقيق نصرٍ معنويٍ دون دفع تكاليف ذلك، إلا أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لبدر شكل الموعد نصرًا معنويًا للمسلمين من خلال فرض وجودِهم في المنطقة، وأوصل الالتزام بالموعد رسائل للجميع بمدى هيبة المسلمين، واستعدادهم للمواجهة والقتال.

ويبدو أن محاولات المشركين واليهود والمنافقين لاستهداف الجبهة الداخلية لدولة الإسلام، والمس بالروح المعنوية للمسلمين، ما زالت مستمرة وبكل الوسائل وبشتى الطرق في محاولة لتصديع الجبهة الداخلية والنيل من الرابط المقدس بين المسلمين، ولقد أثبت المسلمون ترابطًا قويًا ردّوا به كل هذه المحاولات إلى نحور أعدائهم.

---

(١) نوفل، الإشاعة، ص ١١٣.

(٢) نعيم بن مسعود: بن عامر بن أنيف بن ثعلبة، الأشجعي، له صحبة؟، كان في حجر عمر بن الخطاب، وهو الذي حرك الناس يوم الخندق مات في خلافة عثمان بن عفان. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٤١٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٩، ٦٠؛ الصالحي، سبيل، ج ٤، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

المبحث الثالث

الحرب النفسية ضد المشركين

شكل الإسلام ضغطًا نفسيًا على المشركين وهاجسًا أَرَّق راحتهم، ليعلم المشركون ماذا تعني لا إله إلا الله، ويعرفون ما القصد من وراء تحقيق الألوهية، فعاشوا منذ لحظة ظهور دعوة الإسلام أسوء لحظات حياتهم، فحقيقة الإسلام الساطعة والباهرة؛ جعلهم واثقين من قدرته على إنهاء وجودهم الباطل والقضاء على كيانهم الزائف، وإن استخدام العامل النفسي في الصراع مع الأعداء ضرورة حيوية لتحقيق الأهداف الاستراتيجية، كونه أقوى أثرًا من القتال بالسلاح في تحقيق النصر بسرعة وبأقل الخسائر[١].

الحرب النفسية ضد قريش

الحرب النفسية ضد قريش في مكة

بعد فشل مفاوضات وفد قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأقتلنّه غداً وليكن ما يكون[٢]. ثم بعثت قريش عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان متوشحًا سيفه وقد كان يومئذ على الشرك، فلقيه نعيم بن عبد الله[٣] وكان أسلم قبل إذ، فقال يا عمر: أين تراك تعمد، فقال أريد محمدًا هذا الذي سفه أحلام قريش وسفه آلهتها وخالف جماعتها، فقال له نعيم والله لقد فرطت وأردت هلكة بني عدي بن كعب وهل يتركك بنو هاشم وبنو زهرة وقد قتلت محمدًا صلى الله عليه وسلم[٤].

---

(١) محفوظ، العسكرية، ص ١٧٨.

(٢) ابن اسحق، سيرة، ج ٤، ص ١٨٠؛ ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٧٥؛ الثعلبي، تفسير، ج ٦، ص ١٣٤؛ البيهقي، دلائل، ج ٢، ١٩٠؛ ابن كثير، السيرة، ج ١، ص ٤٦٤؛ السيوطي، الخصائص، ج ١، ص ٢١١.

(٣) نعيم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد عوف، القُرَشي، أسلم قديمًا، وكان يكتم إسلامه، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، وهاجر عام الحديبية، ثم شهد ما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليرموك شهيداً سنة ١٥ هـ – ٦٣٦م، في خلافة عمر. وقيل: استشهد بأجنادين سنة ١٣ هـ، في خلافة أبي بكر. – ابن الأثير، أسد، ج ٥، ص ٣٦٢.

(٤) ابن اسحق، سيرة، ج ٢، ص ١٦٠؛ السيوطي، جامع، ج ١٣، ٣١٠؛ المتقي، كنز، ج ١٢، ص ٢٧١.

لقد شكلت دعوة الإسلام وتعاليمه ضغطًا نفسيًا كبيرًا ورهيبًا على قريش وقادتها، فأخلَّت بتوازنهم وأثرت على سلوكهم، فلا يملكون حجة أمام الحجج الدامغة، فرددوا: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سفه أحلامهم وطعن في معبوداتهم الجاهلية(١)، فكان قرار قادتها قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم للتخلص من هاجس الضغط النفسي الرهيب على نفوسهم والذي يؤثر على مكانتهم الدينية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية ويهدد مصالِحَهم.

ونزلت سورة المسد بحق أبي لهب وزوجه أم جميل {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَب، وَامْرَأَتُهُ حَمّالَة الْحَطَبِ، في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}(٢) فقيل لأم جميل: إن محمدًا قد هجاك، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس بين الناس فقالت: يا محمد علام تهجوني، فقال: إني والله ما هجوتك، ما هجاك إلا الله، فقالت: هل رأيتني أحمل حطبًا؟ أو رأيت في جيدي حبلًا من مسد؟(٣).

ويمكن أن نخلص مما تقدم بأن هذه السورة قد مست بنفسية قريش، وبينت لهم طبيعة الصراع، وهدفت إلى إضعاف مقاومة الباطل وتحطيم نفسيته(٤)، بالإضافة إلى المس بنفسية من تصدر الحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعرض وزوجه لهزة نفسية عنيفة، مما أربكهما وأربك خطط قريش في حربهم النفسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحرب النفسية ضد قريش في المدينة

ذكرت عائشة رضي الله عنها " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهْجُوا قريشًا فإنه أشد عليه من رشقٍ بالنبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهْجُهُمْ فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضَّارِبِ بِذَنَبِه(٥) ثم ادلع(٦) لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لَأَفْرِيَنَّهُمْ(٧) بلساني فَرْيَ

---

(١) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦.
(٢) سورة المسد.
(٣) الحاكم، المستدرك، ج ٢، ص ٥٧٣؛ السيوطي، الدر، ج ٨، ص ٥٤٠.
(٤) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦.
(٥) بذنبه: بأتباعه والأذناب: جمع ذنب، وأذناب الأمور مآخيرها. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٣٨٩.
(٦) دلع: دلع الرجل لسانه أخرجه، ودلع اللسان نفسه يدلع دلعا ودلوعا. – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٩٠.
(٧) لأفرينهم فري الأديم أي أقطعهم بالهجاء كما يقطع الأديم. – ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ١٥٤.

الأديم، فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبًا حتى يُلَخِّصَ لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لَخَّصَ لي نَسَبَكَ والذي بعثك بالحق لَأَسُلَّنَّكَ[1] منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، قالت عائشة فسمعتُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: لِحَسَّانَ إن رُوحَ الْقُدُسِ[2] لا يزال يؤيدك ما نَافَحْتَ[3] عن اللهِ ورسوله، وقالت: سمعت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: هَجَاهُمْ حسان فَشَفَى[4] وَاشْتَفَى"[5].

يستنتج من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تأثيرَ الكلمات أشدُ وقعًا على قريش من ضربات السيوف[6]؛ فقد استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر والشعراء لِمَا لهما من دور كبير في خوض غمار الحرب النفسية وترويج الشائعات[7] للوصول إلى زعزعة معنويات المشركين[8]، وحتى تحقق الحرب النفسية أهدافها لا بد من اختيار الأنسب والأصلح لهذه المهمة، فجاء الاختيار بناء على اختبارات للمرشحين.

ويُلاحظ اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم برفع همة الشعراء، وتشجيعهم لخوض غمار الحرب النفسية ضد المشركين، فوصفه كالأسد الضاري الذي يفتك بمن يعاديه، وأعطاه أيضًا دفعة قوية من خلال الدعاء له بتأييد الملك جبريل عليه السلام له، فكان وعد حسان بن ثابت رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتقطيع المشركين بشعره، فأضاف لجهاده بيديه وسيفه؛ جهاد نظم الشعر واستعمال اللسان[9]؛ وهذا يعكس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم بنجاح وسائل الإعلام المتوفرة في ذلك العصر في الحرب النفسية ضد أعدائه.

---

(١) السَّلُّ: انتزاعك الشيء، وإخراجه في رفق، سله، يسله، سلا، كالاستلال، وفي حديثِ حسان: لأسلنك منهم كما تسل الشعرَة من العجين. – الزبيدي، تاج، ج ٢٩، ص ٢٠٧.

(٢) رُوح القُدس: يعنى جبريل عليه السلام. – مقاتل، تفسير، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٣) نافحت: كافحت. نافح أي دافع والمنافحة والمكافحة: المدافعة والمضاربة. ونفحت الرجل بالسيف: تناولته به يريد بمنافحته هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم. – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٦٢٣.

(٤) شفى واشتفى أراد أنه شفى المؤمنين، واشتفى بنفسه أي اختص بالشفاء، واشتفى افتعل منه، فنقله من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس. واشتفيت بكذا وتشفيت من غيظي. – ابن منظور، لسان، ج١٤، ص ٤٣٧.

(٥) مسلم، صحيح، ج ٤، ص ١٩٣٥–١٩٣٧؛ الطبراني، المعجم، ج ٤، ص ٣٨.

(٦) الترمذي، سنن، ج ٥، ص ١٣٩؛ النسائي، سنن، ج ٢، ص ٣٨٣؛ ابن العربي، أحكام، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٧) الداقوقي، دور، ج ٨، ص ١٢٢.

(٨) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦.

(٩) ابن حبان، مشاهير، ج ١، ص ١٢.

ولكي تظهر قوة المسلمين خلال حربهم النفسية على المشركين[١]، وللوصول إلى الحرب النفسية الناجحة والمستندة من العلم ووفق أسس مدروسة وتخطيط محكم[٢]، كانت توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليماته لحسان بن ثابت رضي الله عنه تهدف إلى معرفة أنساب قريش والعلم بقبائلها حتى تتصف كلمات حسان رضي الله عنه وأشعاره بقوة الكلمة ورصانتها ولتحقق هدفها من النيل من المشركين والتنكيل بهم وأن تؤتي الحرب النفسية ثمارها.

الحرب النفسية ضد قريش في غزوة بدر

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهمية حث المسلمين على الجهاد وتحريضهم على القتال في سبيل الله، فقال للمهاجرين والأنصار يوم بدر: سيروا على بركة الله تعالى فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين فوالله لكأني أنظر إلى مصارع القوم، وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الألوية وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الأعظم، لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج يا بني عبد الله، وشعار الأوس يا بني عبيد الله، ويقال بل كان شعار المسلمين جميعًا يومئذ يا منصور أمت[٣].

ويتضح من ذلك تركيز رسول الله صلى الله عليه وسلم على التعبئة النفسية للمسلمين لتهيئتهم قبل خوض المعركة[٤]، فيمكن ملاحظة ذلك من خلال ربط المسلمين بنتائج المعركة، فيخبرهم بوعد الله تعالى لهم إما النصر والسبي، أو الاستيلاء على القافلة، ووصلت التعبئة النفسية إلى درجة أن أبلغهم صلى الله عليه وسلم بنتيجة المعركة وكأنه ينظر إلى مصارع قادة قريش.

كما يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهمية بذل الجهد والتحضير للمعركة؛ من أجل قطع الطريق على الحرب النفسية المضادة من قبل قريش[٥]، عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية، واعتمد الشعارات أثناء المعركة لما لذلك من أثر معنوي على نفوس المسلمين؛ ساعدهم على

---

(١) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦.

(٢) الداقوقي، دور، ج ٨، ص ١٢٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٤، ١٥؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٢٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٠٦.

(٤) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٧.

(٥) المرجع نفسه، ج ٨، ص ١٠٧.

تحطيم حاجز الخوف النفسي، وخوض المعركة بروح معنوية عالية، ولعل هذا الترتيب للصفوف وهذه الروح القوية الوثابة زرعت الرعب في نفوس قريش.

ولقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعارات وصيحات القتال التي تردع العدو، مثل (الله أكبر) و(يا منصور أمت)، وما تزال الجيوش في عصرنا تتخذ لرجالها صيحات القتال لإثارة الحماسة في قلوبهم وإنزال الرعب في قلوب الأعداء[١]، بالإضافة إلى أن ظروف المعركة غير اعتيادية، ومن الضروري أن يكون هناك اسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين، خاصة وأن المسلمين والمشركين حينذاك كانوا يتشابهون في المظهر الخارجي، في الأشكال والقيافة والتسليح، مما يزيد من أهمية كلمة التعارف ويجعل لهما قيمة عالية في خدمة نتائج المعركة[٢].

ولمَّا وصف عمير بن وهب المسلمين قبل القتال في غزوة بدر، قال: "لا مدد لهم، ولا كمين، القوم ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلاً، ومعهم سبعون بعيرًا وفرسان، يا معشر قريش: البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، أما ترونهم خرسًا لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، والله ما أرى أن تقتل منهم رجلًا حتى يقتل منا رجل، فإذا أصابوا منكم عددهم فما خير في العيش بعد ذلك، فروا رأيكم؟"[٣]، فأرسلت قريش رجلًا آخر فكرر الكلام نفسه فحدث خلاف بين أبي جهل وسادات قريش حول أهمية خوض المعركة [٤]، فقال الأخنس بن شريق[٥] وكان حليفًا لبني زهرة قد نجَّى الله تعالى لكم أموالكم وأنقذ صاحبكم مخرمة بن نوفل[٦] وإنما خرجتم لتمنعوه وماله، واجعلوا لي جبن الرجوع، فارجعوا فلا حاجة لكم في هذه المعركة فرجعوا ولم يشهدها زهري واحد[٧].

---

(١) محفوظ، العسكرية، ص ١٨١.

(٢) خطاب، الرسول، ص ١٢٣.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٨١؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٦؛.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٧٣.

(٥) الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب، الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة اسمه أبي وإنما لقب الاخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر فقيل خنس الأخنس ببني زهرة فسمي بذلك، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة وشهد حنينا ومات في أول خلافة عمر. – ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ١٩٢.

(٦) مخرمة بن نوفل بن عبد مناف بن زهرة، والد المسور بن مخرمة القرشي، له صحبة، مات بالمدينة وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة، عام ٥٤هـ – ٦٧٤م. – ابن أبي حاتم، الجرح، ج ٨، ص ٣٦٢.

(٧) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٧٦، ٢٧٧؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢٨، ٢٩.

والأرجح أن محاولات قريش معرفة معلومات أمنية حول عدد المسلمين وإمكاناتهم المادية ارتد عليهم بصورة سلبية، وعمل التقرير الأمني الذي قدمه عمير بن وهب لقيادة قريش إلى إشاعة الرعب في صفوف قريش والفرقة بين قياداتهم[١]، وإحداث شرخ في وحدة الرأي وتسبب ذلك بحدوث خلافات عميقة بين قيادات قريش مما تسبب بمغادرة بني زهرة المكان دون مشاركة في القتال.

الحرب النفسية ضد قريش في غزوة أحد

لما شاع خبر مقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، حاول أبو سفيان التأكد بنفسه من مقتله، ولما لم يعثر عليه بين القتلى، قال خالد بن الوليد: لقد رأيته هو وأصحابه يصعدون الجبل، ولما انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلوون عليه[٢]، ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلي عباد الله إلي عباد الله فاجتمعوا إليه[٣].

ويبدو أن إشاعة مقتله صلى الله عليه وسلم خلال معركة أحد هدفت إلى بث الرعب في قلوب المسلمين وتحطيم قواهم النفسية والمعنوية[٤]، تمهيدًا لاستسلامهم وخضوعهم لهذه الإشاعة، إلا أن انتباهه صلى الله عليه وسلم لذلك جعله يواجه إشاعة مقتله بالحقيقة الدامغة بوجوده على قيد الحياة[٥] فكان صعوده للجبل ليؤكد هذه الحقيقة في خطوة منعت من انهيار قوات المسلمين.

ونادى بلال بن رباح رضي الله عنه بالناس صبيحة معركة أحد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بالخروج لعدوكم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم "وهو مجروح في وجهه، ومشجوج في جبهته، ورباعيته[٦] قد شظيت[٧]، وشفته السفلى قد كلمت في باطنها، وهو متوهن[٨] منكبه[٩] الأيمن من ضربة ابن قمئة وركبتاه مجحوشتان[١٠]... ومضى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢١٢؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٥، ص ١٥.

(٣) الطبري، تفسير، ج ٢، ص ٦٧؛ البغوي، تفسير، ج ١، ص ٣٥٧؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٤٤.

(٤) نوفل، الإشاعة، ص ١٠٠.

(٥) محفوظ، الحرب، ص ٦٥.

(٦) الرباعية: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا، والجمع رباعيات. – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ١٠٨.

(٧) تشظت: انشظت رباعية رسول الله أي انكسرت. – ابن منظور، لسان، ج ١٤، ص ٤٣٤.

(٨) الوهن: الضعف في العمل والعَظِم، ورجل واهن لا بطش عنده. – ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ٤٥٣.

(٩) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد، والنكب في الكتف. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٧١، ٧٧٢.

(١٠) الجحيش: الشق والناحية، ويكون الرجل مجحوشا إذا أصيب شقه. – ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ٢٧١.

وسلم بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد[١] ...وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت[٢] الله تبارك وتعالى بذلك عدوهم"[٣].

ويستنتج مما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل على استدراك نتائج غزوة أحد محاولًا قطع الطريق على قريش للعودة ومهاجمة المدينة، فخرجوا متعالين على الجراح، وعملوا على التحرك العاجل لمواجهة قريش في حمراء الأسد، في رسالة تحدي لقريش بأن المسلمين لم يرهبهم التهديد ووعيد قريش لهم، بل انطلقوا من جديد للبذل والتضحية، ليحطموا على صخرة ثباتهم وصمودهم؛ محاولات قريش للنيل من معنوياتهم[٤].

والظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعان بإشعال النيران الكثيرة العدد والضخمة الحجم، حتى تراها قريش والقبائل من بعيد، ولقد أدخلت في قلوبهم الرعب، ولم يظفروا بشيء، وأغاظهم الله تعالى وأذلهم.

كما استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعبد ليوصل لقريش رسالة قوة المسلمين ومنعتهم واستعدادهم للثأر مما حصل في أحد، فلقد قال معبد بن أبي معبد[٥] وكان يومئذ مشركًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد غزوة أحد لقد آلمنا ما أصابك، ثم تحرك معبد بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء[٦] وقد هيئوا أنفسهم للعودة لحرب المسلمين، فقال معبد لأبي سفيان: "محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى

---

(١) حمراء الأسد: هي على ٨ أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة وبالحمراء قصور لغير واحد من القرشيين. – البكري، معجم، ج ١، ٤، ص ٤٦٨، ١٣٣٠.

(٢) كبت: كبتهم أي لم يظفروا بخير، وأغاظهم وأذلهم. – الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٧٣.

(٤) محفوظ، العسكرية، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٥) معبد بن أبي معبد الخزاعي قيل إنه أم معبد في رواية أم معبد أثناء الهجرة وحلب الشاة، وشرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق من معه. – ابن الأثير، أسد، ج ٥، ص ٢٣١.

(٦) الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة. – البكري، معجم، ج ٢، ص ٦٨١.

نواصي الخيل، قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال فإني أنهاك عن ذلك، قال: والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر... فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه "[١].

والأرجح أن الإشاعة المضادة[٢]التي وصلت لقريش؛ والتي تفيد بأنَّ المسلمين قد خرجوا مصممين على انتزاع النصر، وتعويض الخسائر[٣]؛ أشاعت الرعب في صفوفهم وتسببت في إضعاف المعنويات وإحباط الحملة العسكرية لقريش[٤]، فخاف أبو سفيان من لقاء المسلمين وفترت همته وعادوا أدراجهم إلى مكة[٥]، ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعز لمعبد بتخذيل قريش ونقل مشاهدته لقوات المسلمين في حمراء الأسد مع تضخيم المشهد وتهويل ذلك.

وتحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين عند بدر الموعد منتظرًا أبا سفيان لموعده، فسأله مخشي بن عمرو الضمري هل جئت لملاقاة قريش على هذا الماء فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيجاب ومعقبًا بقوله: " وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، فقال: لا والله يا محمد ما لنا بذلك منك حاجة"[٦].

وقد سبق أن ذكرنا أنه بُعيدَ غزوة أحد استعرت الحرب النفسية بين المسلمين وبين قريش وبلغ أوجها في التواعد بينهما في بدر الموعد العام القادم، فجاء تحرك المسلمين لماء بدر، وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على مخشي بن عمرو رد التحالف الذي بينهما، ليوجه رسائل قوية ذات بعد أمني ونفسي لجميع القبائل؛ إن قوة المسلمين لم تتأثر وبإمكان المسلمين الاستغناء عن كل التحالفات السابقة ومقاتلة قريش وجميع القبائل، وسمع بذلك معبد بن أبي معبد فانطلق إلى مكة سريعًا وأخبر قريش بكثرة المسلمين في موسم بدر وأعلمهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للضمري، وأقام المسلمون ثمانية أيام هناك حتى تفرق أهل الموسم، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: لقد نهيتك يومئذ أن تَعِدَ القوم، وقد اجترأوا علينا، ورأوا أن قد أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف عنهم[٧].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٦٧، ٦٨؛ أبو الفرج، الأغاني، ج ١٥، ص ١٩٨.
(٢) الداقوقي، دور، ج ٨، ص ١٢٤.
(٣) نوفل، الإشاعة، ص ١١٣.
(٤) الهرفي، المخابرات، ص ٥٨؛ العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦؛ المنياوي، الحرب، ص ٥٨.
(٥) محفوظ، الحرب، ص ٦٧.
(٦) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ١٩١؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١١٦؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ١٦٩.
(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٩، ٦٠؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ٥٧٩ – ٥٨١.

كما يبدو مما سبق أن معبد عمل بسرعة على نقل مشاهداته في موسم بدر إلى قريش، ليسجل سبقًا ولكي يوصل رسالة لقريش ذات أبعاد نفسية؛ تشير إلى التزام المسلمين بالموعد وشكلوا الأغلبية في الموسم، فعاد عليهم بالنفع النفسي والمعنوي والمادي، فوقع ذلك على قريش كالصاعقة وتسبب بوقوع ملاسنة بين صفوان بن أمية وأبي سفيان حول نتائج هذا التحدي والذي أبرز قوة المسلمين أمام ضعف قريش.

الحرب النفسية ضد قريش في غزوة الخندق

قام أشراف بني النضير بتحريض قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعت قريش في أربعة آلاف مقاتل، فجاءهم الأحزاب من القبائل حتى استكملوا عشرة ألاف مقاتل، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم من مكة، وشاور المسلمين في ذلك، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، فأجمعت المسلمون[١]، وحفروا الخندق ونقلوا التراب على أكتافهم وكانوا يرددون: "نحن الذين بايعوا محمدًا على الإسلام ما بقينا أبدًا، والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم ويقول: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة"[٢]، كما قال البراء بن عازب[٣] رضي الله عنه: " كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، ولقد رأيته وارى التراب بياض بطنه يقول: لولا أنت ما اهتدينا نحن ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، إن الألى[٤] وربما قال الملأ قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا أبينا يرفع بها صوته"[٥]، ولما وصل المشركون إلى المدينة تفاجئوا بوجود الخندق فقالوا إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها ولا تكيدها، فقال بعضهم إن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا فارسيًا هو الذي أشار عليه بحفر الخندق[٦].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٦؛ الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٣٤.

(٢) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٠٤٣؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٣٠؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ٨٥.

(٣) البراء بن عازب: بن الحراث بن عدي بن خشم بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي، كنيته أبو عمارة، ويقال أبو عمر، نزل الكوفة، سمع النبي صلى الله عليه وسل، وقيل انه توفي زمن مصعب بن الزبير. – ابن منجويه، رجال، ج ١، ص ٩٤.

(٤) الألى: اسم موصول بمعنى الذين. – الأزهري، تهذيب، ج ١٥، ص ٣٢.

(٥) الطيالسي، مسند، ج ١، ص٩٧؛ ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٢٨٥؛ البخاري، الجامع، ج ٦، ص ٢٦٤٤؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٣١؛ الروياني، مسند، ج ١، ص ٢٢٩؛ أبو يعلى، مسند، ج ٣، ص ٢٦٣؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٤٧؛ البغوي، شرح، ج ١٢، ص ٣٧٣، ٣٧٤. واللفظ للبخاري.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٨؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ١٧٤؛ البغوي، تفسير، ج ٣، ص ٥١٢.

يتضح مما تقدم مدى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجانب النفسي للمسلمين، وعمله على رفع روحهم المعنوية فشاركهم في حفر الخندق وتقاول معهم في رجز الشعر[1] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمد ببعض الكلمات صوته في لوحة فنية رائعة عملت على تعبئة نفسية للمسلمين للتغلب على الجهد البدني المبذول في حفر الخندق أولًا، والأهم هو شحذ همم المسلمين أمام الضغوط النفسية من قبل المشركين والمهددين باستئصال شأفتهم.

الحرب النفسية ضد قريش في الحديبية وعمرة القضاء

في يوم الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة"[2].

يبدو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى إلى عرض الهدنة مع قريش ليجنبهم الصدام معه، وفيه إشارة إلى حلفاء قريش بذلك ليشكل عليهم ضغطًا نفسيًا بتخليهم عنها، ورافق عرضه التهديد باستخدام القوة إن رفضت قريش العرض، بهدف الضغط النفسي على قريش وحلفائها ولإثارة الرعب في نفوسهم والنيل من إرادتهم[3].

وفي عمرة القضاء[4] طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين إظهار قوتهم لقريش كنوع من أنواع الحرب النفسية في حالة الصراع المستمرة بين الطرفين، سواء كان ذلك في زمن الحرب أو زمن السلم فروى ابن عباس رضي الله عنهما: "إن قريشًا قالت: إن محمدًا وأصحابه قد وهنتهم

---

(١) رَجَزُ الشعر: أقصر أبيات الشعر، فالانتقال من بيت إلى بيت سَرِيْعٌ،. وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات. – الأزهري، تهذيب، ج ١٠، ص ٣٢٢.

(٢) ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٢٣؛ الطبري، تفسير، ج ٢، ص ١١٧؛ الثعلبي، تفسير، ج ٩، ص ٥٥؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٠، ص ١٥؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١٧٣؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ١٥٥؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٣١٣؛ الصالحي، سبل، ج ٥، ص ٣٧.

(٣) العيسوي، العسكري، ص ٤٥.

(٤) عمرة القضاء: جاءت موافقة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليعتمر في مكة بعد توقيع وثيقة صلح الحديبية، على أن يقيم فيها ثلاثة أيام فقط، ولا يدخل بسلاح إلا السيف بجرابه، وألا يُخرج من اهلها أحدًا إذا أراد أن يدخل الإسلام، وان لا يمنع من أصحابه احدًا إذا أراد أن يقيم بها. – البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٥١.

حمى يثرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في عمرة القضاء أرملوا[١] بالبيت ثلاثًا ليرى المشركون قوتكم فلما رملوا قالت قريش ما وهنتهم"[٢].

ولقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على إظهار قوة المسلمين وقدرتهم على الحركة السريعة ليشكل ذلك إرهابًا لقريش وإخافتها من مغبة التفكير في الاعتداء على المسلمين[٣]، ولتشكل حقيقة قوة المسلمين والتي بدت ظاهرة للعيان إحباطًا لقريش ولتزيل آثار إشاعة مرض المسلمين[٤].

الحرب النفسية ضد قريش يوم فتح مكة

لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح علمت بذلك قريشًا، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتأكدون من الخبر، فوصلوا إلى مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فرآهم جنود المسلمين فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: "احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة قال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال مالي ولغفار... حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عباده معه الراية فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذّمار[٥]، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام"[٦].

---

(١) الرمل، الهرولة، ورمل يرمل رملا وهو دون العدو وفوق المشي، والطائف بالبيت يرمل رملانا اقتداء بالنبي وبأصحابه، وذلك بأنهم رملوا ليعلم أهل مكة أن بهم قوة. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص٢٩٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢٣؛ ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ٣٧٣؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٥٣؛ ابن خزيمة، صحيح، ج ٤، ص ٢١٥؛ ابن حجر، تغليق، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) محفوظ، الحرب، ، ٢٣.

(٤) محفوظ، العسكرية، ، ١٩٢.

(٥) الذمار: ذمار الرجل، وهو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه، الذمار الحرم والأهل، والذمار: الحوزة، والذمار: الأنساب. وفي حديث أبي سفيان: قال يوم الفتح: حبذا يوم الذمار يريد الحرب لأن الإنسان يقاتل على ما يلزمه حفظه. – ابن منظور، لسان، ج٤، ص ٣١٢.

(٦) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٥٩؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ١٩؛ الحميدي، الجمع، ج ٣، ص ٣٢٥، ٣٢٦؛ العيني، عمدة، ج ١٧، ص ٢٧٨.

فلما مر الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال: "ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة، قال: ما قال، قال كذا وكذا، فقال: كذب سعد ولكن هذا يوم يُعظِم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة، قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرْكَزَ رايته بالحجون[١] ... وأمر رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء[٢]، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كُدَا[٣] فقتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر[٤] وكرز بن جابر الفهري[٥]، ورُوي أنه صلى الله عليه وسلم لما بَلغه كلام سعد بن عبادة في قريش وتوعده لهم أخذ الراية منه وأعطاها إلى ابنه قيس بن سعد[٦] رضي الله عنهما[٧].

ولقد كان فتح مكة حدثًا حضاريًا قلما يحصل مثله، ويمكن القول إن الحرب النفسية الاستراتيجية[٨] والتي استندت إلى الخطة التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة والتي تميزت بالسرية التامة وقطع المعلومات عن قريش، وهدفت إلى مباغتة قريش ومفاجأتها من أجل إحداث الهزيمة النفسية لها والقضاء على معنوياتها، وسلب كل أمل منها في المقاومة[٩]، وبالإمكان ملاحظة كيف كان هَم قريش وتفكيرها في كيفية النجاة، ولعل قادة قريش وخاصة أبا سفيان أُسقط نفسيًا، وكان جاهزًا دون تردد لتنفيذ ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها مكان من البيت على ميل ونصف والحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين. ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) كَداء: جبل بمكة وهو عرفة بعينها وهي كلها موقف إلا عرنة. – البكري، معجم، ج ٤، ص ١١١٧.

(٣) كدى: أسفل مكة بقرب شعب الشافعيين وشعب ابن الزبير عند قعيقعان وهو لمن خرج من مكة إلى اليمن. – البكري، معجم، ج ٤، ص ١١١٨.

(٤) حبيش بن خالد: الخزاعي أبو صخر وخالد يدعى الأشعر، وقيل إنه أبو معبد الكعبي الخزاعي، شهيد الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتيل البطحاء. – أبو نعيم، معرفة، ج ٢، ص ٨٧١.

(٥) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٥٩؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ١٩؛ العيني، عمدة، ج ١٧، ص ٢٧٨.

(٦) قيس بن سعد: بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف، الخزرجي، كنيته أبو القاسم وقيل أبو عبد الملك، كان على مقدمة علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوم صفين، ثم هرب من معاوية سنة ٥٨ هـ، وسكن تفليس سنة خمس وثمانين في ولاية عبد الملك بن مروان، وقيل مات في آخر ولاية معاوية بن أبى سفيان. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٣٥.

(٨) الحرب النفسية الاستراتيجية: تسعى إلى تحطيم كامل لإرادة العدو بالقتال، من خلال حملة شاملة وممتدة زمانًا ومكانًا لجعل وضع معين أمرًا واقعًا. – شحاته، من تطبيقات، ص ١٩٠.

(٩) محفوظ، الحرب، ص ٧٥.

ويجب الإشارة إلى الحرب النفسية التعبوية[١] من خلال إشعال النيران الكثيرة العدد والكبيرة الحجم[٢]، وإجبار أبي سفيان على الوقوف عند مضيق الوادي ليشاهد مرور الكتائب؛ فيه دلالة على براعة وإحكام في أمر تخويف قادة قريش وأبي سفيان والضغط النفسي عليهم، بالإضافة إلى إعطائه أمان يبلغه لقريش إذا هي استسلمت بلا مقاومة[٣].

وكما يُلاحظ مدى اهتمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنجاح خطته للسيطرة النفسية على قريش، فلما علم بالتصريحات العنيفة لأحد قادته، عمل على استبداله فعزل سعد بن عباده رضي الله عنه[٤]، ليوصل رسالة للمسلمين بأهمية الالتزام بالخطة وعدم الخروج عنها، وأخرى لقريش لتأكيد ما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المرحمة وتعظيم الكعبة.

واستكمالًا لمراحل الحرب النفسية شكلت الحرب النفسية التعزيزية[٥] ضد قريش؛ لعدم ترك أمرٍ دون وضعه بالحسبان، فلم يَرْكَن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما تم الاتفاق عليه مع أبي سفيان؛ بل اعتمد خطة لدخول مكة من جميع الجهات ليقطع على قريش أي أمل في المقاومة.

الحرب النفسية ضد اليهود والمنافقين

الحرب النفسية ضد اليهود بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع في السوق بعيد انتصار بدر، فقال: "يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً"[٦]، وقال تعالى: {قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ، قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِى الأبْصَارِ}[٧].

---

(١) الحرب النفسية التعبوية: تسعى للإسراع باستسلام العدو من خلال بث الشك في إمكانية صموده، وإشاعة اليأس في إمكانية تحقيق النصر، وخلق حالة من التذمر بين مقاتليه. – شحاته، من تطبيقات، ص ١٩٠.

(٢) العليمي، دروس، ص ٢٨١.

(٣) محفوظ، الحرب، ص ٧٢، ٧٤.

(٤) البيهقي، معرفة، ج ٧، ص ٦٨.

(٥) الحرب النفسية التعزيزية: تستخدم أساليب الترهيب والترغيب لإقناع المهزوم والمستسلم بأن وضعه الحالي نهائياً، وإن مصلحته بتقبله هذا الوضع وتعاونه مع المنتصر. – شحاته، من تطبيقات، ص ١٩٠.

(٦) ابو داود، سنن، ج ٣، ص ١٥٤؛ الضياء، الأحاديث، ج ١٠، ص ٣٥٢.

(٧) سورة آل عمران، آية ١٢، ١٣.

شكل انتصار المسلمين هيبة ورعبًا للأطراف الأخرى في المدينة المنورة وما حولها(١)، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على استثمار هذا النصر من خلال بث الرعب في نفوس بني قينقاع وذلك عن طريق وصف انتصار المسلمين وهزيمة المشركين، ولتوصيل رسالة ليهود بني قينقاع أنهم أمام قوة جديدة في المنطقة يجب أن يحسب لها(٢)، وقد ظهر ذلك أيضًا من خلال الآيات القرآنية التي حذَّرت يهود بني قينقاع تحذيرًا شديد اللهجة.

ولما قُتل اليهودي كعب بن الأشرف(٣) خافت يهود، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود(٤) على رجل يهودي فقتله، فقال حويصة ابن مسعود(٥) لمحيصة لماذا قتلته؟ فقال محيصة: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك ما ترددت بذلك، فقال والله إنَّ دِينًا بلغ بك هذا لدين له شأن، فذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم حويصة(٦)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهود: لقد نال منا كعب بن الأشرف بالشعر والهجاء، ومن سيفعل هذا منكم فَسَيُقتل مثله، ودعاهم صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينهم كتاب يلتزمون بما فيه فخافت يهود، وذلت من يوم مقتل كعب بن الأشرف(٧).

ويبدو أن حادثة اغتيال كعب بن الأشرف شكلت ضغطًا نفسيًا رهيبًا ضد اليهود، وعملت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من يُظْفَر به من رجال يهود؛ حالة من الصراع النفسي بواسطة محتوى دعائي يؤكد تعرضهم لملاحقات لا أمل لهم في مواجهتها(٨)، فزرعت الرعب في

---

(١) ولفنسون، تاريخ، ص ١٣١؛ خطاب، الرسول، ص ١٥١.

(٢) شحاته، من تطبيقات، ص ١٨٢؛ المنياوي، الحرب، ص ٢٠٦.

(٣) كعب بن الأشرف: اليهودي أحد بني النضير، آذى رسول الله بالهجاء، قال لقريش أنتم أهدى من المسلمين سبيلا، حرض المشركين على قتال رسول الله معلنا بعداوته وهجائه. – ابن شبه، تاريخ، ج ١، ص ٢٥٠.

(٤) محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي، يكنى أبا سعد يعد في أهل المدينة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام وشهد أحدًا والخندق وما بعدها من المشاهد وهو أخو حويصة ابن مسعود على يده أسلم أخوه حويصة بن مسعود. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٦٣.

(٥) حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي، الأنصاري، الأوسي، النجاري، وهو أخو محيصة، شهد أحد والخندق وسائر المشاهد بعدهما. – ابن الأثير، أسد، ج ٢، ص ٩٤.

(٦) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٣٠٠؛ الشيباني، شرح، ج ١، ص ٢٧٦.

(٧) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٩؛ ابن تيمية، الصارم، ج ٢، ١٥٢.

(٨) شحاته، من تطبيقات، ص ١٩٤.

نفوسهم، مما دفعهم إلى اللجوء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقبولهم التعهد بعدم التعرض للمسلمين ولا لأعراضهم وتحت طائلة الملاحقة والقصاص لكل من يتجاوز العهد.

الحرب النفسية ضد يهود بني النضير

همت بنو النضير على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غدرًا، فكلفت عمرو بن جحاش[١] ليطرح عليه صخرة ليقتله، فأعلمه الله تعالى بجريمتهم فغادر المكان، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة[٢] إلى بني النضير، فقال: "أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرًا فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه" فاستعدوا للرحيل واستعاروا إبلًا لنقل حاجاتهم، فأرسل إليهم ابن أبي ألا تخرجوا من دياركم واثبتوا فسأقدم لكم العون والمدد العسكري، فأرسل حيي بن أخطب[٣] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لن نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير[٤]، وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب، وقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهدًا فقاتلهم يومهم ذلك[٥]، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم "حرق نخل بني النضير وقطع وَهِيَ[٦] البويرة[٧]، ولها يقول حسان: وَهَانَ على سراة بني لؤي، حريق بالبويرة مُستطير "[٨] يقول تعالى: {ما قَطَعْتُمْ من لِينَةٍ أو تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً على أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}[٩].

---

(١) عمرو بن جحاش بن كعب بن بسيل، من يهود بني النضير. – ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٧.

(٢) محمد بن مسلمة بن سلمة بن حريش، الأوسي الحارثي الأنصاري، وكنيته أبو عبد الله، وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ضرب فسطاطه بالربذة واعتزل الفتن إلى أن مات سنة ٤٣ هـ – ٦٦٣م في ولاية معاوية بالمدينة وهو ابن ٧٧ سنة وصلى عليه مروان بن الحكم ودفن بالبقيع. – ابن منجويه، رجال، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٣) حيي بن أخطب: بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم، من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم، وابنته أم المؤمنين صفية وأمها برة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ١٢٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٧؛ العيني، عمدة، ج ١٧، ١٢٦؛ الصالحي، سبل، ج ٤، ص ٣٢١.

(٥) أبو داود، سنن، ج ٣، ص ١٥٦؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٢٣٢؛ ابن كثير، تفسير، ج ٤، ص ٣٣٢.

(٦) وَهِيَ: وَهِيَ الحائط إذا ضعف وهم بالسقوط. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٣٠٧.

(٧) البويرة: تصغير بورة، بستان كان به نخل لبني النضير. – الزبيدي، تاج، ج ١٠، ص ٢٥٧.

(٨) أبو عبيد، الأموال، ج ١، ص ١٥، ١٦؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٨١٩؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٣٦٥؛ ابن ماجه، سنن، ج ٢، ص ٩٤٨، ٩٤٩؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٩) سورة الحشر، آية ٥.

والظاهر أن حسد اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحقدهم قد بلغ مداه، فحاكوا المؤامرات لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخلو لهم الساحة، فاستعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرب النفسية والضغط المعنوي لإرهابهم وبث الرعب والتخويف من الموت والفقر وإطلاق الشائعات لإخراجهم عنوة من المدينة(١).

كما يُلاحظ أن يهود بني النضير رفضوا التعهد بعدم التعرض للمسلمين، والظاهر أن قطع النخيل وتحريقه كان سببًا في تسريب اليأس في قلوب اليهود، بالرغم من إصرارهم اللاعقلاني وغير المبرر منطقيًا؛ برفض كل الحلول، حتى خضعوا لمغادرة المدينة وبشروط المسلمين(٢).

الحرب النفسية ضد يهود بني قريظة

اجتمعت الأحزاب من قريش وغطفان وبني أسد وبني سليم وبني قريظة وحاصرت المدينة، وكانت بنو قريظة على عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوه وظاهروا المشركين(٣)، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أسلم(٤) في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة خلال حصار الأحزاب للمدينة المنورة، ويظهرون التكبير لخوفه على ذراري المسلمين من بني قريظة(٥).

وشكلت واقعة نقض يهود بني قريظة للعهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرًا مقلقًا للمسلمين؛ خوفًا على نساء المسلمين وأطفالهم في وقت انشغال المسلمين في صد الأحزاب عن المدينة في غزوة الخندق، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريك مجموعات من المقاتلين حول القلاع والمساكن مظهرين التهليل والتكبير في رسالة تثبيت للمسلمين، ورفع لروحهم المعنوية، ورسالة أخرى ليهود بني قريظة لإظهار القوة لهم وإشاعة الرعب في قلوبهم(٦)، ويمكن القول إن هذا

---

(١) المنياوي، الحرب، ص ٢٠٨.

(٢) ولفنسون، تاريخ، ص ١٣٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٧١.

(٤) سلمة بن أسلم بن حريس بن عدي بن مجدعة، ويكنى أبا سعد، وبنو حريس بن عدي دعوتهم ودارهم في بني عبد الأشهل، وقد انقرضوا في أول الإسلام، وشهد سلمة بن أسلم بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله، وقتل بالعراق يوم جسر أبي عبيد الثقفي سنة ١٤ هـ – ٦٣٥م، وهو ابن ٦٣ سنة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٤٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٣٠؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ١٢٣.

(٦) العليائي، الحرب، ج ٨، ص ١٠٦.

الحراك العسكري شكل أحد الموانع الرئيسة لمنع بني قريظة من التمادي بمخططهم التآمري مع قريش ولمنع أي اعتداءات على المسلمين.

حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حصون يهود بني قريظة، فلما رأوا المسلمين علموا سوء منقلبهم نتيجة نقضهم العهد مع المسلمين يوم الأحزاب، وبدأوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، فقال لهم أبو قتادة رضي الله عنه الحرب بيننا وبينكم، وكره المسلمون أن يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم سباب يهود، فتقدم إليهم أسيد بن حضير وقال لهم يا اعداء الله لن نغادر حصونكم حتى تموتوا جوعًا، فأنتم محاصرون ولن نسمح لكم أن تغادروا المكان، فقالوا يا ابن حضير نحن حلفاءكم، فقال لهم لا عهد بيني وبينكم(١).

ولقد كان لنقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن حصار المشركين للمدينة؛ نتائج وخيمة عليهم، فشن المسلمون الحرب النفسية عليهم، وهددوا بحصارهم والتلويح بالحاجات الأساسية الأولية لهم كالطعام؛ لتحطيم معنوياتهم وإذلال قادتهم، لإجبارهم بقبول شروط المسلمين(٢)، فانهارت نفوسهم وخارت قواهم وكانوا مهيئين للسقوط، ويمكن القول إن الحرب النفسية قد شكلت عاملًا مهمًا من عوامل حسم غزوة بني قريظة وأجبرتهم على الاستسلام.

وأخيرًا نزل يهود بني قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم، فحكم فيهم أن تقتل المقاتلين وتسبى النساء والأولاد وأن تقسم أموالهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت عليهم بحكم الله تعالى(٣)، وحبسهم صلى الله عليه وسلم في دار لبني النجار، ثم أخرجهم إلى سوق المدينة فضرب أعناقهم، وكانوا يخرجون أفواجًا وفرقًا متقطعة بعضهم يتلوا بعضًا، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد وغيرهم، وهم ستمائة أو سبعمائة تقريبًا، وذكرت عائشة رضي الله عنها لم يقتل من نساء يهود بني قريظة إلا امرأة واحدة لقتلها أحد المسلمين(٤).

إن ما تقدم يشير إلى الأهمية القصوى لتشكيل حالة الردع، فنقض يهود المدينة كل العهود والمواثيق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطعوا كل أمل بالحياة المشتركة في دولة الإسلام،

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٥، ٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٩، ٩٢؛ ابن منظور، مختصر، ج ٢، ٩٤.

(٢) شحاته، من تطبيقات، ص ١٩٤.

(٣) الدورقي، مسند، ص ٥٧؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥١١؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٣٨٩؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ١٨، الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣١٤.

(٤) ابن هشام، سيرة، ج ٣،ص ٢٣٠، ٢٣١؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٠١، ١٠٢.

وأبوا إلا أن يكون عامل هدم فيها، فكان لزامًا على المسلمين أن يتبنوا موقفًا قويًا ليشكل حالة ردع لكل من تسول له نفسه العبث بالجبهة الداخلية أو التعاون مع جهات معادية، ولم تكن العقوبة الشديدة إلا جزاءً للخيانة العظمى التي ارتكبها بنو قريظة، ولا زالت الدول تحكم بقتل الخونة المتواطئين مع الأعداء وحتى في الوقت الحاضر[١].

في ضوء ما تقدم يمكن الإشارة لنظرية الردع الإسلامي والقائمة على إرهاب الأعداء وضربهم بقوة وعنف ليستشعروا بشدة المسلمين وغلظتهم، وليشكل ذلك عندهم وفي قلوبهم الرهبة والرعب من التفكير بأي عدوان على المسلمين، وإذا كانت نظرية الردع الإسلامي نظرية استراتيجية حربية فإنها تنطوي على رفع المعاني السلمية وحقن الدماء[٢]، كما سنشاهده في فتح مكة.

الحرب النفسية ضد يهود خيبر

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "لما غزا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال لما توجه رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله أكبر الله اكبر لا إله إلا الله، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أربعوا[٣] على انفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم..."[٤]. ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ليلًا، وكان إذا أتى قومًا لم يهاجمهم إلا صباحًا، فلما أصبح رأوه اليهود فقالوا: محمد والله محمد والخميس[٥]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين"[٦]، فقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود، وحدث قتال عنيف بين الطرفين، واستُشهِد من الصحابة خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفُتحت حصون خيبر كلها[٧].

---

(١) العمري، السيرة، ج ١، ص ٣١٧.

(٢) محفوظ، العسكرية، ص ١١٠، ١١٢.

(٣) أربعوا: رَبَعَ عليهِ رَبْعًا عَطَفَ، وقيل: رَفَقَ. – الزبيدي، تاج، ج ٢١، ص ٢٩.

(٤) ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٤١٧؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٤١؛ البغوي، شرح، ج ٥، ص ٦٦؛ الخازن، تفسير، ج ١، ص ١٥٩؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٤٠٤.

(٥) الخميس: الجيش، وقيل: الجيش الجرار، وقيل: الجيش الخشن، وفي المحكم: الجيش يخمس ما وجده، وسمي بذلك لأنه خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة. – ابن منظور، لسان، ج ٦، ص ٧٠.

(٦) الشافعي، الأم، ج ٤، ص ٢٥٢؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٣٨؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٢٦؛ البزار، مسند، ج ١٣، ص ٥٣؛ الطبراني، المعجم، ج ٥، ص ٩٧؛ البغوي، شرح، ج ١١، ص ٥٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٠٦، ١٠٧.

وكما يبدو واضحًا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمد على الحرب النفسية لحسم المعارك العسكرية دون خسائر بشرية، فأراد أن يباغت يهود خيبر صباحًا، ويمكن القول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بالتكبير ليرفع همم المسلمين وليلقي الرعب في قلوب يهود.

وكما يمكن الإشارة إلى الحالة المهيمنة على المسلمين، وارتفاع الروح المعنوية عندهم، وهم متوجهون إلى خيبر المحصنة قلاعها، والممتلئة بالرجال والسلاح والمؤن، والتي لم تمنعهم من تحقيق أهدافهم[١]، ومن حق الجميع أن يتساءل: هل يمكن لأحد أن يقف أمام هكذا رجال يتمتعون بهذه الروح ويتصفون بمثل هذه الصفات؟

الحرب النفسية ضد المنافقين

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المنافقين يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم وقد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم من المسجد، فقام أبو أيوب الأنصاري بسحب عمرو بن قيس فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه، ثم أقبل إلى أبي رافع بن وديعة النجاري فلببه بردائه ثم نتره نترًا شديدًا ولطم وجهه فأخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له أف لك منافقًا خبيثًا، وقام عمارة بن حزم[٢] إلى زيد بن عمرو فأخذه بلحيته الطويلة وقاده بها قودًا عنيفًا حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة كلتا يديه فلدمه بهما لدمة في صدره وقع منها، قائلًا له أبعدك الله يا منافق، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقام مسعود بن أوس[٣] إلى قيس بن عمرو[٤]، وكان شابًا وليس في المنافقين شاب سواه، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه[٥].

---

(١) العمري، السيرة، ج ١، ص ٣٢١.

(٢) عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان، وشهد عمارة العقبة مع السبعين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل يوم اليمامة شهيداً سنة ١٢ هـ، وليس له عقب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٨٦.

(٣) مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم، وأمه عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة من بني مالك بن النجار وكانت من المبايعات، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٩٠.

(٤) قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة بن الحارث، الأنصاري، جد يحيى بن سعيد التابعي المشهور، وله صحبة، وعدَّه الواقدي من المنافقين ولعل ذلك أول الأمر، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. – ابن حجر، الإصابة، ج ٥، ص ٣٧٢.

(٥) أبن هشام ، سيرة، ج ٢، ص ١٦١، ١٦٢؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٣٦٨، ٣٦٩.

والأرجح أن أمر رسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بإخراج المنافقين من المسجد لم يكن لنفاقهم؛ بقدر ما كان لسلوكهم المشبوه والمرفوض؛ والذي يسبب شكلًا من أشكال المناجاة وإثارة الفتنة وتشتيت الصف، حيث هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك إلى المحافظة على البعد المعنوي للمسلمين داخل قلاعهم وقواعدهم في محاولة منه لتأمين الفكر والمعتقدات والمحافظة على القيم والعادات، بالإضافة إلى توفير الأمن للمسلمين؛ لزيادة الشعور بالانتماء وتنميته لدولة الإسلام والولاء لها[(١)]، ولعل سياسة العزل للمنافقين كان هدفًا آخر، ساهم بتحجيم دورهم وفضح سرهم وكشف أمرهم أمام المسلمين وكافة الناس.

ولمَّا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي أوان[(٢)]، وكان بعض المنافقين قد حضروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يتجهز لتبوك فقالوا: إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فأرجأ ذلك إلى حين عودته من تبوك، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه خبر المسجد من الله، فأرسل مالك بن الدخشم[(٣)] ومعن بن عدي[(٤)] أو أخاه عاصم بن عدي[(٥)] ليهدما هذا المسجد الظالم أهله ويحرقاه[(٦)]. ونزل قول تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[(٧)].

---

(١) المنياوي، الحرب، ص ٢٦٧.

(٢) ذي أوان: أوان على لفظ الأوان من الزمان وهو موضع بينه وبين المدينة ساعة من نهار. – البكري، معجم، ج ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وأمه عميرة بنت سعد بن قيس، وشهد مالك بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك مع عاصم بن عدي فأحرقا مسجد الضرار وليس له عقب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٤٩.

(٤) معن بن عدى بن عجلان من بلى، حليف لبنى عمرو بن عوف، قتل يوم اليمامة سنة ١٢ هـ. ابن أبي حاتم، الجرح، ج ٨، ص ٢٧٦.

(٥) عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان بن ضبيعة، وهو من بلي، بدري بسهمه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر فرده من الطريق واستخلفه على العالية وقيل: إنه عاش ١١٥ سنة. – أبو نعيم، معرفة، ج ٤، ص ٢١٣٩.

(٦) أبن هشام ، سيرة، ج ٤، ص ٢٠٢، الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٨٦؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ٢٤٢؛ النويري ، نهاية، ج ١٦، ص ٣٠١.

(٧) سورة التوبة، آية ١٠٧.

ولقد جاءت محاولة المنافقين بإنشاء مسجد الضرار وسعيهم لأخذ الشرعية لهذا المسجد من خلال صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه؛ ولبناء جيب داخل دولة الإسلام، والذي يمكن وصفه بالطابور الخامس والذي يستند إليه الأعداء لتحقيق أهدافهم بالحرب النفسية المعلنة على المسلمين(١).

ويبدو أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الضرار والذي تمثل بحرقه وإزالة من الوجود؛ يمثل ذروة الحرب النفسية ضد المنافقين والتي توجت بتنزّل الآيات الكريمة لتفضح المنافقين وتكشف حقيقة بناء المسجد والتي سعت للتفريق بين المسلمين.

إن الحرب النفسية شكلت وتُشكّلُ سلاحًا مهمًا طوال مراحل الصراع بين دولة الإسلام وبين أعدائها، ولعل الحرب النفسية كانت من أخطر أسلحة هذا الصراع الطويل، بل وحسمت كثيرًا من المعارك وجنبت المسلمين الصدام العسكري أحيانًا، ولقد أظهرت القوة التي تُرهب الأعداء لديهم اتجاهًا نفسيًا يسيطر عليهم فيدفعهم إلى الامتناع عن العدوان أو استخدام القوة(٢).

---

(١) المنياوي، الحرب، ص ٢٣٣.

(٢) محفوظ، العسكرية، ص ١٠٠.

الفصل الثالث

الحماية والتحركات الأمنية في عهد النبوة

المبحث الأول: حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: حماية الأماكن والاجتماعات

المبحث الثالث: التحركات الأمنية للمسلمين

المبحث الأول

حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعد عملية حماية الشخصيات المهمة من أخطر المهمَّات الأمنية، وتزداد خطورتها عند تحرك الشخصيات لأداء الأعمال المنوطة بهم، وهذا يتطلب القيام بتشكيل الدوائر الأمنية لحماية القيادة، وإحاطتها بشبكة الأمان الأولى، وإن حياة القيادة مرهونة بمدى قوة ولاء رجال هذه الدائرة وانتماءهم للقيادة[١]، وطبيعة الإجراءات الأمنية المتخذة ومدى الالتزام بها[٢]، ولقد شكلت حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبًا مقدسًا عند المسلمين، فكان المسلمون يعلمون علم اليقين بسعي المشركين واليهود الحثيث لقتله صلى الله عليه وسلم والانتهاء من رسالته، وهم متأكدون أن الأمر لا يحتمل تَغَيُّبُه قبل أدائه الأمانة التي أُنيط بها، فلذلك سعى المسلمون لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاهتمام بحراسته؛ ممن يتربصون بالإسلام ويضمرون له الحقد ويودون إطفاء نوره[٣]، حتى لو كلفهم ذلك حياتهم.

حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة

سعى قادة قريش للتصدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايذائه في مكة ومن الأمثلة على ذلك؛ أن عبد الله بن مسعود ذكر: "بينما رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة وَجَمْعُ في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ا[٤] ودمها وسلاها[٥] فيجيء به ثم يُمْهِلُهُ حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاهم فلما سَجَدَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وَثَبَتَ النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق مُنْطَلِقٌ إلى فَاطِمَةَ[٦] عليها السَّلَام وهي

---

(١) الثلاثيني، الأمن، ص ١٧٠.

(٢) السبهان، دور، ص ٣٣.

(٣) أحمد، الاستخبارات، ص ١٥٦.

(٤) فرثها: الفرث: وهو الكرش، وأفرثت الكرش: إذا شققتها، ونثرت ما فيها. – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ١٧٦.

(٥) سلى: السلى الجلد الرقيق الذي يحيط بمولود الحيوانات. – ابن منظور، لسان، ج ١٤، ص ٢٩٦.

(٦) فاطمة الزهراء بنت سيد البشر، محمد بن عبد الله، الهاشمية، تكنى أم أبيها، تزوجها علي بن أبي طالب، وانقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من فاطمة، وهي سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم، وسيدة نساء العالمين، وتوفيت فاطمة في رمضان ١١ هـ – ٦٣٢م. – ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٦٢ – ٢٦٨.

جويرية، فأقبلت تسعى وَثَبَتَ النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قَضَى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّلَاةَ قال اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم سَمَّى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة[1] وشيبة بن ربيعة[2] والوليد بن عتبة[3] وأمية بن خلف وعقبة بن ابي معيط[4] وعمارة بن الوليد[5]، قال عبد الله فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[6]، قليب بدر، ثم قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأُتْبِعَ أصحاب القليب لعنة"[7]، وقيل إن عقبة بن أبي معيط هو الذي قذف السلى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم [8].

يتضح مما تقدم سعي قريش للقضاء على دعوة الإسلام في مهدها من خلال التعرض لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعمدوا إلى إلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمكن القول إن عملية حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال تلك الفترة كانت على عاتق من يكون قريبًا منه، والأرجح أن سرعة الإستجابة من قبل فاطمة رضي الله عنها، وردة فعلها لمواجهة هذا الخطر؛ كانت كفيلة بإنقاذه من محاولة التمادي بالتعرض له بالأذى [9].

---

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، ابنته هند بنت عتبة زوج أبو سفيان، وجد معاوية بن أبي سفيان، قتل في غزوة بدر مشركًا. – ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ٨، ص ٥٧٥، ١٥٣.

(٢) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، من رؤساء قريش وصناديدهم، قُتل يوم بدر في المبارزة كافراً. – النووي، تهذيب، ج ١، ص ٢٣٦.

(٣) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أخ هند بنت عتبة زوج أبو سفيان، قتل في غزوة بدر مشركاً. – ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ٥٧٥.

(٤) عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، وكان عقبة من أشد الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُسر عقبة يوم بدر فأمر عليًا فقتله صبرًا بعرق الظبية. – البلاذري، أنساب، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٥) عمارة بن الوليد بن المغيرة ، المخزومي، ذكرت بعض الروايات أن قريش بعثته مع عمرو بن العاص إلى النجاشي لاسترجاع المسلمين المهاجرين، مات في خلافة عمر. – ابن حجر، الإصابة، ج ١٨، ص ١٢٧.

(٦) القَليب: البئر العادية القديمة، مطويّةً كانت أو غير مطويّة، ذات ماء أو غير ذات ماء، جفر أو غير جفر، وسمّيت قليباً لأنّ حافرَها قَلَب تُرابها. – الأزهري، تهذيب، ج ٩، ص ١٤٤.

(٧) ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ٣٣٢؛ البخاري، الجامع، ج ١، ص ١٩٤؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤١٨؛ أبي عوانة، مسند، ج ٤، ص ٢٨٧؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص٧. واللفظ للبخاري.

(٨) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١١٦٣، ١٣٩٩؛ ابن خزيمة، صحيح، ج ١، ص ٣٨٣؛ ابن حبان، صحيح، ج ١٤، ص ٥٣٠؛ ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص١٨٩.

(٩) السبهان، دور، ص ٢٣.

كما استمرت قريش بمحاولتها التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعملت على إلحاق الأذى به، بل وعملت على استهدافه بالقتل خلال تحركاته اليومية لأداء الصلاة عند الكعبة، حيث قال عروة بن الزبير: "سألت عبد الله بن عمرو(١) عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رأيت عقبة ين أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وقد جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ من رَبِّكُمْ}(٢)"(٣).

ويبدو أن اصرار قادة قريش كان واضحًا على استهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ محاولين إلحاق الأذى به، أو العمل على قتله، واستمرت مهمة حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعاتها على من هو موجود بالقرب منه، فعندما تعرض لمحاولة الاغتيال من قبل ابن أبي معيط بالخنق؛ سارع أبو بكر الصديق رضي الله عنه للدفاع عنه وحمايته بدفع عقبة ومنعه من إلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد وفاة أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتداد أذى قريش عليه وعلى المسلمين، تحرك إلى الطائف ليدعوا الناس إلى الإسلام، فرفضوا الاستجابة له وطلبوا منه الرحيل من الطائف، ولم يكتفوا بذلك فأرسلوا سفهاءهم ليرموه بالحجارة، فأُدميت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل زيد بن حارثة على حمايته بنفسه، فجُرح برأسه عدة جروح، وعادا إلى مكة(٤).

ويستنتج مما سبق تساوق مشركي الطائف مع مشركي قريش، وإصرارهم على نهج قريش في إلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُلمس من هذا الموقف شجاعة زيد رضي الله عنه من خلال حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده، فشكلت سرعة ردة فعله تجاه الاعتداء(٥)

---

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص، أسلم قبل أبيه، خرج إلى الشام، ويقال إنه مات بعجلان بالقرب من غزة في فلسطين، سنة ٦٣ هـ – ٦٨٢م، عن ٧٢ عامًا. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٢١٠، ٢١١.

(٢) سورة غافر، آية ٢٨.

(٣) ابن ابي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ١٥٥؛ ابن حنبل، مسند، ج ٢، ص ٢٠٤؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٣٤٥؛ ابي يعلى، مسند، ج ١، ص ٥٢؛ ابن حبان، صحيح، ج ١٤، ص ٥٢٩؛ أبو الفرج، الأغاني، ج ١، ص ٢٤، ٢٥؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٧. واللفظ للبخاري.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣٣١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٢، ١٣؛ ابن تيمية، الجواب، ج ١، ص ٣٩؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ١٩٨؛ ابن جماعة، المختصر، ص ٤٠.

(٥) السبهان، دور، ص ٢٣.

وتفاعله مع الحدث نموذجًا لرجل الأمن والحماية المثالية، والذي استطاع النجاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال سرعة العمل على إنقاذه ونقله إلى مكان آخر بعيدًا عن مكان الاستهداف[1].

كما كانت حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بيعة العقبة الثانية حاضرة من لحظة الاتفاق على تحديد موعدها وحتى انفضاض الأنصار إلى مهاجعهم، حيث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العقبة الثانية وعمه العباس إلى مكان تجمع الأنصار، فقال العباس: "يا معشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمدًا إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله منا من كان على قوله ومن لم يكن منا على قوله، يمنعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارتأوا رأيكم وأتمروا بينكم ولا تفترقوا إلا عن ملأ منكم واجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه، فقال البراء بن معرور[2]: قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما تنطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم...ثم قال يا رسول الله بايعنا فنحن أهل الحلقة[3] ورثناها كابرًا[4] عن كابر"[5].

والأرجح أن العباس قد ارتضى هذا الدور في حماية الرسول صلى الله عليه وسلم؛ من أجل تقوية مركزه الاجتماعي كحامٍ لابن العشيرة[6]، وكأنه صلى الله عليه وسلم قد استفاد من النظام العشائري المعمول به في تلك الفترة، وجعل العباس رضي الله عنه يوفر له الحماية.

ويبدو أن العباس عندما حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الاجتماع أراد أن يوصل رسالة إلى الأنصار؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعة من أهله وعشيرته، فكان لا

---

(١) الراشد، الأساليب، ص ٨٨.

(٢) البراء بن معرور: بن صخر بن خنساء بن سنان، وأمه الرباب بنت النعمان بن امرئ القيس، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، وهو أول من استقبل القبلة حيًا وميتًا، ولما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كان موته في صفر قبل الهجرة بشهر. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٦١٨ – ٦٢٠.

(٣) الحلقة: الدروع تسمى حلقة، والحلقة اسم لجملة السلاح والدروع وما أشبهها وإنما ذلك لمكان الدروع، وغلبوا هذا النوع من السلاح، أعني الدروع، لشدة غنائه. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٦٤، ٦٥.

(٤) كابرًا: توارثوا المجد كبيرًا عن كبير في العز والشرف. الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٣٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٢٢؛ ابن الجوزي، صفة، ج ١، ص ٥٠٨، ٥٠٩؛ محب الدين، ذخائر، ج ١، ص ١٨٨، ١٨٩؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٦) الملاح، الوسيط، ص ١٥٨.

بد من أن يتوثق من حجم الحماية الجديدة ليطمئن على ابن أخيه وإلا فلن يفرط فيه[١]، ولقد فهم البراء من معرور ذلك فقدم تعهدًا من الأنصار بحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما يملكون من الأرواح والأموال ودونه كل شيء[٢].

وعندما شعرت قريش بتسرب المسلمين إلى المدينة المنورة مهاجرين فارين بأنفسهم من بطشها؛ اتفق قادة قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النوايا قرر الهجرة؛ فأمر عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالمبيت على فراشه تلك الليلة، وخرج حتى لحق بالغار، وبات المشركون يرصدون بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما حان الصباح دخلوا عليه فرأوا عليًا، ورد الله تعالى مكرهم فسألوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعلمهم بشيء[٣].

كما يظهر مما تقدم حجم الحرص من قبل المسلمين على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان نوم عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءً له وتضحية منه، فلقد رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفدائية[٤]، وهدف إلى إضاعة الفرصة التي تُمَكن قريشًا من ارتكاب جريمة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥]، وتوفير الحماية له، وإنجاح هجرته إلى المدينة، كما أن رفض عليٍّ رضي الله عنه إعلام المشركين بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يمثل استمرارًا لحالة توفير الحماية له.

وبحثت قريش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: "لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم، فقالوا أين أبوك يا بنت أبي بكر، قلت لا أدري والله أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا فلطم خدي لطمة خر منها قرطي[٦] قالت: ثم انصرفوا"[٧].

---

(١) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ١٦٤.

(٢) الملاح، الوسيط، ص ١٥٩.

(٣) ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ٣٤٨؛ الطبري، تفسير، ج ٩، ص ٢٢٨؛ الثعلبي، تفسير، ج ٤، ص ٣٤٩.

(٤) العليمي، دروس، ص ١١٦؛ عمارة، خواطر، ص ١٧٠.

(٥) الراشد، الأساليب، ص ٨٨.

(٦) قرط: القرط الذي يعلق في شحمة الأذن، وهو نوع من حلي الأذن. – ابن منظور، لسان، ج ٧، ص ٣٧٤.

(٧) ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ١٠٩. وهو اسناده منقطع ومن أقسام الضعيف، أخرجه الطبري، والحاكم.

ويُلاحظ أن النساء كان لهن دور في توفير الحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فها هي أسماء رضي الله عنها تحملت أذى أبي جهل وتمتعت برباطة الجأش أمام تغوله وأحسنت التصرف(١)، ورفضت أن تقدم أي معلومة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفتها أن أي تسريب سيترتب عليه تهديدٌ خطيرٌ قد يمس بحياته.

وحين انطلق أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار؛ "فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا أبا بكر: مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي، فقال يا رسول الله: أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فقال يا أبا بكر: لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني، قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء(٢) لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء الحجرة فدخل واستبرىء ثم قال: انزل يا رسول الله فنزل"(٣).

وفي ضوء ما سبق نجد الحالة المتقدمة في فكر المسلمين وسلوكهم للحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكما كان علي بن أبي طالب فدائيًا عندما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم؛ نجد هنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه يمثل حالة الفداء نفسها، من خلال لعب دور رجل الأمن والحماية المثالي، وشكل فريقَ حماية وحده، وهو يعلم بأهمية شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرورة المحافظة على حياته، وحجم خطورة اغتياله على الإسلام.

حماية الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة

استمرت محاولات قريش لاستهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعد انتقاله إلى المدينة، ولقد اجتمع عمير بن وهب في حجر الكعبة مع صفوان بن أمية، وقال عمير: ولولا الدين الذي علي وأولادي، لذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقتله، فلقد علمت أنه يمشي في الأسواق، ووجود ابني عندهم أسيرًا مبررا لي للذهاب إلى المدينة، فقال له صفوان فعلي سداد دينك

---

(١) السبهان، دور، ص ٢٣.

(٢) أستبرئ: استبرأ أرض كذا فما وجد ضالته. – الزبيدي المرتضى، تاج، ج ١، ص ١٤٩.

(٣) الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٧؛ الثعلبي، تفسير، ج ٥، ص ٤٨. واللفظ للحاكم.

ورعاية أبنائك، فعمل صفوان على تجهيز عمير، وقام عمير بتهيئة سيفه ومسحه بالسم، ووصل عمير إلى المدينة وذهب إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاهده عمر بن الخطاب وعليه السيف ففزع منه، وقال لأصحابه: انتبهوا من عدو الله عمير، فهو من حرض قريش علينا وعمل على تزويدها بأعدادنا يوم بدر، فقاموا إليه وألقوا القبض عليه، ودخل عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره بوجود عمير في المسجد وهو يحمل سيفه فأمره بإدخاله عليه، فعمل عمر على شل حركة عمير من خلال امساكه من حمالة السيف ومقبضه، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب قدومه وحمله للسيف، فادعى أنه يريد فداء ابنه، فسأله عن اتفاقه مع صفوان بن امية لقتله، فأسلم عمير بن وهب[١].

نخلص من كل ما تقدم مدى استشعار عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخطر وتمتعه بالانتباه الشديد وقوة الملاحظة وسرعة البديهة، حيث ربط مشاهدته لعمير بن وهب وهو داخل المسجد متوشحًا سيفه؛ بتاريخه الأسود وحقده على المسلمين، فمنحه ذلك الذكاء الحاد القدرة على الفهم الصحيح للوقائع التي يلاحظها والاستنتاج السريع لمؤشرات الخطر على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]، فأوقف بذلك خطرًا متعمدًا لاستهدافه صلى الله عليه وسلم بالاغتيال[٣]، وهذا يفسر أن المسلمين لم يركنوا إلى الدعة والاطمئنان لقريش خلال فترة الهدوء.

ويتضح مما سبق أن قريش عملت على استغلال الظروف الاقتصادية لعمير بن وهب؛ في محاولة منها لتجنيده في مهمة الاغتيال، مقابل وعده بالاهتمام بأولاده ورعاية شأنهم[٤].

وعندما وصلت معلومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن نية قريش لحرب المسلمين في غزوة أحد، عزم على الخروج وأراد أن يختصر الطريق فمر عبر حائط[٥] لمربع بن قيظي[٦]، فلم

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٢٢، ١٢٣؛ ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ٣٣٩؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٥؛ الطبراني، المعجم، ج ١٧، ٥٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٢٦.

(٢) السبهان، دور، ص ٢٤.

(٣) الراشد، الأساليب، ص ٤٨، ٤٩.

(٤) الهرفي، المخابرات، ص ٥٠، ٥١.

(٥) الحائط: الحديقة أو البستان، وهي الأرض المحاط التي عليها حائط، فإذا لم يحيط عليها فهي ضاحية، والحائط البستان من النخيل إذا كان عليه حائط. – ابن منظور، لسان، ج ٧، ص ٢٨٠.

(٦) مربع بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جُشم، الأنصاري الحارثي، كان منافقًا، وأبناؤه عبد الله وعبد الرحمن وزيد ومرارة لهم صحبة. – ابن الأثير، أسد، ج ٣، ص ٣٩١.

يسمح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرور عبر بستانه، وأخذ بيده حفنة من رمل، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعني عن رميك بالرمل إلا مخافة أن يصيب غيرك، فهجم عليه بعض الصحابة لقتله، فضربه سعد بن زيد(١) بالقوس فجرح رأسه، فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلًا: "هذا الأعمى أعمى قلب أعمى بصيرة"(٢).

ويُلاحظ هنا حجم الحسد الذي تملك هذا المنافق، ومحاولته الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرغم من وجود جيش المسلمين حوله، ولقد امتاز الصحابة باستشعار الخطر، فأجادوا استعمال السلاح بمهارة(٣)، واستطاعوا بذلك توفير الحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق حالة الردع ضد هذا المنافق، وضد كل من تسول له نفسه بالاعتداء عليه.

كما قام أبو سفيان بإرسال رجلًا أعرابيًا ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الأعرابي قاسي القلب، جريء الصدر، سريع الإجابة، ويمتلك خنجرًا صغيرًا يستطيع اخفائه عن الأعين، ويتمتع بخفة الحركة تمكنه من الهرب بسرعة مع مهارته بالطرق، فسهّل أبو سفيان عليه أمر الاغتيال، وزوده بمعلومات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمشي في الأسواق، وأعطاه راحلة وزادًا، واتفقا على إخفاء أمر عملية الاغتيال، فخرج ليلًا، ووصل المدينة، وبدأ يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغه ورآه، فقال إن هذا الأعرابي يسعى للغدر، فجذبه أسيد بن حضير فوقع خنجره، واعترف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اتفق عليه مع أبي سفيان، فأطلقه ثم أسلم(٤).

يتضح مما سبق أن أبا سفيان سعى لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تُهمل قريش فرصة إلا واستغلتها، وحاولت إلحاق الأذى به صلى الله عليه وسلم، ولقد جاءت هذه المحاولة للتأكيد على سير قريش في مخططها الإجرامي، وتكريسًا لحالة الحقد والحسد الذي تملكتها وقادتها، ولقد تسببت يقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتباه من الأعرابي، وردة الفعل السريعة من أسيد بن حضير رضي الله عنه؛ بإفشال مؤامرة الاغتيال ومنع نجاح المخطط الإجرامي، ولقد استجوب رسول

---

(١) سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل، ويكنى أبا عبد الله، وأمه عمرة بنت مسعود بن قيس من الخزرج وكانت من المبايعات، وشهد العقبة مع السبعين، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثه رسول الله عليه السلام سرية إلى مناة بالمشلل فهدمه. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٣٩.

(٢) الواقدي، المغازي ج ١، ص ١٩٩؛ ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ١٥٤.

(٣) السبهان، دور، ص ٢٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٤؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٣٣٣، ٣٣٤؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٤٥، ص ٤٢٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٦٥؛ السيوطي، الخصائص، ج ١، ص ٣٦٧، ٣٦٨.

الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي واعترف أمامه أن من يقف خلف هذا المخطط الإجرامي هو أبو سفيان.

ويبدو أن قريش كانت تملك بعض المعلومات عن تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، ولعلهم يملكون عيونًا في المدينة وجواسيس يزودونها بمعلومات عن تحركات المسلمين في المدينة، ويمكن القول إلى أن من اسباب نجاح مهمات الاغتيال امتلاك سلاح صغير يساعد على تنفيذ المهمة بسهولة وسرعة، بالإضافة الى امكانية اخفائه بين ثيابه دون أن يظهر للعيان، أو حتى امكانية التخلص منه عندما يشكل خطرًا على حامله.

ولم تقتصر محاولات الاغتيال على قريش وحدها، فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد، فلما أدركته القائلة [١] وهو في واد كثير العِضاة [٢]، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم، فاخترط [٣] سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتًا [٤]، قال: من يمنعك مني؟ قلت الله، فشامه [٥] ثم قعد، فهو هذا، قال: ولم يعاقبه صلى الله عليه وسلم"[٦].

ويمكن القول إن تفرق المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب الراحة أثناء نومه دون حراسة لا يعد تقصيرًا منهم، لأن الله تعالى قد ضمن لنبيه أن يعصمه من الناس [٧]، ورغم أن الله تعالى تعهد بحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتخذ الإحتياطات الأمنية؛ ليربينا على اتخاذ الأسباب وليشرع لنا أهمية هذه الإحتياطات في حماية القيادة؛ ويبدو أنه حدث تراخيًا من قبل المسلمين؛ فغفلوا عن ترتيب أمر حراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أحدث تلك الثغرة الأمنية ولكن الله تعالى سَلّم.

---

(١) القائلة: القيلولة وهي النوم في الظهيرة. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٣٣.

(٢) العضاة: كل شجر له شوك، وقيل اسم يقع على ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه، فإن لم تكن طويلة فليست من العضاة. – ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ٥١٦.

(٣) اخترط السيف: سله من غمده وهو افتعل من الخرط. – ابن منظور، لسان، ج ٧، ص ٢٨٥.

(٤) صلتا: مجردًا، وأصلت السيف جرده من غمده. – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٥٣.

(٥) شام السيف: سله وأغمده، وهو من الأضداد، شمت السيف أغمدته. – ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص ٣٣٠.

(٦) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥١٦؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ١٧٨٦؛ الفسوي، المعرفة، ج ١، ص ١٩٩.

(٧) ابن بطال، شرح، ج ٥، ص ١٠٠.

ولم تشمل حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط من الاغتيال؛ فلقد ذكر عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: بأن عروة بن مسعود حضر ليطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم التراجع عن قراره بأداء العمرة ودخول مكة، " وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه الْمِغْفَرُ[1]، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ يده بنعل السيف[2]، وقال: أخر يدك عن لحية رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة[3]، وأضاف الواقدي: "وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يُصنع بهم إذا منعوا صاحبهم؛ والله لقد رأيت نسياتٍ[4] معه إن كن ليسلمنه أبداً على حال"[5].

ويبدو أن حالة الارتباط القوي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أوصلت رسالة قوية لعروة بصلابة الجبهة الداخلية للمسلمين، ومدى حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفانيهم من أجل حمايته، وشكل تردد عروة بن مسعود على الملوك ومعرفته بآليات الحراسة عندهم، واطلاعه على حالة المسلمين في حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ سبب له حالة مبهرة ورادعة جعلته يغير رأيه وينصح قريش بهذا الرأي.

حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء المعارك

غزوة أحد

استمرت قريش في محاولاتها استهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت غزوة أحد في تطوراتها الخطيرة والمتلاحقة لتكون حلقة من حلقات استهدافه صلى الله عليه وسلم، فكان أن

---

(١) المغفر: وقاية للرأس وينْسَج من الدُّرُوع على قَدْر الرأس يُلْبَس تحت القَلَنْسُوة. – الفراهيدي، العين، ج ٤، ص ٤٠٦؛ ابن سيده، المخصص، ج ٢، ص ٤٥.

(٢) نعل السيف: ما يكون في أسفل جفنه من حديدة أو فضة، وهي الحديدة التي تكون في أسفل القراب. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٦٦٩.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٦؛ أبو داود، سنن، ج ٣، ص ٨٥؛ ابن المنذر، الأوسط، ج ١١، ص ٢٩٦؛ ابن منظور، مختصر، ج ٧، ص ٢٤٣؛ الخازن، ،تفسير، ج ٦، ص ٢٠٥ . واللفظ للبخاري.

(٤) نسيات: النساء جمع نسوة إذا كثرن، وتصغير نسوة نسية، ونسيات تصغير الجمع. – ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ٣٢١.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٨.

تعاهد أُبي بن خلف الجمحي[1] وعتبة بن أبي وقاص [2] وعمرو بن قميئة الليثي [3] وعبد الله بن شهاب[4] على قتله، وقام أبي بن خلف بمحاولة طعنه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة[5] فطعنه بها، فقتل بعد يومين من نزيف داخلي، وسار عدو الله عمرو بن قميئة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرحه، ورد الله ابن شهاب بغيظه[6].

يستنتج مما سبق أن هناك تحولًا خطيرًا في تفكير قريش؛ فقد وضعت خطة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلفت مجموعة من أشقيائها لتنفيذ هذه الجريمة، ولقد تمثلت خطورتها من خلال المحاولات المتكررة والمتلاحقة لتنفيذ هذا الاغتيال من قبل رباعي الإجرام القرشي، وسنقف على حجم حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد، ومدى فداء الصحابة له بأرواحهم، ومع النماذج الحية لتضحيات فريق الحماية.

واستطاعت قريش الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فذكر أنس بن مالك [7] رضي الله عنهما: "أن رَسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه[8] قال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا فقال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من

---

(١) أُبي بن خلف: بن وهب بن حذافة بن جمح، كانت عنده العصماء بنت الحارث فولدت له أبا أبى واخوة له. – ابن حبيب، المحبر، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) عتبة بن أبي وقاص: بن أهيب بن زهرة القرشي الزهري، أخو سعد، ولم يذكره أحد من الصحابة إلا ابن منده، والأصح أنه مات على الكفر. – ابن حجر، الإصابة، ج ٥، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٣) عمرو بن قميئة الليثي، عدو الله وعدوّ رسوله، والذي تولى الأثم العظيم من كسر رباعية رسول الله وشجّه في وجهه يوم أحُد، وكان فارس قريش. – ابن عرب شاه، فاكهة، ص ١٥.

(٤) عبد الله بن شهاب: بن عبد الله، الزهري، وهما أخوان، عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر، كان الأكبر أسمه عبد الجان فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو من المهاجرين إلى الحبشة، واخوه الأصغر شهد أحدًا مع المشركين ثم أسلم ومات بمكة وهو جد ابن شهاب الزهري الفقيه. – ابن الأثير، أسد، ج ٣، ص ٢٨٢.

(٥) الحارث بن الصمة: بن عمرو الأنصاري، ابن أخت أبى بن كعب، له صحبة، خرج إلى بدر وكسر بالروحاء فضُرب له بسهم، شهد أحدًا وقتل يوم بئر معونة شهيدًا. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٧٤.

(٦) ابن الجراح، من اسمه، ص ١٠٦؛ ابن عرب شاه، فاكهة، ص ١٥.

(٧) أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة النجاري الخزرجي الأنصاري، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بعشر سنين، ومات أنس سنة ٩٣ هـ – ٧١١م. – الكلاباذي، رجال، ج ١، ص ٨٦، ٨٧.

(٨) رهقوه: والرهق: غشيان الشيء، وأرهقت الرجل: أدركته. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ١٢٩.

الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رَسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ما أنصفنا أصحابنا"[١].

ويتضح من ذلك أن المسلمين قد استشعروا حجم الخطر المحدق برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولمسوا وجود مؤامرة لاغتياله، ولذلك استماتوا في الدفاع عنه لأنهم يعلمون أن تعرضه للخطر ونجاح قريش من استهدافه سيترتب عليه خسارة كبيرةِ جدًا لهم، تضر بأمن دولة الإسلام ومكانتها وهيبتها [٢]، فشكل ذلك ربط المسلمين برسول الله صلى الله عليه وسلم ربطًا وثيقًا ربط حياة وموت واندفاعًا إلى الاستشهاد وراءه، وتلبية لأوامره، وذودًا عنه [٣].

ولا شك أنه حَدَثَ صراع مرير بين المسلمين المدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أشقياء قريش، حيث عمد المسلمون على إفشال مخطط الاغتيال وردعهم، بينما أصر أشقياء قريش على استهدافه [٤]، فحدثت المعركة الشرسة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم واستطاع المسلمون من تأمين حمايته، وأفشلوا مؤامرة الاغتيال بالرغم من عدد من استشهدوا.

وجاء في مشهد آخر أن قريش حاولت قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقذفوه بالحجارة حتى وقع على جانبه، وأصيبت رباعيته وشُج في وجنته، وجُرحت شفتاه، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينها من يشتري لنا نفسه، فقام زياد بن السكن[٥] في خمسة نفر من الأنصار فقاتلوا دونه صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا دونه، فكان آخرهم زياد بن السكن فقاتل حتى أثخنته الجراح وقتل، وتلقى أبو دجانة[٦] بجسده النبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقع على ظهره وهو منحنٍ عليه حتى كثرت فيه النبل[٧].

---

(١) مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤١٥؛ أبي يعلى، مسند، ج ٧، ص ٦٨؛ أبي عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٣٠؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٤٤؛ ابن الجوزي، كشف، ج ٣، ص ٣٠٥؛ الزرعي، زاد، ج ٤، ص ٢٦.واللفظ لمسلم.

(٢) آل جبران، التقنيات، ص ١٢.

(٣) الغضبان، المنهج، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٤) الراشد، الأساليب، ص ٧٥.

(٥) زياد بن السكن: بن رافع بن امرىء القيس بن زيد، الأشهلي، الأنصاري، قتل يوم أحد، ولما أصيب فيها أدناه صلى الله عليه وسلم منه فوسده قدمه حتى مات عليها. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٦) أبو دجانة: سماك بن خرشة بن لوذان، الخزرجي، وشهد بدرًا وأحدًا واليمامة شارك في قتل مسيلمة الكذاب وقتل يومئذ شهيدا سنة ١٢ هـ – ٦٣٣م في خلافة أبي بكر الصديق. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٥٦.

(٧) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٣٠٧؛ ابو الفرج ، الأغاني، ج ١٥، ص ١٨٧، ١٨٨.

ويمكن القول إن أبا دجانة رضي الله عنه كان بمثابة رجل الأمن والحماية النموذجية وبصورة مثالية وعملية، حيث استطاع أن يحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاغتيال، ويتلقى بجسده النبال كلها التي استهدفته صلى الله عليه وسلم، بصورة وكأن جسده كان درعًا يحيط به صلى الله عليه وسلم يتلقى عنه الضربات.

واستمرت محاولات قريش لاستهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل، وتمترس المسلمون حوله للذود عنه ورد العدوان، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنهما: "لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طلحة[١] بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مُجَوِّبٌ[٢] عليه بِحَجَفَةٍ[٣] له، وكان أبو طلحة رجلًا راميًا شديد النَّزْعِ[٤] كسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول انثرها لأبي طلحة، قال وَيُشْرِفُ النبي صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يُصِيبُكَ سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك... ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثًا"[٥].

والظاهر أن المسلمين قد قدموا نماذج رائعة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسابقوا في سبيل ذلك وبذلوا جهودًا مضاعفة، وصلت بهم إلى حالة من الإرهاق الشديد، وفي خضم المعركة واشتدادها لم تغمض عين أبو طلحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنراه يطلب منه ألا يُشرف بنفسه على المعركة فيعرض نفسه للخطر.

---

(١) أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وله من الولد عبد الله وأبو عمير وأمهما أم سليم بنت ملحان، شهد العقبة، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وقتل يوم حنين عشرين رجلا فأخذ أسلابهم، وكان يرمي بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ومات بالمدينة سنة ٣٤ هـ – ٦٥٤م، وقيل مات في البحر وهو يغزو. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٠٤ – ٥٠٧.

(٢) مجوب: الذي يجاب به، وهي حديدة يجاب بها، واجتابها قطعها، وكل مجوف وسطه فهو مجوب، يعني درع من حديد مجوف، كان مدرع. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٢٨٥.

(٣) الحجفة: نوع من أنواع التروس. – الصاحب ابن عباد، المحيط، ج ٢، ص ٤١٢.

(٤) النزع: نزع الدلو من البئر ينزعها نزعا ونزع بها، وأصل النزع الجذب والقلع، ومنه نزع الميت روحه. ونزع القوس إذا جذبها. – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٣٥٠.

(٥) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٩٠؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٤٣؛ أبو يعلى، مسند، ج ٧، ص ٢٤؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٣٢؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٢٣٩، ٢٤٠؛ الحميدي، الجمع، ج ٢، ص ٥٩٢، ٥٩٣؛ البغوي، شرح، ج ١٣، ص ٣٩٠، ٣٩١؛ ابن الجوزي، صفة، ج ١، ص ١٨٨؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٥٣. واللفظ للبخاري.

ومع صورة أخرى من صور حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال عبد الله بن زيد[١]: "شهدت أحدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تفرق الناس عنه، دنوت منه أنا وأمي نذب عنه، فقال: ابن أم عمارة[٢]؟ قلت: نعم، قال: ارم، فرميت بين يديه رجلًا من المشركين بحجر وهو على فرس، فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت[٣] عليه منها وقرًا[٤]، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر يتبسم، ونظر جرح أمي على عاتقها، فقال: أمك أمك اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل البيت... قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة فقالت ما أبالي ما أصابني من الدنيا[٥].

وروت أم عمارة عن إصابتها فقالت: أقبل ابن قميئة وهو ينادي دلوني على محمد لا نجوت إن نجا، فاعترضه مصعب بن عمير وبعض المسلمين معه وكنت أنا فيهم، فضربني هذه الضربة على عنقي، فضربته عدة ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان[٦].

ويمكن القول أن فعل عبد الله بن زيد وأمه أم عمارة رضي الله عنهما من سعيهما لحمايته صلى الله عليه وسلم وتلقيهما الضربات عنه؛ يعبر عن مدى الارتباط المصيري بين المسلمين وقائدهم، وذلك لأهمية القائد الذي تلتقي القلوب عليه وتلتف حوله لدوره في تلاحم الصف وتآخيه[٧]، ولعل هذا النموذج الرائع من العمل بروح الفريق الواحد، فكان التصدي القوي لمحاولة اغتياله صلى الله عليه وسلم بإفشالهم محالة اغتياله والمحافظة على حياته[٨]، فتسابق المسلمون لحمايته صلى الله عليه وسلم والذود عنه، ونجد في المقابل اهتمام القائد بهم فيوجههم لتضميد جراح بعضهم البعض.

---

(١) عبد الله بن زيد: بن عاصم بن كعب بن عمرو، الأنصاري المازني، أبو محمد، ويعرف بابن أم عمارة، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وهو شارك في قتل مسيلمة الكذاب مع وحشي، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ – ٦٨٢م، وهو ابن ٧٠ عامًا. – النووي، تهذيب، ج ١، ص ٢٥٣.

(٢) نَسِيبَة بِنْت كَعْب: بن عَمْرو بن عوف، أُم عمارة الأنصارية، شهدت العقبة، وكان معها زوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها عبد الله وحَبِيب ابنا زيد بن عاصم، روت عن النبي. – ابن الأثير، أسد، ج ٧، ص ٣٠٣.

(٣) نضدت: نضد الشيء، جعل بعضه على بعض متسقا. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٤) الوقر: الثقل يحمل على رأس أو على ظهر، والوِقْر: الثِقْل يُحمَل على ظَهْرٍ أو على رأس. – ابن السكيت، ترتيب، ج ١، ص ٤٠١؛ الأزهري، تهذيب، ج ٩، ص ٢١٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٤، ٤١٥؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٤، ص ١٦١، ١٦٢.

(٦) الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٧٥؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٤، ص ١٦٠.

(٧) الغضبان، المنهج، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٨) طايل، المنظور، ج ٧، ص ١٩٦.

فلما انكشف المشركون؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أُجهدت يا طلحة وتعبت يا سعد، ولقد سُئِلَ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عما أصاب أصبعه؟ فقال: رمى أحد المشركين بسهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضع يده لحماية وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصيب أصبعه[1]، وذكر أن يد طلحة أصيبت بالشلل أثناء حمايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه "ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدي بأبويه أحدًا إلا سعد فإني سمعته يقول يوم أحد ارم سعد فداك أبي وأمي"[3].

ومع استمرار القتال حول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ سجل بعض المسلمين حالة متقدمة من نماذج حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، ويمكن ملاحظة مثال ذلك بفداء طلحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، ومن المعلوم أن أعلى درجات الحماية للشخصيات المهمة هو حمايتها وتلقي الضربات عنها والتضحية بالنفس من أجل بقاء الشخصية المهمة على قيد الحياة[4]، ولقد سجل طلحة بإقدامه المتفاني إعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به، والإقرار له ولسعد ببذل الجهد المضاعف، وإطرائهم بكلمات لم يتلفظ بها من قبل لأحد من المسلمين، ويعد ذلك من أنواع التعزيز للمميزين ورفع الروح المعنوية لهم.

ولعل الدرس الهام الذي يجب أن نقتدي فيه؛ هو هذه المواقف الرائعة من قبل المسلمين والذين قدموا أنفسهم رخيصة من أجل الحفاظ على حياة القائد، وألا يبخل المسلم بهذا إذا دعا الداعي، وتطلب الأمر ذلك[5]، ولقد شكلت حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم شُغل المسلمين، وتناوبوا على حمايته صلى الله عليه وسلم خلال محاولة اغتياله في غزوة أحد حيث تسابق الصحابة في فدائه

---

(١) المغازي، الواقدي، ج ١، ص ٢٢٥؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٣٩؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٢٥، ص ٧٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٥٢؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٤، ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) ابن أبي شيبة، الكتاب، ج ٧، ص ٣٦٨؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٩٠؛ ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٤٦؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٨؛ الخلال، السنة، ج ٢، ص ٤٧٠؛ البغوي، شرح، ج ١٤، ص ١٢١؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٢٥، ص ٧٩؛ ابن الجوزي، كشف، ج ١، ص ٢٢٤.

(٣) الطيالسي، مسند، ج ١، ص ١٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٤١؛ ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٦، ص ٣٧٥؛ ابن حنبل، فضائل، ج ٢، ص ٧٥٢؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٩٠؛ ابن ماجه، سنن، ج ١، ص ٤٧؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٦٥٠؛ ابن ابي عاصم، السنة، ج ٢، ص ٦١٤.

(٤) الثلاثيني، الأمن، ص ١٧٧.

(٥) أحمد، الاستخبارات، ص ١٦١.

وتوفير الحماية له، وهو دور شمل الجميع منهم بما في ذلك النساء، وهو ما يدلك على أهمية المرأة في العمل الأمني وضرورة عدم التقليل من شأنها في هذا المجال.

ويمكن القول إن هذا المخطط قد أفشله رسول الله صلى الله عليه وسلم بثباته وتصديه لهؤلاء الأشقياء، بالإضافة إلى إدارته لفريق الحماية من حوله وتوجيههم وتزويدهم بالسهام، فتحقق بذلك مبادئ الحماية الشخصية من خلال استشعار كل مسلم بأنه مسئول عن أمنه، مع تمتعهم بالانتباه واليقظة التامة والمستمرة لما يدور حولهم[١].

حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين

انحدر المسلمون يوم حنين في واد من أودية تهامة، وكانت ثقيف وهوازن قد كمنت للمسلمين في شعاب الواد، فانقضوا عليهم، وانهزم المسلمون وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، ثم قال إلي أيها الناس، هلم إلي أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله، وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطًا من المهاجرين والأنصار وأهل بيته وفيمن ثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل[٢] وأيمن بن عبيد[٣] واسامة بن زيد، وكان رجل من هوازن على جمل في يده راية في رأس رمح طويل، يقود المشركين فإذا أدرك أحدًا من المسلمين قتله برمحه، فتصدى له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار فقتلوه، وانهزم المشركون[٤].

الأرجح أنه في مثل هذه المواقف الحرجة وعند انهزام المسلمين وانفضاضهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ تكون حمايته صلى الله عليه وسلم واجبة وضرورية، فلقد أصبح القائد مكشوفًا ومهددًا بالقتل، فتقدم نفر من الصحابة وأحاطوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحققوا الحماية له

---

(١) آل جبران، التقنيات، ص ٣٧.

(٢) الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن، وكان الفضل أسن ولد العباس، وشهد فتح مكة وحنين، وشهد معه حجة الوداع، وكان الفضل فيمن غسل الرسول صلى الله عليه وسلم وتولى دفنه، ثم خرج إلى الشام فمات بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ – ٦٣٩م في خلافة عمر بن الخطاب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٥٤.

(٣) أيمن بن عبيد: بن عمرو ابن بلال بن أبي الجرباء بن قيس بن مالك بن سالم ابن غنم بن عوف بن الخزرج، وهو ابن أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أخو أسامة بن زيد بن حارثة لأمه، استشهد يوم حنين. – ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ٢٤٢.

(٤) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٣٧٦؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٦٧، ١٦٨.

واستعدوا لفدائه بأنفسهم[1]، ليمثل ذلك استشعارًا بالمسئولية من قبل المسلمين تجاهه صلى الله عليه وسلم، وليرسخ مفاهيم الأمن والحماية واقعًا ملموسًا متحققًا على أرض الواقع.

في ضوء ما تقدم يمكن القول إن المسلمين قد استطاعوا توفير الأمن والحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خلال مراحل الدعوة المختلفة، مع الموازنة بين تمكينه من دعوة الناس إلى الإسلام بحرية ودون اعاقة، وبين توفير الحماية لشخصه الكريم والتدخل لرد العدوان وصد أي محاولة لاستهدافه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أحمد، الاستخبارات، ص ١٦٢.

المبحث الثاني

حماية المقرات والاجتماعات

تسمى المقرات الرئاسية وأماكن الاجتماعات الخاصة بأصحاب القرار؛ بالهدف الحيوي(١) الخاص بالدولة، توجب على الدولة توفيرها والعمل على تحصينها، وفق معايير أمنية، بينما يستدعي ذلك من الجهات الأمنية اختيار هذا الهدف وفق مواصفات ومعايير خاصة، تكفل تأمين حماية هذه المقرات والاجتماعات، من خلال تشكيل فريق حماية متخصص تحت إمرة قائد يشرف عليه ويعمل على تأمين حماية المنشأة ومنع أي استهداف لها سواء المس بحياة القادة، أو منع أي تسريب للمعلومات قد تمس بأسرار الدولة(٢).

حماية المقرات

حماية دار الأرقم

لم تتمتع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمواصفات أمنية تؤهله ليكون مقرًا للدعوة، فذكرت عائشة رضي الله عنها أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين شر جارين بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، فكانا يطرحان القاذورات والأوساخ على باب داره، فيخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه بالطريق(٣).

يتضح مما تقدم حجم الخطورة الأمنية المحيطة بموقع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجود داره صلى الله عليه وسلم بين دارين صاحباها حملا راية العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين؛ شكل ذلك خطرًا أمنيًا على رسالة الإسلام وعلى المسلمين، فتطلب الأمر البحث عن مكان آمن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقرًا يرتاده المسلمون بحرية وأمان بعيدًا عن عيون قريش.

---

(١) الهدف الحيوي: منشأة أو موقع يتضمن قيمة حيوية أو استراتيجية مهمة للدولة، وهذه القيمة تكون سيادية أو اقتصادية أو اعلامية أو سياسية أو عسكرية. – خليل، تأمين، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٢) خليل، تأمين، ج ٧، ص ٢٠٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠١؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٥٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٢، ص ٣٦٥؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٤٦٣.

فوقع الاختيار على دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة عند الصفا[١]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى في دار الأرقم من المشركين، ويلتقي هو وأصحابه فيه ويقرئهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم[٢]، وبلغ مصعب بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم فدخل عليه فأسلم، وخرج فكتم إسلامه خوفًا من أمه، وكان يتردد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًا[٣]، وذكر عمار بن ياسر أنه لاقى صهيب بن سنان[٤] على باب دار الأرقم فدخلا وأسلما، ومكثا يومًا على ذلك حتى أمسيا ثم خرجا وهما مستخفيان[٥].

ونخلص من كل ما تقدم الأهمية القصوى لهذا الاختيار الآمن، فلقد امتاز بيت الأرقم بمزايا عديدة جعلته بعيدًا عن عيون قريش، ولعل عدم معرفة قريش بإسلام الأرقم وهو فتى صغير، بالإضافة إلى كون الأرقم من بني مخزوم حاملة لواء العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل اختيار هذا البيت في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم تملك قريش معلومات دقيقة حول المكان، إنما معلومات مشكوك فيها حول بيت في منطقة الصفا[٦].

ويُلاحظ حجم الإجراءات الأمنية المتخذة للمحافظة على خصوصية هذا البيت، فاعتمد المسلمون التردد على البيت بأوقات متباعدة، وكانوا يحضرون بصورة سرية ومستخفين عن أنظار قريش، ويحتاطون خلال لحظات دخولهم وخروجهم من دار الأرقم رضي الله عنه، بالإضافة إلى البقاء في البيت فترة طويلة قبل مغادرته.

---

(١) الصفا: جبل آخر بإزاء جبل المروة، وبينهما قديد ينحرف عنهما شيئًا، والصفا والمروة من شعائر الحج، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طوافه بينهما يمشي حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى. – البكري، معجم، ج ٤، ص ١٢١٧.

(٢) الأزرقي، أخبار، ج ٢، ص ٢٦٠؛ ابن الجوزي، صفة، ج ١، ص ٤٤٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١١٦؛ البلاذري، أنساب، ج ٣، ص ٢٧١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٧٤؛ ابن الجوزي، صفة، ج ١، ص ٣٩٠؛ النووي، تهذيب، ج ٢، ص ٤٠١؛ الخزاعي، تخريج، ج ١، ص ٨٢؛ العيني، عمدة، ج ١٦، ص ٢٣٩.

(٤) صهيب بن سنان: بن مالك بن عبد عمرو بن بهليل وقيل ابن عقيل بن عارم، سبته الروم وهو صغير من الموصل، فأعتقه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكناه أبا يحيى، له صحبة، مات في خلافة علي بن أبي طالب بالمدينة في شوال سنة ٣٨ هـ – ٦٥٨م وكان له ٧٠ سنة. – ابن منجويه، رجال، ج ١، ص ٣٢٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٢٧؛ الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٤٤٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٥٥؛ ابن منظور، مختصر، ج ٤، ص ١٥.

(٦) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ٤٩.

واهتم المسلمون بالإجراءات الأمنية لدخول الدار والخروج منها، فقد ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه وهو متوشحًا سيفه، فلما طرق الباب وأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، قال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إئذن له، فإن كان يريد خيرًا أعطيناه له وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه، "ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته[١] أو بجمع ردائه ثم جبذه[٢] جبذة شديدة، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ والله ما أرى ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة[٣]، فقال له عمر يا رسول الله جئتك أؤمن بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله"[٤].

ويستنتج مما سبق اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بحراسة مقرات القيادة، والانتباه الشديد لما يدور حولهم، وسرعة التواصل مع القيادة، والجاهزية للدفاع عن هذه المقرات إذا ما تعرضت لأي مخاطر.

حماية غار ثور

استشعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخطورة المرحلة، وأهمية حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام المسلمين، فاهتم بتفقد غار ثور من أي خطر يمس حياته صلى الله عليه وسلم، فقال: "فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء[٥] لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء الحجرة فدخل واستبرىء ثم قال انزل يا رسول الله فنزل[٦].

---

(١) حجزته أي إلى مشد إزاره، واحتجز بإزاره: شده على وسطه، والحاجز: الحائل بين الشيئين. – اين منظور، لسان، ج ٥، ص ٣٣٢.

(٢) جبذ: فجبذني رجل من خلفي، تقول: جذب يجذب جذبا، فهو جاذب، وجبذ يجبذ جبذا، فهو جابذ. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٤٧٨.

(٣) القارعة: من شدائد الدهر وهي الداهية، والتقريع التعنيف. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) ابن حنبل، فضائل، ج ١، ص ٢٨١؛ البلاذري، أنساب، ج ٣، ص ٣٨٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٧٥؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٢٥٢؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٣٦.

(٥) أستبرئ: استبرأ أرض كذا فما وجد ضالته، واستبرأت الأمر طلبت آخره لأقطع الشبهة عني. – الزبيدي، تاج، ج ١، ص ١٤٩.

(٦) البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٤٧٦؛ الثعلبي، تفسير، ج ٥، ص ٤٧؛ الخازن، لباب ج ٣، ص ٩٥؛ أبو حيان، تفسير، ج ٥، ص ٤٥؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص٥٤؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٢٣٨.

هكذا يُلاحظ اهتمام أبابكر الصديق رضي الله عنه بتوفير مكانٍ آمنٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتقدم ليعمل مسحًا أمنيًا للغار، ويقوم بتفتيشه من أي مخاطر قد تُشكل خطرًا على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما روت عائشة رضي الله عنها: "ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر... فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْلٍ وهو لبن مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حتى يَنْعِقَ بها عامر بن فهيرة بِغَلَسٍ يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث"(١).

نخلص من كل ما تقدم إن حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور شكلت تحديًا قويًا لفريق حمايته، فقد تطلب منهم تقاسم الأدوار الوظيفية؛ لتغطية الاحتياجات الأمنية من توفير المعلومات الأمنية وحماية المكان، والمحافظة على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة لتلبية المتطلبات الحياتية من طعام وشراب.

ويبدو أن أبا بكر رضي الله عنه كان بمثابة الدائرة الأولى في فريق حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومرافقه الشخصي الأول، فلم يفارقه أي لحظة، بينما كُلِفَ عبد الله بن أبي بكر بتوفير المعلومات الأمنية، بالإضافة للمشاركة بحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم الشخصية خلال فترة مكوثه في الغار ليلًا، وكان لعامر بن فهيرة مهمة تأمين الطعام، وحماية المنطقة المحيطة بالغار.

حماية المسجد النبوي

انطلق عمير بن وهب بسيفه حتى قدم المدينة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما دخل المسجد شاهده عمر بن الخطاب، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، هو الذي تجسس علينا وأبلغ قريش بعددنا، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن

---

(١) عبد الرازق، المصنف، ج ٥، ص ٣٩٠، ٣٩١؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٨، ١٤١٩؛ الطحاوي، شرح، ج ١٠، ص ٢٦٣؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٤، ص ١٠٦، ١٠٧؛ اللالكائي، اعتقاد، ج ٤، ص ٧٧٦؛ البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٤٧٤، ٤٧٥؛ الحميدي، الجمع، ج ٤، ص ١٨٨؛ البغوي، تفسير، ج ٢، ص ٢٩٤؛ابن عساكر، تاريخ، ج ٣٠، ص ٧٨.

الخطاب بالسماح له بالدخول، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه[1] بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار اجلسوا إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ولما كشف له رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤامرته؛ أعلن إسلامه[2].

نخلص من كل ما سبق مدى التزام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإجراءات توفير الحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مقره داخل المسجد، فلم يسمح بدخول عمير إلا بعد أن فتشه وأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، وعمل عمر رضي الله عنه على شل حركة عمير بحيث لا يتمكن من إلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم.

حماية بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبيل غزوة أحد

ولما كتب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تحرك قريش لغزو المدينة؛ بدأ المنافقون بإثارة الإشاعات، وبث روح الهزيمة بين الناس، فانتبه المسلمون للخطر المحدق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم في المسجد أمام باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحرسونه وهم حاملي السلاح، وتم نشر المسلحين لحراسة المدينة[4].

ويبدو أن المسلمين قد استشعروا الخطر على المدينة بصورة عامة وانتبهوا إلى امكانية قيام قريش بمحاولة اغتياله صلى الله عليه وسلم من خلال مهاجمة بيته ليلًا، فضرب الصحابة الحراسة الليلية على المدينة بصورة عامة وعلى بيته صلى الله عليه وسلم بصورة خاصة[5].

حماية حصن المسلمين في غزوة الخندق

تعرضت المدينة المنورة لحرب نفسية شرسة من قبل الأحزاب، وعانت خوفًا شديدًا خلال حصار الأحزاب لها، خاصة مع ورود أخبار نقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله صلى الله

---

(١) لببه بردائه: وذلك أن يجعل كنانته وقوسه في عنقه، ثم يقبض على تلبيب نفسه، والتلبيب مجمع ما في موضع اللبب من ثياب الرجل. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٣٤.

(٢) ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ٣٣٩؛ الطبري، تهذيب، ج ٣، ص ٧٣، ٧٤؛ الطبراني، المعجم، ج ١٧، ص ٥٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٢٦.

(٣) طايل، المنظور، ص ١٩٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣٧؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٦١.

(٥) محفوظ، العسكرية، ص ٩٥؛ أحمد، الاستخبارات، ص ١٥٧، ١٥٨.

عليه وسلم، فقد ذكرت صفية بنت عبد المطلب[1] رضي الله عنها أنه مر رجل من يهود يدور حول حصن حسان بن ثابت، وفيه نساء المسلمين قد تجمعن فيه، وكان المسلمون منشغلين في التصدي لقريش، فلم تأمنه أن يتعرف على ثغرات الحصن، فعمدت إلى عمود ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن، وقيل أنها أول امرأة من المسلمين تقتل رجلًا مشركًا[2].

في ضوء ما سبق يبرز أهمية دور المرأة المسلمة خلال المعارك، وتحملها تبعات أمنية كبيرة، فلقد شكلت صفية بنت عبد المطلب فريقًا أمنيًا وحدها، فرصدت التحركات المريبة حول الحصن، وقامت بعملية قتل اليهودي المتتبع لعورات المسلمين، واستطاعت بذلك أن توفر الحماية للحصن ومن فيه، وعززت في نفوسهم الثقة والطمأنينة وأزالت عنه أسباب الخوف.

حماية خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في منطقة خيبر

لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيي رضي الله عنها في منطقة خيبر، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة له، وقام أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدور حول الخيمة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى مكانه قال: "مالك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللَّهم احفظْ أبا أيوب كما بات يحفظني"[3].

ويظهر مما تقدم حالة تطور في الوعي الأمني المتنامي عند جموع المسلمين، ويبرز هنا روح المبادرة الإيجابية التي تملكت المسلمين، فلا يخفى الحس الأمني لأبي أيوب رضي الله عنه في قيامه بهذه الحراسة[4]، مستشعرًا الخطر على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبات متوشحًا

---

(١) صفية بنت عبد المطلب: بن هاشم بن عبد مناف، وهي أخت حمزة لأمه، وهي أم الزبير بن العوام، وأسلمت صفية وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت إلى المدينة، وقبر صفية بنت عبد المطلب بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة، وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١.

(٢) ابن هشام، سيرة، ج ٣، ص ٢١٥؛ الثعلبي، تفسير، ج ٨، ص ١٦؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٤٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٩، ٣٥٠؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١٨٨؛ البري، الجوهرة، ج ١، ص ٢٢١؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٤٠٢.

(٤) أحمد، الاستخبارات، ص ١٥٩.

سيفه أمام خيمته؛ لعلمه بخطورة الزمان فمعركة خيبر كانت في الوقت نفسه، وخطورة المكان لقربهم من حصون خيبر، فشكل هذا الإجراء الأمني من أبي أيوب حالة ردع مانعة لمن يفكر بالاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود.

حماية الاجتماعات

حماية اجتماع العقبة

تسللت جماعة من الأنصار إلى مكة، مستخفين لا يشعر بهم أحد، واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة وواعدوه على أوسط أيام التشريق بالعقبة، وهم ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان[١]، وناموا مع قومهم، فلما مضى الثلث الأول من الليل؛ خرجوا بهدوء متسللين حتى اجتمعوا في الطريق عند العقبة[٢]، وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس، وهو على دين قومه، وأبو بكر وعليّ رضي الله عنهما، فأوقف العباس عليًّا على مدخل الطريق عينًا له، وأوقف أبا بكر على مدخل الطريق الآخر عينًا له[٣]، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس إلى مكان تجمع الأنصار... "ولما لغطوا[٤] قال العباس بن عبد المطلب وهو آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفوا جرسكم[٥] فإن علينا عيونا... فإنا نخاف قومكم عليكم ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالكم"[٦].

ويُستنتج مما سبق روعة التخطيط الأمني وحجم الإجراءات الأمنية المتخذة لتأمين هذا المؤتمر، واحتاج الكثير من الاهتمام بالإجراءات الأمنية المتخذة لحمايته وطوال فترة انعقاده وحتى نهايته[٧]، ولعل أهمية هذا المؤتمر تعود إلى كونه مفصليًا في حياة دعوة الإسلام والمسلمين، وسيترتب عليه

---

(١) ابن ابي عاصم، الاحادي، ج ٣، ص ٣٩٦؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ٧٠؛ ابن الجوزي، تلقيح، ج ١، ص ٣٠٥؛ المقريزي، إمتاع، ج ١، ص ٥٣.

(٢) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٤٦١؛ الفاكهي، أخبار، ج ٤، ص ٢٣٦؛ البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٣) الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٠؛ المقريزي، إمتاع، ج ١، ص ٥٣.

(٤) اللغط أصوات مبهمة لا تفهم، واللغاط يلغط بصوته لغطا ولغيطا ويلغط الغاطا، باكرته قبل الغطاط اللغط، وألغطوا أكثروا اللغط. – الفراهيدي، العين، ج ٤، ص ٣٨٧.

(٥) الجرس: مصدر الصوت المجروس، والجرس الصوت نفسه، وجرست الكلام تكلمت به، وجرس الحرف نغمة الصوت. – الفراهيدي، العين، ج ٦، ص ٥١.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٢٢؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ٢٢٣.

(٧) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ١٦٤؛ طايل، منظور، ج ٧، ص ١٩٨، ١٩٩.

انتقال الدعوة إلى المدينة وإعلان قيام دولة الإسلام، ويمكن التركيز على بعض الإجراءات الأمنية المتخذة ومنها ما يلي:

١. شكل التخطيط المسبق لهذا المؤتمر وتوفر المعلومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم عامل مساعد لوضع ترتيبات الزمان والمكان لانعقاده والاتفاق على الاجراءات المتبعة حتى نهايته.
٢. كانت الإجراءات الأمنية المتبعة من قبل العباس بتأمين مكان المؤتمر، وتوفير الحماية الآمنة له من خلال رصد محيطه، بالإضافة إلى التحرك الآمن من قبل الأنصار لمكان انعقاد المؤتمر؛ شكل عامل أمان وحماية لمكان انعقاد المؤتمر، ومنح الجميع الراحة النفسية مما ساعد على نجاح المؤتمر وتحقيق أهدافه.
٣. سجل العباس ملاحظاته لضبط وتيرة النقاش داخل المؤتمر مخافة ارتفاع الأصوات وانتباه العيون لمكان المؤتمر ومعرفة من يشارك فيه مما يترتب على ذلك عواقب غير محمودة.
٤. عمل العباس على توجيه الحضور بالانفضاض السريع والعاجل بعد البيعة والعودة إلى رحالهم لتأمين سلامة عودة الجميع وأمنهم.

حماية غرف عمليات رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعارك

حماية غرف عمليات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر

كانت لغزوة بدر أهمية كبرى؛ لما تمثله كأول معركة حقيقية يخوضها المسلمون، وغلبهم الخوف من نتائج هذه المعركة، وكان على سلم اهتمامهم حمايته صلى الله عليه وسلم، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: "يا نبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونعد عندك ركائبك[١]، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه خيرًا، ودعا له بخير ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشًا فكان فيه"[٢].

يتضح من كلام سعد بن معاذ تعمق الفكر الأمني عند المسلمين، واستشعاره بالأهمية القصوى لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد لمس خطورة هذه المرحلة على حياة رسول الله

---

(١) الركائب: جمع الركاب، والركب جمع ركاب، وهي الرواحل من الإبل. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٤٣٠.
(٢) ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ٢٧٩؛ ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ١٦٢؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٤٤.

صلى الله عليه وسلم، مما استدعى منه تشديد الإجراءات الأمنية لحمايته خلال هذه المرحلة[١]، لأن تعرضه للاستهداف من قبل المشركين يؤدي إلى كارثة بين المسلمين[٢]، كما أن القضاء عليه صلى الله عليه وسلم يعني القضاء على الإسلام[٣]، بالإضافة إلى اهتمام سعد بن معاذ رضي الله عنه بتأسيس غرفة عمليات حربية للمسلمين، ولقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم شروط اختيار المقر الدائم للمعركة وأمن حراسته[٤].

ولقد تمتع سعد بن معاذ رضي الله عنه بالذكاء الحاد الذي يُكسبه القدرة على الفهم الصحيح للأحداث التي يلاحظها، ويساعده على الاستنتاج السريع لمؤشرات الخطر والمسبق لهذه الأحداث[٥]، ومن الممكن القول بأن ذلك من مهام رجل الأمن والحماية المكلف بحماية الشخصيات المهمة؛ وهو توفير مكانٍ آمنٍ للشخصية المكلف بحمياتها، ولا يؤثر على أداء العمل ومتابعتها له.

حماية غرف عمليات رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني النضير

ضربت خيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرب من حصون بني النضير، ولما دخل الخيمة قام رجل من يهود يدعى عزوك وكان أعسرًا راميًا برمي السهم فوصل خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتم حينها نقل الخيمة إلى مكان بعيد عن السهام[٦]،وقد حاول عزوك التسلل خارج الحصن مع مجموعة من يهود بني النضير، فتصدى لهم علي بن أبي طالب واستطاع قتل رامي خيمة النبي بسهم، وقتل بعده عشرة وانهزم الباقون[٧].

وهكذا يُلاحظ تبادل الأدوار بين اليهود وقريش على استهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيمكن لَمس العامل المشترك في أغلب المعارك هو محاولتهم المستمرة والمستميتة لاغتياله، وهاهم يهود بني النضير وبعد فشل محاولتهم الأولى يحاولون مرة ثانية وأثناء حصارهم، وكان لردة الفعل الإيجابية من قبل المسلمين وسرعة تفاعلهم مع الحدث، بالإضافة إلى تجديد خطة الحماية

---

(١) السبهان، دور، ص ٣٣.
(٢) طايل، المنظور، ج ٧، ص ١٩٦.
(٣) أحمد، الاستخبارات، ص ١٥٧.
(٤) خطاب، الرسول، ص ١٢٢.
(٥) السبهان، دور، ص ٢٢.
(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣١٤.
(٧) ابن تيمية، منهاج، ج ٨، ص ١١٠؛ الذهبي، المنتقى، ج ١، ص ٥١٧؛ الصالحي، سبل، ج ٤، ص ٣٢٢.

وبصورة مرنة من خلال نقل خيمته إلى مكان أكثر أمنًا، بطريقة أخرجت رسول الله صلى الله عليه وسلم من منطقة الخطر، بل تمكنوا من قتل الأشقى الذي حاول اغتياله[1].

حماية غرف عمليات رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق

وبعد الانتهاء من حفر الخندق، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل سلع[2]، فجعله خلف ظهره والخندق أمامه، وعسكر هناك وأقام خيمته عند المسجد الأعلى الذي بأصل جبل الأحزاب، وكان المسلمون يحرسون الخيمة، فتروي عائشة رضي الله عنها وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمته وقد اشتد البرد عليه يقول يا حبذا رجل من المسلمين يحرسني، فسمعوا صوت السلاح فإذا هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراسة الثغرة، كما روت أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحرس نفسه في الخندق، وكنا في برد شديد، فلما سمع خيل المشركين حول الخندق نادى عباد ابن بشر رضي الله عنه قائلًا له من معك، فقال: أنا في نفر من المسلمين حول خيمتك، وأضافت أم سلمة رضي الله عنها رحم الله عباد بن بشر فإنه كان أكثر المسلمين حراسة لخيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصدى لمحاولة خالد بن الوليد ونفر من المشركين استهداف الخيمة، وفزع رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه على صوت شعار المهاجرين يتردد يا خيل الله اركبي، فخرج ليستعلم فوجد نفرًا من الصحابة يحرسونه، فقال عباد بن بشر رضي الله عنه: هذا صوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرض المسلمين وهو يدور عليهم[3].

ويبدو أن تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال معركة الخندق؛ استندت على توفير الحماية له من قبل المسلمين، وتركزت هذه الحماية على محورين: المحور الأولى هو توفير مقر حماية يكون كغرفة عمليات عسكرية للمسلمين ومقر إقامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت نفسه، وكان المحور الثاني هو تكليف فرق حماية تتناوب حراسة غرفة العمليات.

وكما يُلاحظ تناوب قيادة فرق الحماية: كل من سعد بن أبي وقاص وعباد بن بشر وعمر بن الخطاب على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تؤدى الحراسة بشكل جماعي بأعلى

---

(١) السبهان، دور، ص ٢٣؛ طايل، المنظور، ص ١٩٦.

(٢) سلع: جبل متصل بالمدينة. – البكري، معجم، ج ٣، ص ٧٤٧.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٨٨، ٣٩٦ – ٣٩٨.

درجات الكفاءة[1]، وكانوا يتفقدون المسلمين في ثغورهم وأماكن انتشارهم للتأكيد على يقظتهم أثناء مناوبتهم وحراستهم لها، بالإضافة إلى تحريضهم على الثبات ومقاومة عدوان قريش.

ويتضح مما تقدم استمرار المشركين بمحاولاتهم الإجرامية لاستهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل القضاء عليه وقتله أملًا منهم بأن ذلك سينهي هذه الدعوة، لكن تمتع المسلمين باليقظة ومعرفة أهداف قريش الخبيثة والخبيئة، أي أفشل أهداف قريش، ووفر الحماية الكافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل محاولات الاستهداف.

واللافت في هذه الحادثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي طلب من الصحابة حراسته رغم علمه بأن الله تعالى يعصمه من كيد المشركين، وهو تشريع وتأكيد منه صلى الله عليه وسلم على ضرورة الأخذ بالأسباب، وأن تحظى مسألة حماية القيادة بكل الإهتمام من قبل الجهات الأمنية وبكل الوسائل الممكنة.

نخلص مما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتم بصورة كبيرة بترتيب الأمن والحماية لمقراته واجتماعاته، ولقد حقق نجاحًا باهرًا في ذلك، بل أوجد بيوتًا آمنة استطاع من خلالها تأدية دوره الدعوي والجهادي، وعمل على تهيئة الظروف الأمنية الآمنة المحيط باجتماعاته ليحقق الموازنة بين توفير الأمن وعدم إعاقة العمل.

---

(١) طايل، المنظور، ص ١٩٦.

المبحث الثالث

التحركات الأمنية للمسلمين

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بخطورة المحيط الذي يعملون به، واستشعروا عداوة البيئة التي يعيشون عليها، ورفض المحيط للدعوة الإسلامية، فاستعانوا بالتحركات الأمنية المحسوبة والمدروسة، واستدعوا السرية وحافظوا عليها خلال هذه التحركات، من أجل درء الخطر عن المسلمين وحمايتهم من استهدافات الأعداء لهم، وتحقيق النجاح للمهمات الأمنية، ولقد ساهمت تلك التحركات بوصول المسلمين إلى بر الأمان وتحقيق أهدافهم المرجوة، وسنقف على بعض هذه التحركات الأمنية لمعرفة حجم أثرها على نجاحات المسلمين.

التحركات الأمنية في مكة

التحركات الأمنية خلال فترة الدعوة الأولى

امتازت الدعوة الإسلامية في بدايتها بالسرية، فلقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرًا وجهرًا[١]، وطلبه بعض المسلمين وهو بالجبل مكتتم، فقال أبو ذر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك نسمع إلى ما تدعو إليه[٢]، فاستجاب له عدد من المسلمين، وشكلت الصلاة في حياتهم أهمية قصوى، فأول ما افترضت ركعتين كل صلاة،[٣]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الصلاة في شعاب مكة، ومعه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه وأعمامه وقومه فيصليان فيها ثم يعودان مساءً[٤]، كما كان أصحابه يؤدون صلاتهم في الشعاب مستخفين من قومهم، ولما صدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإسلام؛ ذكر آلهتهم بسوء وعابها، أجمعت قريش على معاداته، واستمر المسلمون مستخفين بدينهم[٥].

---

(١) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٢٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) ابن اسحق، سيرة، ج ٢، ص ١٢٢؛ الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ١٢١.

(٣) ابن أبي خيثمة، أخبار، ج ١، ص ٢٠٢؛ ابن البخاري، مشيخة، ج ٢، ص ١٤٢٠.

(٤) ابن هشام، سيرة، ج ١، ص ٣١٧؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٢١٠؛ البري، الجوهرة، ج ١، ص٢٧٦؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٣، ص١١٩؛ محب الدين، ذخائر، ج ١، ص ٦٠.

(٥) ابن اسحق، سيرة، ج ٢، ص ١٢٨؛ ابن هشام، سيرة، ج ١، ص ٣٢٩؛ الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٧.

لقد أحاط رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركاته الدعوية بنوع من السرية(١)، وأقام المسلمون صلاتهم بسرية تامة في بيوتهم إذا خلت أو في شعاب مكة بعيدًا عن أعين قريش(٢)، والظاهر أنهم عمدوا إلى التخفي من خلال تحركهم الأمني نحو أماكن أمنية وبطريقة آمنة، وشكل لجوء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التحرك الأمني خلال دعوته قدوة للمسلمين، فاعتمدوا التحركات الأمنية خلال صلاتهم وحراكهم اليومي في مكة، ويمكن القول إن نتيجة معاداة قريش للإسلام ورفضها اتباعه فرض على كثير من المسلمين التخفي خلال تحركاتهم هربًا من بطش قريش وظلمها.

واتفق علي بن أبي طالب مع أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما على التحرك صباحًا إلى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال علي: سأمشي أمامك وتتبعني فإن شاهدت ما يريبني وقفت وكأني أشرب الماء، وإن سرت فاتبعني حتى تلحق بي إلى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل وسمع من قوله وأسلم في الحال، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري"(٣)، وفي رواية أخرى، قال علي بن أبي طالب: فإن شاهدت ما يريبني قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي... فلما أسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل"(٤). وكان أخو أبي ذر قد حذر أبا ذر، قائلًا "وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا(٥) له وتجهموا(٦) له"(٧)، كما سعى عمرو بن عبسة رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، فوجده مستخفيًا بدعوته، لتجرأ قريش عليه، فأخذ الحيطة والحذر حتى وصل إلى مكانه صلى الله عليه وسلم(٨).

ويُلاحظ مدى الوعي ووضوح المفاهيم الأمنية عند المسلمين، ومن منطلق استشعار علي رضي الله عنه بتهديدات قريش؛ اعتمد على بعض الإجراءات الأمنية خلال تحركاته الأمنية للقاء رسول الله

---

(١) الملاح، الوسيط، ص ١٠١.

(٢) هيكل، الجهاد، ج ١، ص ٣٧٧.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤٠١؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ١٩٢٣، ١٩٢٤؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٦٦، ص ١٨١؛ ابن الأثير، أسد، ج ٦، ص ١٠٨؛ ابن كثير، السيرة، ج ١، ص ٤٤٨.

(٤) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٢٩٥؛ محب الدين، ذخائر، ج ١، ص ٢٠١.

(٥) شنفوا له: أي أبغضوه، شنف له وبه في البغضة والفطنة. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ١٨٤.

(٦) تجهموا: إذا استقبله بوجه كريه ويلقاه بالغلظة. – ابن منظور، لسان، ج ١٢، ص١١١.

(٧) ابن حنبل، مسند، ج ٥، ص ١٧٤؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ١٩٢٣.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٢١٦؛ مسلم، صحيح، ج١، ص ٥٦٩؛ أبو عوانة، مسند، ج١، ص ٢٠٦.

صلى الله عليه وسلم، فلقد احتاط علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمنيًا، فطلب من أبي ذر رضي الله عنه أن يتبعه حيث ذهب ولم يسيرا معًا، وأيضًا اتفقا عند تعرضهما للخطر أن يفترقا، فاعتمد علي رضي الله عنه أسلوب الشفرة[١] لاستخدامها في حالة الخطر كاحتياط أمني إجرائي حتى لا ينكشف مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتالي يتعرض الجميع للخطر.

كما يبدو أن التحركات الأمنية التي تسلح بها كل من يريد الدخول إلى الإسلام قد اكتسبها من البيئة العربية، ومن استشعارهم بمدى خطورة الدعوة التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تحرك ابن عبسة رضي الله عنه بصورة سرية وبعيدًا عن عيون قريش متسلحًا بالحيطة والحذر.

وألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور أمام المشركين في الكعبة فتفرق المسلمون في نواحي المسجد، ووقف أبو بكر خطيبًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا، وكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله، وغضب المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، وجعل عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفين[٢] ويحرفهما لوجهه، وأثر على وجه أبي بكر حتى ما يعرف أنفه من وجهه، ونقل أبو بكر إلى بيته ولا يشك أحد في موته، فلما استيقظ آخر النهار قال: ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أمه أم الخير[٣]: والله ما لي علم بصاحبك، قال فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب[٤] فسليها عنه، فلما ذهبت إلى أم جميل وسألتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: أم جميل لا أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت، قالت: نعم، فذهبت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا[٥]، فقالت أم جميل: إن قومًا نالوا منك هذا لأهل فسق، قال أبو بكر

---

(١) الشفرة: Code نقل المعلومات أو تمثيلها بأشكال مختلفة، وفق مجموعة من القواعد المقررة مسبقًا. – الكيلاني، القاموس، ص ٤٩. والجدير بالذكر ان العرب كانوا أول من أوجد علم الرموز، وايجادهم طرقًا ومناهج له وتدوينها خطيًا. – زهر الدين، موسوعة، ج ١، ص ٩.

(٢) مخصوفين: خصف النعل يخصفها خصفا: ظاهر بعضها على بعض وخرزها، وهي نعل خصيف وكل ما طورق بعضه على بعض. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٧١.

(٣) أم الخير: بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، والدة أبي بكر الصديق، أسلمت قديمًا، ولما مات أبو بكر ورثه ابواه، وماتت أم الخير قبل أبي قحافة. – ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٣٨٦.

(٤) فاطمة بنت الخطاب: ابن نفيل القرشية العدوية، تكنى أم جميل، أخت عمر، أسلمت قديمًا مع زوجها سعيد بن زيد، واسمها أميمة، كانت سببًا في إسلام أخيها عمر. – ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٧١.

(٥) دنف: الدنف المرض المخامر الملازم، ورجل دنف، وفعله دنف وأدنف، وامرأة دنفة، ورجل مدنف، فإذا قلت رجل دنف فالرجل والمرأة فيه سواء، وكذلك الجمع. – الفراهيدي، العين، ج ٨، ص ٤٨.

رضي الله عنه فما فعل رسول الله؟ قالت هذه أمك تسمع، فقال لا عليك منها، فقالت سالم صالح، قال فأين هو؟ فقالت في دار الأرقم[١]، فأقسم ألا يأكل الطعام حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما هدأت الحركة وسكن الناس خرجا به حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكب عليه يقبله، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأم الخير بالهداية فأسلمت[٢].

ويتضح مما تقدم عِظم تبعات الدعوة إلى الإسلام، فلقد وازن المسلمون بين ضرورة تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس وبين تحركاتهم الأمنية، ويمكن مُلاحظة ذلك وفي أحلك ساعات المحنة وأشدها عليهم، فنجد هنا الحس الأمني المرهف الذي تمتعت به فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها، فشكل تجاوبها مع أم الخير حالة أمنية فريدة تنم على وضوح المفاهيم الأمنية لديها وتجذر العمل الأمني لعندها، لتحقق تحركاتها الأمنية مع أم الخير أهدافها.

فأنكرت بداية أي علاقة تربطها مع أبي بكر رضي الله عنه تاركةً المجال لنفسها بالذهاب مع أم الخير لمعرفة ما تريده، ثم نُلاحظ إظهارها تعاطفها مع أبي بكر لرفضها هذا الظلم والاعتداء عليه من أهل الفسق، ولم تغفل في تلك اللحظة وجود أم الخير، ولم تتحدث أمامها إلا بعد أن طمأنها أبو بكر رضي الله عنه، فاستعانت بالتورية قائلة إنه سالم صالح لتبليغه بأن رسول الله بخير، وأخيرًا كانت تحركاتهم الأمنية بناءً على حركة الشارع، فلم يتحركوا إلا بعد هدوء حركة الناس وذهابهم إلى منازلهم، لتشكل تحركات المسلمين الأمنية حالة فريدة في عالم الأمن، عملت على الموازنة مع عالم تبليغ دعوة الإسلام.

التحركات الأمنية خلال الهجرة إلى الحبشة

في رجب من السنة الخامسة للبعثة[٣]، تسلل المهاجرون خفيةً إلى ميناء الشعيبة على البحر الأحمر منهم الراكب والماشي، وتوافق وجود سفينتين للتجار نقلتهم إلى أرض الحبشة [٤]، وبقي

---

(١) الأرْقَم: واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد، القرشي المخزومي، يكنى أبا عبد الله، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا، واستعمله على الصدقات، وهو الذي استخفى رسول الله صلى الله عليه وسلّم في داره، توفي سنة ٥٣ هـ – ٦٧٣م، وهو ابن ٨٣ سنة. ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ٩٤، ٩٥.

(٢) الأصبهاني، الحجة، ج ٢، ص ٣٦٤ – ٣٦٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٣٠، ص ٤٩، ٥٠؛ محب الدين، الرياض، ج ١، ص ٣٩٧ – ٣٩٩؛ الصالحي، سبل، ج ٢، ص ٣١٩، ٣٢٠ .

(٣) ابن الجوزي، الوفا، ج ١، ص ١٩٤؛ البغوي، تفسير، ج ١، ص ٥٧؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ١٦٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠٤؛ المقريزي، امتاع، ج ١، ص ٣٧.

المسلمون آمنين حتى خرج على النجاشي رضي الله عنه من ينازعه ملكه، فحزنوا أشد الحزن، وخافوا نجاح الانقلاب، فيأتي من لا يعرف حقهم، وجرت المعركة على الجانب الآخر من نهر النيل، فكلف المسلمون الزبير بن العوام رضي الله عنه برصد المعركة ومعرفة نتائجها، حيث قطع النهر سباحة إلى الجانب الآخر، وحضر المعركة، وعاد الزبير مسرعًا ببشارة انتصار النجاشي، وهلاك عدوه، وبقوا عنده حتى عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر(١).

لقد اعتمد المسلمون خلال رحلتهم على التحركات الأمنية، وفرضوا السرية على الأمر وكتمان الخبر؛ مخافة معرفة قريش بذلك واعتراضها لهم، فكان ذلك هو السبب المباشر لوصولهم بسلام إلى الحبشة، خاصة إذا علمنا بُعد المسافة بين مكة والشعيبة، وبطء تحرك المسلمين لعدم امتلاك بعضهم الرواحل. فلم تعلم قريش بهذه الهجرة إلا بعد فوات الأوان(٢)، ويرى إمام الشافعي محمد حمودي: بأن المسلمين اختاروا ميناء الشعيبة القديم للوصول إلى الحبشة، بدلًا من استخدام ميناء جدة الأقرب لتضليل قريش(٣)، وهذا غير صحيح حيث إن جدة لم تكن ميناءً إلا سنة ٢٦هـ – ٦٤٧م في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان(٤).

يبدو أن استشعار المسلمين بخطورة الانقلاب عليهم وعلى استقرارهم في أرض الحبشة؛ دفعهم إلى العمل على التحرك الأمني للوقوف على مجريات الأحداث، فعملوا على إرسال الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى أرض الصراع بين الملك النجاشي الشرعي وبين الانقلابيين، للتعرف على نتائج المعركة(٥)، لاتخاذ الموقف المناسب والخطوة اللازم حسب المتغيرات.

التحركات الأمنية خلال فترة الجهر بالدعوة

عملت قريش على ملاحقة المسلمين في كل مكان، لإلحاق الأذى بهم وضغطهم نفسيًا، مما استدعى ذلك منهم أخذ الاحتياطات الأمنية خلال تحركاتهم داخل مكة، فلمّا أسلم سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنهما؛ كتما إسلامها خوفًا من عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) ابن اسحق، سيرة، ج ٤، ص ١٩٧؛ الشيباني، السير، ج ٤، ص ١٤٢٤؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ١٣٨.

(٢) أحمد، فقه الأمن، ص ١٦.

(٣) المخابرات، ص ٣١، ٣٢.

(٤) ابن حبان، الثقات، ج ٢، ص ٢٤٦؛ المقريزي، السلوك، ج ٧، ص ١١٢؛ السخاوي، البلدانيات، ص ٤٣.

(٥) حمودي، المخابرات، ص ٣٣.

عنه وخوفًا من بطشه، فعَمِد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إرسال خباب بن الأرت[١] إلى بيتهما ليعلمهما القرآن[٢].

ويستنتج مما سبق طبيعة الصراع المرير بين المسلمين وقريش، ويبرز حجم التضييق عليهم، ويمكن القول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أدار هذا الصراع بمرونة حققت الأهداف المرسومة، فاعتمد التواصل بين المسلمين عبر الاتصالات الشخصية[٣]، بالإضافة إلى اعتبار بيت فاطمة بنت الخطاب بمثابة مكان للتنظيم، يعقد فيه حلقة من حلقاته[٤]، حيث تعد هذه الحلقات مرحلة من تطور المهارات الأمنية[٥]، وشكل هذا التطور الأمني عاملًا مهمًا من جانبين، الأول وهو المحافظة على خصوصية فاطمة بتجنيبها التحرك اللافت للنظر إلى بيت الأرقم بن أبي الأرقم، وأما الثاني فكان التحرك الآمن لخباب بن الأرت إلى بيت فاطمة رضي الله عنهما.

ولمّا أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قال: ففيم الاختفاء؟ فخرج المسلمون في صَفين يقود أحدهما عمر بن الخطاب ويقود الآخر حمزة بن عبد المطلب، فأصاب قريش الكآبة الشديدة[٦].

ويبدو أن هذا التحرك شكل منعطفًا تاريخيًا في حياة المسلمين، من خلال تحديهم لجبروت قريش، ويُلمس مدى الوعي الأمني عند المسلمين وتعمقه في سلوكهم من خلال السير عبر صفَّين اثنين؛ ليحمي أحدهما الآخر في حالة تعرضهما للخطر، وليزرعوا الرعب والحسرة في قلوب المشركين.

كما حاصرت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين سنتين أو ثلاثًا، حتى بلغ الجهد منهم مبلغه، وكان لا يصلهم شيئًا من الطعام إلا سرًا مستخفيًا به من أراد أن يوصله للمسلمين، فلقى

---

(١) خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة بن كعب، تميمي النسب خزاعي الولاء زهري الحلف، وكان من السابقين إلى الاسلام وممن تعذب في الله تعالى، وكان سادس ستة في الاسلام، وشهد بدرا والمشاهد كلها، توفي منه بالكوفة سنة ٣٧هـ – ٦٥٧م في خلافة علي رضي الله عنه. – النووي، تهذيب، ج ١، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) ابن حنبل، فضائل، ج ١، ص ٢٧٩؛ ابن الجوزي، كشف، ج ١، ص ١٠٨.

(٣) الملاح، الوسيط، ص ١٠٤.

(٤) هيكل، الجهاد، ج ١، ص ٣٨٨.

(٥) أحمد، فقه الأمن، ص ١٣.

(٦) الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ١٨٠؛ ابن حجر، فتح، ج ٧، ص ٤٨؛ السيوطي، جامع، ج ١٣، ص ٢٨١؛ المتقي، كنز، ١٢، ص ٢٥٠.

أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد، وكان برفقته غلام يحمل قمحًا يريد به عمته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في شعب أبي طالب، فحاول أبو جهل منع حكيم بن حزام من توصيل الطعام إلى عمته، فتصدى له أبو البختري بن هشام[١] وحدث شجار بينهما[٢].

ويبدو أن توفير الطعام للمحاصرين في شعب أبي طالب؛ احتاج الى التحركات الأمنية بعيدًا عن عيون قريش المتربصة بالشعب وبمن يتردد حوله، ويمكن القول إنَّ هذه التحركات الأمنية كان لها دور في ضمان وصول بعض المساعدات إلى المحاصرين مما كان يزيد من قدرتهم على الصمود.

التحركات الأمنية خلال بيعة العقبة الثانية والهجرة إلى المدينة

غلبت الإجراءات الأمنية على ترتيبات بيعة العقبة الثانية، وبدأت هذه الترتيبات من المدينة، "فلما حضر الحج مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج وموافاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلًا أو رجلين في خمر الأوس والخزرج وهم خمسمائة، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، فسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول، إذا هدأت الرجل أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة حيث المسجد اليوم، وأمرهم: أن لا ينبهوا نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا"[٣].

يتضح مما سبق أن المسلمين من الأنصار قد اعتمدوا الخروج في موسم الحج مع حجاج المدينة المشركين ليكونوا لهم كغطاءٍ أمنيٍ، وعملوا على لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للاتفاق على ترتيبات البيعة، وتحديد المكان والزمان، وشكلت التعليمات الأمنية وتوجيهاته صلى الله عليه وسلم دليلًا مُرشدًا لهم خلال تحركهم الأمني للقائه صلى الله عليه وسلم.

ونام المسلمون من الأوس والخزرج في تلك الليلة مع قومهم، "حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في

---

(١) أبو البختري بن هشام: بن الحارث بن أسد، قُتل يوم غزوة بدر. البري، الجوهرة، ج ١، ص ٢٩١.

(٢) ابن هشام، سيرة، ج ١، ص ٤٤٣؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٥٠؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٤، ص ٣٣؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٥٠؛ الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٢١؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ٢٢٢؛ ابن جماعة، المختصر، ج ١، ص ٤٥؛ الصالحي، سبل، ج ٣، ص ٢٠٢.

الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلًا ومعنا امرأتان من نساءهم ... فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له"[١]، وفي رواية أخرى جاء معهما أبو بكر وعلي رضي الله عنهما، فأوقف العباس عليًّا على مدخل الطريق عينًا له، وأوقف أبا بكر على مدخل الطريق الآخر عينًا له[٢].

ونخلص مما تقدم إلى الاهتمام بالتحركات الأمنية من قبل المسلمين، ويحتاج اجتماعًا مهمًا كاجتماع العقبة الثاني إلى كثير من الإجراءات الأمنية لنجاحه، ولقد تمت البيعة بصورة محكمة ومتقنة وفق الخطة الأمنية المرسومة وتم تنفيذها بنجاح[٣]، ولقد تم تنفيذ بعض الإجراءات الأمنية والتحركات على الأرض ومنها:

١. لقد شكلت التحركات الأمنية للأنصار بسرية تامة عاملًا مهمًا لنجاح خطة البيعة[٤]، ويمكن القول إنَّ العدد الكبير احتاج إلى إجراءات أمنية معقدة تضمن السلامة لتحركاتهم والأمن لهم، ولتحقيق أهداف هذه المهمة.
٢. كان للعباس إجراءات أمنية وقائية[٥] لحماية تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال تكليف أبي بكر وعليّ رضي الله عنهما برصد الطريق.
٣. نجح المسلمون من الأوس والخزرج في قضاء أيام الحج مع أهليهم وأبناء عشيرتهم دون لفت الانتباه لمهمتهم خلال وجودهم في مكة، ولقد شكلت تحركاتهم السرية ومنذ لحظة مغادرتهم رحالهم وحتى عودتهم لها؛ حالة أمنية متقدمة فلم يشعر بهم أحد حتى من كان نائمًا بجوارهم[٦].

كما استمر الأنصار بأخذ الحيطة والحذر خلال تحركاتهم، فلقد عادوا إلى رحالهم ورجعوا إلى قومهم دون علم المشركين من قومهم، وجاءت قريش صباحًا ليسألوا عن نية أهل المدينة محالفة

---

(١) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٤٦١؛ الفاكهي، أخبار، ج ٤، ص ٢٣٦؛ الطبراني، المعجم، ج ١٩، ص ٨٩؛ البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٤٤٦؛ ابن الجوزي، تلقيح، ج ١، ص ٣٠٥. واللفظ لابن حنبل.

(٢) الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٠؛ المقريزي، إمتاع، ج ١، ص ٥٣.

(٣) أحمد، فقه، ص ١٦.

(٤) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ١٦٣.

(٥) حماية وقائية: التصدي للعمليات العدوانية خلال المرحلة الأولى للتنفيذ، وذلك بالسيطرة على منافذ الدخول، وفحص حالات الاشتباه، ثم وضع الحراسات المادية حول الشخصيات الهامة. – طايل، المنظور، ص ١٩٦.

(٦) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ١٦٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفير الأمان له، فأنكر المشركون من أهل المدينة ذلك، وأنهم كانوا جميعًا في رحالهم نائمون[١].

والأرجح أن التحركات الأمنية للمسلمين بعد فض الاجتماع، وحين عودتهم إلى رحالهم، دون أن يشعر بهم قومهم، جنَّبهم انكشاف أمرهم لقومهم، فتولى المشركون من أهل المدينة التصدي لقريش ونفي اتهاماتها لهم بعقد تحالفات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد أدت التحركات الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والعمل الأمني الدؤوب من المسلمين، للتعرف على المكان الأنسب والالتقاء بهذه العصبة من أهل المدينة، والمؤهلة لاحتضانه صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ تمهيدًا لإقامة دولة الإسلام الأولى، حيث مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثَ عَشْرَةَ سنة يُوحى إليه، ثم أمره الله تعالى بالهجرة[٢]، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالخروج إلى المدينة، فخرجوا أفواجًا وأفرادًا على مراحل متتالية[٣]، وكان خروجهم بصورة سرية[٤]، وعزم أبو بكر رضي الله عنه على الهجرة إلى المدينة، فقال له صلى الله عليه وسلم: "على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي"[٥].

لقد شكلت الهجرة إلى المدينة تحديًا كبيرًا للمسلمين، توجب عليهم وضع خطة استراتيجية تهدف إلى انتقال المسلمين إلى المدينة، واتخاذ إجراءات أمنية معقدة، متسلحين بالسرية، من خلال التحركات الأمنية، ويبرز هنا استمرار التطور في المهارات الاستخبارية، من تخطيط مذهل ودقيق ومتقن في مجال العمل الأمني[٦]، حيث تتابع المسلمون بالهجرة إلى المدينة فلا يشعر المشركون إلا وهم خارج مكة[٧]، ويمكن القول إن مرد ذلك يعود إلى الاهتمام المتواصل بالعمل الأمني، والالتزام بالتحركات الأمنية، وسعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للارتقاء بذلك ومحاولة ترسيخها كفكر في حياة المسلمين.

---

(١) ابن هشام، سيرة، ج ٢، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٦٣، ابن الجوزي، الوفا، ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) ابن سعد، السيرة، ج١، ص ٢٢٤؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٣٩٨.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٨٥، الماوردي، الحاوي، ج١٤، ص ٢١.

(٤) ابن سعد، السيرة، ج١، ص ٢٢٦؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٣٩٨.

(٥) ابن راهويه، مسند، ج ٢، ص ٣٢٥؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٨.

(٦) أحمد، فقه الأمن، ص ١٧.

(٧) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ١٨٦.

وصاحب الهجرة إجراءات أمنية على الأرض لوحظ من خلالها طبيعة صراع الأدمغة بين الطرفين، فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر"[١].

ويبدو أن قريشًا كانت تتابع تردد رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحوظ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه، وأنها كانت ترصد تحركاته في الصباح والمساء[٢]، وقد عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تغيير أوقات تحركاته إلى بيت أبي بكر وتخفيه عن أنظارها فشكل هذا التحرك الأمني أكبر ضمان للتهرب من مراقبة عيون قريش.

كما وصل عبدالله بن أريقط[٣] إلى غار ثور فأخذ بهم طريقَ الساحل[٤]، واعتمد طريقًا بعيدًا عن أعين قريش، وفي طريق غير معتاد السير منه، حيث تعمد السير جنوبًا، ثم توجه إلى الغرب فشمالًا حتى المدينة[٥]، وقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى المدينة إلى بعض المخاطر والملاحقات الأمنية من قبل المتربصين به، ووضعت قريش مكافأة لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع سراقة بن مالك[٦] رضي الله عنه بمعلومة عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الساحل، فلما اقترب منهم تعثرت فرسه فوقع سراقة، وحاول استعمال سهمه فلم يقدر، فنادى عليهم قائلًا إن قريشًا جعلت فيكم مكافأة، وأخبرهم بمعلومات حول طلب قريش لهم، وطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم الأمر[٧].

---

(١) عبد الرازق، المصنف، ج ٥، ص ٣٩٠، ٣٩١؛ ابن حنبل، مسند، ج ٦، ص ١٩٨؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٨، ١٤١٩؛ اللالكائي، اعتقاد، ج ٤، ص ٧٧٤، ٧٧٥.

(٢) الغضبان، المنهج، ج١ ص ١٨٩، ١٩٠؛ ابو فارس، الهجرة، ص ٣٦.

(٣) عبد الله بن اريقط، ويقال أريقد، الليثي الدئلي، جزم عبد الغني المقدسي في السيرة بأنه لم يعرف له اسلام وتبعه النووي – ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ٥.

(٤) الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٩؛ ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ٩٢؛ ابن الجوزي، الوفا، ج ١، ص ٢٤١؛ العيني، عمدة، ج ١٢، ص ٨١.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١١٣؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ٢٣٩.

(٦) سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي، أبو سفيان، أسلم بعد حصار الطائف، توفي بعد عثمان بعامين، سنة ٣٧ هـ– ٦٥٧م. – الذهبي، سير، ج ٢، ص ٤٧٢.

(٧) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤٢٠؛ الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٧.

لقد كان للتحركات الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلال رحلته إلى المدينة؛ بالغ الأثر في وصولهما بسلام، وكان الاختيار لهذا الدليل موفقًا، فكم كان هذا الدليل ماهرًا وهو يسير بهم في كل صوب حتى يقودهم إلى المدينة[١].

كما أن تحول سراقة وتأثره برسول الله صلى الله عليه وسلم، قد عاد بالفائدة حيث زوده سراقة بما يملك من معلومات حول تحركات قريش في سعيها لطلبه، وتعهد بكتم ما شاهده من تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التحركات الأمنية في المدينة

التحركات الأمنية لسرايا الاستطلاع

تطلبت إدارة حالة الصراع مع قريش تحركًا أمنيًا واعيًا وفق رؤية واضحة وأهداف مرسومة، ففي ذي القعدة ١هـ، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنه لاعتراض عيرًا لقريش ستمر بالخرار، فخرجوا على أقدامهم، فكمنوا النهار وساروا الليل ودخلوا منطقة الخرار في فترة الفجر لتحقيق المفاجأة لكنهم كانوا قد غادروا المكان سابقًا[٢].

يتضح مما سبق اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحركات الأمنية لقواته، فاستند على عدة عوامل لإنجاح هذه التحركات، مثل توفير المعلومات الأمنية التي تساعد على تحديد الهدف بدقة من هذا التحرك، بالإضافة إلى التحرك الليلي بعيدًا عن أنظار الناس، ومهاجمة المكان فجرًا.

وفي صفر ٢ هـ – ٦٢٣م كان التحرك لغزوة الأبواء، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعترض قافلة لقريش، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني ضمرة خمسة عشر يومًا وودعهم، على أن لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يعينوا عليه، فكتب بذلك كتابًا[٣].

نخلص مما تقدم إلى الأهمية المتشعبة للتحركات الأمنية، ويبدو أن تحركات رسول الله صلى الله عليه وسلم في المكان كان استعراضًا للقوة وإشعارًا لقريش بذلك[٤]، ولقد أطلعته التحركات الأمنية في

---

(١) الغضبان، المنهج، ج ١، ص ١٩٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٨١؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٢؛ ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ١٠٠؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٨٩.

(٤) الملاح، الوسيط، ص ١٩٦.

المنطقة على أهمية المكان، فحملت بنود الموادعة بُعدًا استراتيجيًا مهمًا؛ فمن بنودها: ألَّا يعينوا عليه ومن ضمن العون: عدم تزويد قريش بمعلومات عن تحركات المسلمين في المنطقة، وتزويد المسلمين بالتحركات المعادية للقبائل في مناطق نفوذها.

قد سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرصد تحركات قريش في أغلب الأوقات، من ذلك أنه أعطى عبد الله بن جحش رضي الله عنه كتابًا وأمره ألَّا ينظر إليه؛ حتى يسير يومين، فلما فتح الكتاب وجد فيه: "فإذا نظرت في كتابي فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، وتعلم لنا من أخبار قريش"[١].

يستنتج مما تقدم بأن التحركات الأمنية لقادة السرايا[٢] خلال فعلهم الأمني في الميدان؛ كانت تهدف إلى تحقيق الأهداف المرجوة لهذا التحرك قبل علم قريش بذلك، فتأخذ حذرها مما يفقد السرايا عنصر المفاجأة، بالإضافة إلى إمكانية تعرضها للاستهداف، ويشير ذلك إلى مدى التطور في الفكر الأمني عند المسلمين، وتناغمه مع التحركات الأمنية لهم على الأرض.

ويتضح مما سبق أيضًا اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم برصد تحركات قريش وحركة قوافلها، ومعرفة نواياها ضد المسلمين، ومتابعة تأثير ذلك على تحركات المسلمين الأمنية في منطقة الفعل الأمني، لوضع الخطط الناجحة والتي تساهم في التغلب على العدو في المعركة، فكانت تعليماته بالاقتراب من قريش وخطوط تحركاتها، وتكمن الخطورة في قرب مكان الرصد من مكة، فتعرف المسلمون بذلك على الطرق التجارية الحيوية لقريش[٣].

كما استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرّية وأخذ الاحتياطات الأمنية، مخافة تسرب الخبر، ولإنجاح التحركات الأمنية للمسلمين؛ ابتكر مبدأ الكتب المغلقة، فسجل رسول الله صلى الله عليه وسلم السبق له على قادة الجيوش العصرية[٤] باستعانته بما يسمى بالرسائل المكتوبة حفاظًا على سرية المهمة، وحرمان قريش من الحصول على المعلومات الأمنية حول تحركات المسلمين[٥].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥١؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٢؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٨؛ ابن كثير، البداية، ج ٣، ص ٢٤٩.

(٢) سُمّوا سرية لأنهم يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار. – الشيباني، شرح، ج ١، ص ٣٣.

(٣) خطاب، الرسول، ص ٩٣.

(٤) ذكر الألمان أنهم أول من استعمل الرسائل المكتوبة، وهذا خلاف الحقيقة. – خطاب، الرسول، ص ٩٤.

(٥) خطاب، الرسول، ص ٩٤.

ولقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قطن في محرم ٤ هـ – ٦٢٥م بعد أن وصلت معلومات حول تجمعات للمشركين يقودها طليحة[١] وسلمة ابني خويلد، وأنهما تحركا بقومها لمهاجمة المسلمين ودولة الإسلام، فبعث معه مائة وخمسين رجلًا من المهاجرين والأنصار وقال: "سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم، فخرج فأغذ السير[٢]، ونكب[٣] عن سنن الطريق[٤]، وسبق الأخبار، وانتهى إلى أدنى قطن، فأغار على سرح لهم فضموه، وأخذوا رعاء لهم مماليك ثلاثة، وأفلت سائرهم فجاؤوا جمعهم فحذروهم فتفرقوا في كل ناحية، ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاء، فآبوا[٥] إليه سالمين؛ قد أصابوا إبلًا وشاءً، ولم يلقوا أحدًا، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة"[٦].

ويبدو أن التحركات الأمنية قد تجذرت في نفوس المسلمين، وشكلت توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة السرايا وللمجاهدين دليلًا لتحركاتهم الأمنية وساعدت على حسم المعارك وتحقيق الانتصارات، فكان من تلك التوجيهات شن الغارة بصورة مفاجأة على تجمعات المشركين قبل تجمعهم، والسير بسرعة لمسابقة أي أخبار قد تكون تسربت إلى المشركين، وفي محاولة للابتعاد عن العيون كانت التعليمات بتجنب الطرق المعروفة والابتعاد عنها.

والظاهر أن عدم اعتقال جميع الرعاة؛ مكن من هرب منهم من تحذير المشركين ليتفرقوا بعيدًا عن قوات المسلمين، ولكن عملت تحركات المسلمين في المنطقة وانتشارهم الواسع؛ من اغتنام الكثير من الماشية، وكانت للتحركات الأمنية الدور الكبير في تحقيق حالة الردع بحق المشركين.

---

(١) طُلَيْحَة بن خُوَيلِد بن نَوْفَل بن نَضْلَةَ بن الأَشْتَر بن حَجْوان، الأسَدي كان من أشجع العرب، وكان يعد بألف فارس، تنبأ طُلَيحة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد، ولما انهزم طليحة لحق بنواحي الشام، فأقام عند بني جَفْنَةَ حتى توفي أبو بكر، أسلم في خلافة عمر بن الخطاب إسلاماً صحيحاً، وله في قتال الفرس في القادسية بلاءٌ حسن. – ابن الأثير، أسد، ج ٣، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) أغذ السير: أسرع، وأغذ يغذ إغذاذًا إذا أسرع في السير. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٥٠١.

(٣) نكب: نكب عن الشيء عدل، ونكبت، عدلت، وتنكبه أي تجنبه، نكب فلان عن الصواب ينكب نكوبا إذا عدل عنه. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٧٠.

(٤) سنن الطريق: تنح عن سنن الطريق وسنن الطريق بفتح السين وضمها، فالأول مفرد والثاني جمع سنة، وهي جادة الطريق والواضح منها. – ابن أبي الحديد، شرح، ج ١، ص ١٣٢.

(٥) فآبوا إليه: أوب الهمزة والواو والباء أصل واحد وهو الرجوع، وآب فلان إلى سيفه أي رد يده ليستله، والأوب ترجيع الأيدي والقوائم في السير. – ابن فارس، معجم، ج ١، ص ١٥٢.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٠؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٣٢٠، ٣٢١.

التحركات الأمنية خلال المعارك

كانت التحركات العسكرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة أمنية؛ للوصول إلى أرض المعركة بأقصر الطرق وتجنبًا للاحتكاك مع قريش قبل تهيئة الجيش للمعركة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عند خروجه إلى أحد: "من رجل يخرج بنا على القوم من كثب[١] من طريق لا يمر بنا عليهم، فقال أبو خيثمة[٢] أنا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لربعي بن قيظي وكان رجلًا منافقًا ضرير البصر"[٣]، ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل أحد، وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت تعبأ للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسًا[٤].

يستنتج مما سبق مدى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالتحركات الأمنية لجيشه، فعمل على تجنب الصدام مع قريش قبل التموضع في أرض المعركة، فأعطت تحركاته عبر طريق مختصرة وبعيدًا عن المرور عن قوات قريش؛ فرصة للوصول إلى أرض المعركة بعيدًا عن فرض قريش الأمر الواقع عليه وفرض المعركة عليه قبل الاستعداد لها، فعمل على ترتيب قواته، وتوزيع المهام عليها، ونهاهم عن أي تحركات أمنية في المنطقة أو بدء المعركة قبل إعطائهم الضوء الأخضر.

ولقد حاول يهود بني النضير اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث قام رجل يهودي برمي خيمته بالنبال، فكَمِنَ له علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرصده متسللًا خارج حصونهم وهو يقود مجموعة من اليهود فهاجمه وقتله وطرح برأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث معه أبا دجانة وسهل بن حنيف[٥] رضي الله عنهما ومجموعة من الصحابة، فأدركوا باقي المجموعة قبل أن يدخلوا حصنهم، فقتلوهم وأتوا برؤوسهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦].

---

(١) كثب: الكثب القرب وهو كثبك أي قربك، وأكثب لك: دنا منك وأمكنك، أكثب فلان إلى القوم أي دنا منهم وأكثب إلى الجبل أي دنا منه. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٠٢.

(٢) أبو حتمة الأنصاري: عبدالله أو عامر بن ساعدة، الحارثي، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم خارصًا، وكان الخلفاء يبعثونه على الخرص، ومات في ولاية معاوية. – ابن حجر، الاصابة، ج ٧، ص ٧٢، ٧٣.

(٣) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٣٠٤؛ أبو الفرج، الأغاني، ج ١٥، ص ١٨٠؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص ١٩٤.

(٤) ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ١٥٨؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ١٤٦؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢ ص ١٧٠.

(٥) سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وقد شهد صفين مع علي رضي الله عنه، ومات بالكوفة سنة ٣٨ هـ – ٦٥٨م. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٧١، ٤٧٢.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣١٤، ٣١٥؛ ابن تيمية، منهاج، ج ٨، ص ١١٠.

ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مجموعة لرصد تحركات من هم خلف محاولة اغتياله، فكانت التحركات الأمنية للمجموعة ورصد المكان، سببًا لمعرفة ثغرات سرية يتحرك اليهود من خلالها، مما مكن المسلمين من إلقاء القبض عليهم وقتلهم، فكان ذلك أحد أسباب انهيارهم واستسلامهم صاغرين.

في ربيع الأول ٥ هـ – ٦٢٦م وصلت معلومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول تجمعٍ كبيرٍ في دومة الجندل وإنهم يظلمون من مر بهم من القوافل والتجار والعمال، وكان بها سوق عظيم، فتحرك في ألف من المسلمين فقيل له إنها من أطراف الشام فلو اقتربت منها كان ذلك مما يفزع قيصر، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل ماهر بالطرق والمسالك، فخرج سريعًا في سيره ومبتعدًا عن الطرق المعروفة، فلما اقترب من دومة الجندل أخبره دليله بماشيتهم فسار حتى هجم عليها، ووصل الخبر لأهل دومة الجندل فهربوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحاتهم فلم يجد فيها أحدًا، فأقام بها أيام وبث السرايا واعتقلوا رجلًا منهم فأعلمهم بهروب قومه فأسلم ورجع المسلمون إلى المدينة[١].

ويتضح مما سبق اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحركات الأمنية، وأنها تجذرت في فكر المسلمين وسلوكهم، ويبرز هنا استناده على عيونه لرصد التحركات المعادية ومتابعتها من قبل القبائل، فكان تحركه شمالًا نحو تخوم الشام، واستعان بدليل ماهر ليساعده خلال تحركاته الأمنية؛ بالرغم من خطورة التحرك العسكري، وسار بسرعة ليحقق المفاجأة وقبل وصول الخبر لتجمعات المشركين، وعمل على تجنب الطرق المعروفة للجميع.

ولقد شكلت إقامته صلى الله عليه وسلم في منطقة دومة الجندل وتمشيطها من قطاع الطرق، وبثه للعيون في المنطقة؛ حالة ردع كبيرة بحق المجرمين، واستطاع أن يوصل رسالة قوية إلى القبائل المحتمية بدولة الروم، أنها ليست بمنأى عن الملاحقات الأمنية والعسكرية فلا حصانة لأحد، فلاحقهم وشردهم واستولى على أموالهم، ليفرض هيبة دولة الإسلام في الأنحاء المختلفة لشبه الجزيرة العربية.

يعد التحرك الأمني والعسكري لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه الشام تحركًا نوعيًا ومهمًا، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يغفل باقي مناطق شبه الجزيرة العربية، وبقيت عيونه متأهبة ومتيقظة، فاهتم صلى الله عليه وسلم بالتحرك الأمني لقواته جنوب مكة، فلقد وصلته معلومات عن تحركات

---

(١) البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ٣٩٠، ٣٩١؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ١٧٧، ١٧٨.

معادية لبعض القبائل العربية في شعبان ٧ هـ – ٦٢٨م فأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى منطقة هوازن[١] بتربة[٢] فكان يسير الليل ويكمن النهار فوصل إلى مضاربهم ولم يجد أحدًا، فانصرف راجعًا إلى المدينة، وكان خبر تحرك السرية قد وصل إلى هوازن[٣]. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي العوجاء[٤] رضي الله عنه إلى بني سليم فخرج وتقدمه عين لهم كان مع المسلمين فحذرهم فاستعدوا فتراموا بالنبل، وقتل عامة المسلمين وأصيب ابن أبي العوجاء وعاد إلى المدينة[٥].

وفي رمضان ٧ هـ – ٦٢٨م مشى غالب بن عبد الله[٦] رضي الله عنه في سرية إلى بني الملوح[٧]، وبعث جندب بن مكيث[٨] رضي الله عنه عينًا لهم، فرصدوه ورموه بسهمين وثبت مكانه، فلما احتلبوا واطمأنوا ناموا ثم هجموا عليهم واستولوا على العير[٩].

ويتضح مما سبق تزايد المخاطر الأمنية على تحركات المسلمين؛ فمع توسع دائرة التحرك الأمني وامتدادها لكامل شبه الجزيرة العربية وحتى تخوم الشام الجنوبية، أعطى المجال لزيادة أعداد المستهدفين للمسلمين والمتربصين بهم وبتحركاتهم الأمنية، فأصبحت أي تحركات أمنية للمسلمين إذ لم تَعْلَم بها عيون الأعداء ترصدت بهذه التحركات القبائل المعادية على جوانب الطريق، ويبدو أن السبب في إخفاق سريتي عمر وابن أبي العوجاء يعود لرصد الأعراب لتحركات المسلمين الأمنية، بالرغم من اتخاذ المسلمين كافة الوسائل السرية خلال تحركاتهم[١٠]. ولقد امتاز قادة السرايا بالمسئولية وتطور الفكر الأمني خلال تحركاتهم واتصف جنودهم بالصبر وتحمل تبعات الطريق.

---

(١) هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وفيهم اسْتُرْضِعَ الرسول عليه السلام ومنهم مالك بن عوف النَّصري قائد المشركين يوم حُنين منهم دُريد بن الصِّمَّة فارس العرب ثقيف ومنهم عُروة بن مسعود عظيم القريتين ، والمُغيرة بن شُعبة – ابن عبد ربه، العقد، ج ٣، ص ٣١٨.

(٢) تربة واد بالقرب من مكة، يسكنه بنو هلال، حوله جبال، فيه الفواكه – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٢١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١١٧؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ٢٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص٣٠١؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص١٩٠؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٤١٨.

(٤) سفيان بن أبي العوجاء الثقفي – ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ١٠٦.

(٥) الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٣٠٦؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص١٩٣.

(٦) غالب بن عبد الله بن مسعر بن جعفر بن كلب، الكناني الليثي. – ابن الأثير، أسد، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٧) بني الملوح، وهم بطن من يعمر الشداخ الليثي بالكديد – ابن الأثير، أسد، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٨) جندب بن مكيث الجهني، بعثه عليه السلام على صدقة جهينة، – ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ٦١٧.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢٤، ؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ١٩٤.

(١٠) حمودي، المخابرات، ص ١٧٧.

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه سلم على فتح مكة، قال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها"[١]، وذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف على الأنقاب قيمًا بهم فيقول: "لا تدعوا أحدًا يمر بكم تتكرونه إلا رددتموه، إلا من سلك إلى مكة فإنه يُتحفظ به ويسأل عنه"[٢]، ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران بالقرب من مكة وقد عَجَزَت قريش معرفة نوايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل[٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه سلم للعباس رضي الله عنه: احبس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر أمامه كتيبة كتيبة وهو يقول مالي ولهم[٤].

ما تقدم يشير إلى اعتماد القيادة الانتشار الواسع للمسلمين في المدينة وعلى مخارجها، وقاموا بعملية أمنية كبيرة هدفت إلى ضبط التحركات المريبة داخل المدينة، وإلى إغلاق أبوابها أمام التحركات المعادية لصالح قريش، وبلغت تحركات المسلمين الأمنية ذروتها؛ بأقصى إجراء أمني عُمل به؛ وهو التحفظ على كل من يريد المغادرة إلى مكة.

ويستنتج مما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمد على مبدأ المباغتة لفتح مكة من خلال المحافظة على سرية تحركاته[٥]، ولقد استطاعت جحافل المسلمين التحرك الأمني والوصول إلى أقرب نقطة من مكة دون أن يشعر بهم أحد من قريش[٦]، ولقد أصابت التحركات الأمنية لكتائب المسلمين واستعراضها أمام أبي سفيان مفاجأة له وتسببت بذُهوله، وضاع أي أمل لقريش باستعادة المبادأة[٧] واستسلموا[٨]، ويمكن القول أن خطة فتح مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد قطعت الأخبار عن قريش، فشكلت مع التحركات الأمنية لجيوش والمسلمين ضربة قاسية لإمكانية صمود قريش أمام المسلمين، ودفعتها إلى الاستسلام.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٥؛ ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ٢٢٦؛ الخازن، تفسير، ج ٧، ص ٣٠٩.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٢٣٨؛ الصالحي، سبل، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٣٥؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٥٩.

(٤) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥٥٩؛ ابن حبان، الثقات، ج ٢، ص٤٧؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص١١٩.

(٥) العسلي، المذهب، ص ٢٧٧.

(٦) حمودي، المخابرات، ص ١٧٤.

(٧) المبادأة: اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات لوضع العدو باستمرار أمام مواقف متجددة تحرمه من استخدام قواته بشكل صحيح. –العسلي، المذهب، ص ٢٩٥.

(٨) العسلي، المذهب، ص ٢٧٧، ٢٩٥.

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر ١١ هـ – ٦٣٢م أسامة بن زيد رضي الله عنه يغزو الروم قائلًا له: "سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحًا على أهل أُبنَى[١] وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك"[٢]، وعسكر المسلمون في الجُرف[٣] وشارك الكثير من كبار المهاجرين والأنصار في هذه الغزوة[٤]. وفي مرضه الأخير أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنفاذ جيش أسامة بن زيد، ونفذ خليفة المسلمين أبو بكر الوصية، فبعثه إلى أَبِل[٥] وأمره أن يرهبوا أعداء دولة الإسلام، فسار واقترب بجيشه من الشام وتوافق وجود غيمة ضبابية غطت حركة جيش المسلمين[٦]، فشن الغارة على أهل أبنى وقتل قاتل أبيه ومن أشرف له، وسبى من قدر عليه، ورجع إلى المدينة فخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سرورًا بسلامتهم[٧] فلما وصلت إلى الروم معلومات عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن إغارة جيش أسامة فقال: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ويغيرون على أرضنا[٨].

يستنتج مما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل على إصدار تعليمات أمنية للمسلمين بأهمية مبادأة العدو والاهتمام بالأعمال الهجومية، واهتم بتحركاتهم الأمنية لتحقيق الانتصار ولأخذ العبرة من نتائج غزوة مؤتة ومن خلال ما يلي:

١. الاستفادة من عامل الوقت من خلال التحركات الأمنية السريعة للجيش، واعتماد مبدأ المباغتة وأمن العمل والمناورة[٩]، كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال تحقيق المفاجأة وإدخال الرعب في قلوب الأعداء.

---

(١) أُبْنَى: موضع بين فلسطين والبلقاء في الشام. – البكري، معجم، ج ١، ص ١٠١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٩٠؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤ ص ٩٠؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ٧١٣.

(٣) الجُرُف: موضع قريب من ودان وعلى بعد ميل من المدينة. – البكري، معجم، ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٧٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٥) أَبِل: ناحية شامية وأُمر جيش أسامة أن يوطي الخيل آبل الزيت. – الحازمي، الأماكن، ج ١، ص ٣. وهي بالأردن من مشارف الشام. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٥٠.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٦٧، ٦٨.

(٧) ابن الجوزي، تلقيح، ج ١، ص ٥٧.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٦٨؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٨، ص ٦٣.

(٩) العسلي، المذهب، ص ٢٩٤.

٢. بناءً على أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحرك الأمني المفاجئ، وتشديد الضربة على الأعداء وعدم التردد بذلك[١]، والإغارة على المشركين خلال الصباح؛ في وقت فتور هممهم وعدم استعدادهم.

٣. كانت التعليمات بعدم البقاء طويلًا في أرض المعركة بعد الانتهاء منها، والمحافظة على السرية واتخاذ التدابير الأمنية لضمان أمن القوات[٢]، والعمل على تسريع التحركات الأمنية بصورة خاطفة لقطع أي تحرك أمني مضاد من قبل المشركين.

٤. توج رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليماته الأمنية وإرشاداته بالطلب من أسامة خلال تحركاته الأمنية بالاستعانة بالأدلاء والعيون والطلائع لحاجته الضرورية للمعلومات حول طبيعة الطرق والمناطق التي يمرون منها، واتجاه ولاء القبائل وسلوكها تجاه المسلمين، وتزويده بالمعلومات عن التحركات المعادية.

٥. لقد سبب هذا التحرك الأمني المفاجئ والخاطف تجاه الروم بإرباك داخل مؤسسة الحكم في دول الروم، فلقد وصلتهم معلومات عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبدو أن هرقل حاول الاستفادة من ذلك، ويمكن القول إن التحرك الأمني والعسكري لجيش أسامة سبب بخلط الأوراق عند الروم وشل أي تحركات معادية لهم ضد المسلمين.

الاهتمام بالأسرى المسلمين

تواعد عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة[٣] وهشام بن العاص[٤] للهجرة إلى المدينة سرًا، فلم يستطع هشام بن العاص الخروج وفتن فيمن فتن[٥] ولقد حبسه أبوه وعشيرته في مكة[٦]،

---

(١) العسلي، المذهب، ص ٢٩٤.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩٤.

(٣) عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو أخو أبي جهل لأمه، أسلم قبل دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت سلمة بن مخربة، فولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن عياش، ثم قدم من أرض الحبشة إلى مكة، وحبساه أخواه لأمه أبو جهل والحارث بنا هشام ثم أفلت، فقدم الشام مجاهدًا ثم رجع إلى مكة فأقام بها حتى مات. – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٢٩.

(٤) هشام بن العاص بن وائل، السهمي، أخو عمرو بن العاص، أسلم قديمًا، هاجر إلى الحبشة، قتل هشام بن العاص بأجنادين. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٤٣٣، ٤٣٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٧١؛ ابن شبه ، تاريخ، ج ١، ص ٣٥١.

(٦) البلاذري، أنساب، ج ٣، ص ٣٨٣؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص ٢٩٤.

وحضر أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام[١] إلى المدينة ليعيدا عياش وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، فقالا له إن أمك قد نذرت ألَّا يمس رأسها مشط ولا تستظل بشمس حتى تراك، فتحركت مشاعره تجاه أمه، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تذهب معهم إن يريدوا إلا فتنتك عن دينك، فعاد معهما وفي الطريق أوثقاه ودخلا به مكة نهارًا وهما يقولان هكذا افعلوا بالمسلمين كما نفعل نحن بأخينا[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأتيني بخبر عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص، فخرج الوليد بن الوليد بن المغيرة[٣] إلى مكة مستخفيًا، فسأل امرأة تحمل طعامًا عن بغيتها، قالت أريد إطعام هذين المحبوسين، فعرف موضعهما وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة[٤] فوضعها تحت قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، ثم حملهما على بعيره وساق بهما[٥].

كانت سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه المسلمين تتسم بالاهتمام بهم وبأحوالهم، ولقد أولى من يتعرض منهم للابتلاء والفتن اهتمامًا خاصًا تراوح بين الدعاء لهم بتفريج كربهم، وبين العمل على تخليصهم من مأزقهم، وكان للأسرى المسلمين نصيب الأسد من هذا الاهتمام.

ويُلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض تنفيذ مهمة تحرير الأسرى على المسلمين، وأخذ الوليد العهد على نفسه بتنفيذ المهمة، فتحرك أمنيًا فدخل مكة بصورة سرية، وأوصلته تحركاته الأمنية وسرعة البديهة التي تمتع بها إلى هدفه أولًا، فكان تحركه الأمني الثاني وخلال فترة نقص حركة الناس في الشارع لينفذ عملية تحرير الأسرى ويعود بهم مظفرًا.

---

(١) الحارث بن هشام: بن المغيرة، المخزومي أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنينًا، وشهد فحلًا وأجنادين ومات بالشام في طاعون عمواس سنة١٨ هـ- ٦٣٩م في خلافة عمر بن الخطاب. - ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص٤٠٤.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٩٤؛ الكلاعي ، الاكتفاء، ج ١، ص ٣٣١؛ النويري، نهاية، ج ١٦، ص ٢٢٩؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٢٢٠؛ الحلبي، السيرة، ج ٢، ص ١٨٤.

(٣) الوَلِيدُ بن الوَلِيد بن المُغيرة المخزومي، أخو خالد بن الوليد، أُسر في بدر مشركًا، فلما افتدى أسلم، فحبسوه بمكة، ثم أفلت من إسارهم ولحق برسول الله، وشهد مع النبي عُمْرَة القَضِية. - ابن الأثير، أسد، ج ٥، ص ٤٧١.

(٤) مروة: المرو حجر أبيض ورقيق وأصلب الحجارة، المروة الحجر الأبيض الهش يكون فيه النار وهي هذه القداحات التي يخرج منها. ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ٢٧٦.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٩٦؛ الكلاعي ، الاكتفاء، ج ١، ص ٣٣٢؛ الصالحي، سبل، ج ٣، ص ٢٢٧.

الفصل الرابع

التجسس في عهد النبوة

المبحث الأول: التهديدات الأمنية للمجتمع الإسلامي

المبحث الثاني: الجبهة الداخلية ومكافحة التجسس

المبحث الثالث: التجسس المضاد

المبحث الأول

التهديدات الأمنية للمجتمع الإسلامي

عندما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الإسلام وانطلق يدعو الناس إليه، لم يرق ذلك لقريش ولا لكثير من قوى الطغيان في شبه الجزيرة العربية، فعملت على التصدي لدعوة الإسلام، وشكلت هذه القوى تهديدًا أمنيًا مباشرًا على الإسلام –وهذا ما يسمى اليوم بتهديد الأمن القومي(١) – سرعان ما تحول هذا التهديد إلى عمل عسكري يهدف إلى استئصال شأفة المسلمين وصولًا للقضاء على الإسلام، مما عجل بحدوث الصدام بين المسلمين والمشركين بقيادة قريش(٢)، فتطلب ذلك الاهتمام بالأمن القومي والتجسس(٣) والجاسوسية(٤) من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما أذن الله تعالى للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم بالهجرة إلى المدينة أولًا، ثم بقتال المشركين(٥) فاهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأهيل العين المسلم، واعتبر التجسس من الجهاد في سبيل الله كونه يعرض صاحبه للخطر في سبيل الحصول على المعلومات من الجهات المعادية أو من مناطق خارج سيطرته(٦).

---

(١) الأمن القومي: تأمين سلامة الدولة ضد التهديدات الخارجية والداخلية، والتي تهدف إلى وقوعها تحت سيطرة أجنبية؛ نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخلي، أو هي الجرائم الواقعة على أمن الدولة الخارجي، وتتضمن: الخيانة العظمى وحمل السلاح في صفوف العدو، ودس الدسائس لدى دولة معادية، والاتصال بالدول المعادية لمباشرة العدوان، والاعتداء على سلامة الوطن وحقوقه، وإيواء الجواسيس ومساعدتهم على الهرب، وتسهيل هروب أسرى الحروب. – الكيالي، موسوعة، ج ١، ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) الدغمي، التجسس، ص ٥٤.

(٣) التجسس: هو ما يخص التجسس والأسرار المتصلة بسلامة الدولة، منها الدخول إلى الأماكن المحظورة بغية الحصول على الأسرار المتصلة بسلامة الدولة، أو الحصول على الأسرار وسرقتها، ابلاغ العدو بالأسرار دون سبب مشروع، والاتصال غير المشروع بالعدو، والنيل من هيبة الدولة ومن الشعور القومي. – الكيالي، موسوعة، ج ١، ص ٣٣٠.

(٤) الجاسوسية: مجموعة الأجهزة المكلفة باستقصاء المعلومات عن نشاط العدو وخططه في الخارج والداخل، ومراقبة سائر النشاطات المشبوهة التي يقوم بها الأجانب في البلد. – الكيالي، موسوعة، ج ٢، ص ١٥.

(٥) الشافعي، الأم، ج ٤، ص ١٦٠؛ البغوي، تفسير، ج ٣، ص ٢٨٩؛ الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٦١.

(٦) الدغمي، التجسس، ص ١٤.

الإسلام وتهديدات قريش والقبائل

شكلت قريش التهديد الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدعوته، وبدأ التهديد يأخذ مداه منذ اللحظات الأولى للدعوة، وسنقف على بعض النماذج من هذه التهديدات الأمنية لدعوة الإسلام ودولته، فلقد قالت قريش لأبي طالب إن ابن أخيك هذا قد ألحق بنا الأذى في نوادينا، فأْمُره بالابتعاد عنا، فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له أبو طالب: إن قومك هؤلاء يزعمون أنك تؤذيهم في نواديهم فدعهم بحالهم، فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء، فقال: "ما ترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب: ما كذبنا ابن أخي قط، فارجعوا" [١]، وعملت قريش على اتهام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، وبعضهم يقول هو كاهن، وبعضهم يقول هو مجنون، وينفي جميعهم أن ما يدعو إليه هو من وحي السماء ومن تنزيل رب العالمين[٢].

يبدو أن قريش قد عملت منذ بداية جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة على الوقوف بوجهه، وشكل تأليبها لعمه أبي طالب عليه أولى حلقات التهديد الأمني له صلى الله عليه وسلم، مما استدعى منه إعلان تمسكه الأبدي بهذه الدعوة.

كما انتقل تهديد قريش إلى المسلمين؛ ملحقًا الأذى بمن أسلم، فقد ذكر مجاهد[٣] إن "أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية[٤] أم عمار، قال: فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ،

---

(١) ابن اسحق، سيرة، ج ٢، ص ١٣٦؛ البخاري، الكبير، ج ٧، ص ٥٠؛ البزار، مسند، ج ٦، ص ١١٥؛ الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٦٦٨؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٦٦، ص ٣١٥؛ ابن منظور، مختصر، ج ٨، ص ٣٦٩؛ الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٩؛ ابن كثير، السيرة، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) الطبري، تفسير، ج ٧، ص ١٨١.

(٣) مجاهد: بن جبر المكي، ويكنى أبا الحجاج، مولى عبد الله بن السائب القارئ، كان فقيهًا عابدًا ورعًا، مات بمكة وهو ساجد سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وكان مولده سنة ٢١ هـ – ٦٤٢م في خلافة عمر. – ابن منجويه، رجال، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤) سمية بنت خياط: أم عمار بن ياسر، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلمت قديما بمكة وعذبت في الله، فلم تفعل وصبرت حتى طعنها أبو جهل بحربة في قلبها، وهي أول شهيد في الإسلام، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة، وقتل أبو جهل يوم بدر. – ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٦٤.

فأعطوهم ما سألوا، فجاء كل رجل منهم قومه بأنطاع[1] الأدم فيها الماء، فألقوهم فيه وحملوا بجوانبه إلا بلالًا، فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث ثم طعنها فقتلها، فهي أول شهيد استشهد في الإسلام، إلا بلالًا فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه، فجعلوا في عنقه حبلًا، ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة فجعل بلال يقول أحد أحد"[2]، وكانت خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم الصدام مع قريش في مرحلة الضعف، فكان ينهاهم عن أي ردة فعل فقال: "إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم"[3]، ومر بآل ياسر وهم يُعذبون فقال: "اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة"[4].

والظاهر أن تهديدات قريش الأمنية لم تتوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى دعوته فقط؛ بل امتدت لتُلحق الأذى بالمسلمين لتشكل الحلقة الثانية من هذا التهديد ليصل حدًا لا يطاق، فاستشهد بعضهم وأصيب الآخر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن رد العدوان في هذه المرحلة، ويحرضهم على الصبر والعفو ويعدهم الجنة.

ولقد امتدت تهديدات قريش لبني هاشم مسلمهم وكافرهم، وعملت على فرض الحصار الاقتصادي عليهم، واتفقت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية، فقامت بنو هاشم بحمايته، فأقدمت قريش على حصار المسلمين وبني هاشم، واتفقت على ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم؛ حتى يُسلِّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بينهم صحيفة لا يقبلوا من بني هاشم غير ذلك، واستمر حصار بني هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا طعامًا يقدم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه[5].

---

(١) أنطاع: نطع كدرع ونطع كضلع والجمع نطوع وأنطاع وتنطع في الكلام تعمق. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٣٣؛ ابن ابي شيبة، مصنف، ج ٧، ص ٣٣٧.

(٣) النسائي، سنن، ج ٦، ص ٣٢٥؛ ابن أبي حاتم، تفسير، ج ٣، ص ١٠٠٥؛ الجصاص، أحكام، ج ١، ص ٣٢٠؛ الحاكم، المستدرك، ج ٢، ص ٧٦؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ١١؛ أبو حيان، تفسير، ج ١٣، ص ٣٠٨؛ القرطبي، تفسير، ج ٥، ص ٢٨١؛ البقاعي، نظم، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٤) البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٧٠؛ الحاكم، المستدرك، ج ٣، ص ٤٣٢؛ الدارقطني، العلل، ج ٣، ص ٣٩؛ الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ١٥٠؛ البيهقي، شعب، ج ٢، ص ٢٣٩؛ البري، الجوهرة، ج ١، ص ٣٠٣؛ الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ٢١٨؛ العيني، عمدة، ج ١، ص ١٩٧.

(٥) البيهقي، دلائل، ج ٢، ص ٣١١، ٣١٢؛ أبو نعيم، دلائل، ج ١، ص ٢٠٠.

ويستنتج مما تقدم تمادي قريش بتهديداتها الأمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لينتقل إلى حلقة جديدة من حلقات الصراع[١] والتهديد الأمني المتواصل لدعوة الإسلام، بلغ هذه المرة مداه حتى شمل هذا كلَّ بني هاشم مسلمهم وكافرهم، ولقد شكل الانتماء القبلي والحمية العشائرية وقاية لرسول الله من هذه الاستهدافات وحماية له من التهديدات الأمنية.

ولقد وصل الحقد القرشي مداه بمؤامرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا سيما عندما اجتمع أهل الرأي وقادة قريش في دار الندوة؛ ليتباحثوا بأمره صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، وقال بعضهم بل اقتلوه، وقال بعضهم بل أخرجوه[٢]، فأنزل الله تعالى {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[٣]، فأجمعوا على قتله، بمشاركة كل القبائل وليتفرق دمه بينهم فلا يستطع بنو هاشم المطالبة بدمه بعد ذلك[٤]، فلما أذن الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة؛ مكث في الغار ثلاثة أيام، وكان عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، ثم يأتيهما مساءً فيعلمهما بما سمع[٥].

ويُلاحظ أن وتيرة تهديدات قريش الأمنية في تصاعد، وبلغت تهديداتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوجها في مؤامرة قتله، فلما جاء أمر الله تعالى بالهجرة إلى المدينة والإذن بالقتال، استدعى ذلك منه صلى الله عليه وسلم؛ البدء بالعمل الأمني تجاه قريش، فقام بتكليف عبد الله بن أبي بكر بالتجسس على قريش ليعلم أخبارها، ليشكل ذلك بداية الحرب التجسّسية ضد قريش.

ووصلت التهديدات حدًا بلغ أن يتمَّ الترتيب من قبل بعض مدعي الإسلام لطلب مجموعة من المسلمين بحجة تعليمهم الإسلام وفي الحقيقة بغية قتلهم، فذكر أنس رضي الله عنه "أَنَّ النبي

---

(١) الملاح، الوسيط، ص ١٣٣.

(٢) مقاتل، تفسير، ج ٢، ص ١٤،؛ عبد الرازق، تفسير، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ٣٤٨؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١١٢؛ الطبري، تفسير، ٩، ص ٢٢٨؛ الطحاوي، شرح، ج١٥، ص ٥؛ ابن ابي حاتم، تفسير، ج ٥، ص ١٦٨٧؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٢١.

(٣) سورة الأنفال، آية ٣٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٢٧؛ الآجري، الشريعة، ٤، ص ١٦٧٣؛ الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٠٤؛ ابن منظور، مختصر، ج ١، ص ٢٠١؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ٤٢١.

(٥) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٩؛ الطحاوي، شرح، ١٠، ص ٢٦٣؛ الآجري، الشريعة، ج ٤، ص ١٨١٧، ١٨١٨؛ اللالكائي، شرح، ٧٧٦؛ البغوي، شرح، ج ٣، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

صلى الله عليه وسلم أَتَاهُ رِعْلٌ[1] وَذَكْوَانُ[2] وَعُصَيَّةُ[3] وَبَنُو لَحْيَانَ[4] فزعموا أنهم قد أسلموا واسْتَمَدُّوهُ على قومهم، فَأَمَدَّهُمْ النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار، قال أنس كنا نسيمهم القراء يَحْطِبُونَ بالنهار ويُصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة[5]، غدروا بهم وقتلوهم، فقنت شهرًا يدعو على رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ"[6].

كما ذكر الواقدي أن سبب هذا التآمر على الغدر بالمسلمين وقتلهم يعود للانتقام من مقتل زعيم هذيل فقال: أنه في صفر ٣ هـ – ٦٢٤م وبعد مقتل خالد بن سفيان[7] على يد عبد الله بن أنيس[8] رضي الله عنه؛ أن بني لحيان ذهبت إلى عضل والقارة[9] واتفقوا على أن يذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسلمين ويطلبوا منه مجموعة من الصحابة ليعلموا قبيلتهم الإسلام، فعندها يقتلوا من قتل سفيان، ثم يبيعوا البقية إلى قريش لتأخذ ثأر قتلاها يوم بدر[10].

---

(١) رِعْل: فهو بنو رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، وهم الذين قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم، ومنهم عباس بن عامر بن حي بن رعل وابنه أنس بن عباس قتله خثعم. – ابن ماكولا، الإكمال، ج ٤، ص ٧٧.

(٢) ذَكْوَانُ: بن رفاعة بن الحارث بن حيي بن الحارث بن بهثة بن سليم، وهي إحدى القبائل التي لعنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلهم أهل بئر معونة. – ابن حزم، جمهرة، ج ١، ص ٢٦٣.

(٣) عصية: بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة، لعنهم الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قتلوا أصحاب بئر معونة. – ابن حزم، جمهرة، ج ١، ص ٢٦١.

(٤) بني لِحْيانَ بن هذيل بن مدركة، منهم النفَر الغادرون مع عَضل والقارة، ومنهم أبو عزة الهُذَليُّ، واسمُه يسار بن عبد. – البري، الجوهرة، ج ١، ص ٩٦.

(٥) بئر معونة، هو ماء لبني عامر ابن صعصعة، وهي بين ديار بني عامر وحرة بني سليم وهي إلى الحرة أقرب، في منطقة، أُبلى وهي جبال على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة على بطن نخل وبأبلي مياه كثيرة منها بئر معونة وذو ساعدة وذو جماجم أو ذو حماحم. – البكري، معجم، ج ١، ٤، ص ٩٨، ١٢٤٥.

(٦) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ١٠٩؛ البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١١١٥.

(٧) خالد بن سفيان بن خالد بن ملهم، الهذلي، اللحياني. – ابن حبان، الثقات، ج ١، ص ٢٧٩.

(٨) عبد الله بن أنيس: بن أسعد بن حرام بن حبيب بن مالك بن غنم بن كعب، الجهني، الأنصاري، حليف بنى دينار بن النجار، أبو يحيى وقد قيل أبو فاطمة، مات بالمدينة في ولاية معاوية وهو صاحب المحضر. – ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٩) عُضَل والقارة: الهون بن خزيمة بن مدركة، فمن الهون جاءت عضل وهي قبيلة أبوهم عضل بن الهون بن خزيمة، ومنه أيضاً الديش بن الهون، وهو أخو عضل، ويقال لهاتين القبيلتين وهما عضل والديش القارة. – أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٦٨.

(١٠) المغازي، ج ١، ص ٢٠٠.

ويتضح مما تقدم حجم التهديد الأمني التي تشكله القبائل العربية لدولة الإسلام، ولقد استعانت بالمكر والخديعة بغية استدراج مجموعة من المسلمين بهدف قتل من شاءوا، وأسر البقية وبيعهم إلى قريش، ولقد شكل هذا التهديد إضافة خطيرة في سياق التهديد الأمني لدولة الإسلام من قبل القبائل العربية المنتشرة في محيط دولة الإسلام.

ظاهرة النفاق وخطرها على المجتمع

أحدث دخول الإسلام إلى المدينة وإنشاء دولة هناك تداعيات كبيرة داخل مجتمع المدينة، وشكلت هذه الاهتزازات العنيفة ردة فعل عدائية عند البعض، خاصة ممن كانوا يأملون بتبوء مكانة رفيعة في المدينة، فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقف عبد الله بن أبي بن سلول في وجه الدعوة ورفض الاستماع له، فذكر أسامة بن زيد رضي الله عنهما: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قَطِيفَةٍ[١] فَدَكِيَّةٍ[٢] وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عباده في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا بالمجلس أخلاط من المسلمين والمشركين من عبدة الأوثان واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غَشِيَتْ المجلس عجاجة[٣] الدابة خَمَّرَ[٤] عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقًا فلا تؤذنا في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله: فاغشنا[٥] به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فَاسْتَبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يَتَثَاوَرُونَ فلم يَزَلْ النبي صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حتى سَكَنُوا"[٦].

---

(١) القطيفة: دثار مخمل، أو كساء له خمل، والجمع القطائف. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٢٨٦.

(٢) فدكية: فدك القطن تفديكًا: نفشه، وهي لغة أزدية، فدك قرية بخيبر. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٤٧٣.

(٣) عجاجة: العجاج الغبار، من الغبار ما ثورته الريح، واحدته عجاجة، وفعله التعجيج. وأعجت الريح، وعجت اشتد هبوبها وساقت العجاج. – ابن منظور، لسان، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٤) خمر: التخمير التغطية، يقال: خمر وجهه وخمر إناءك. – ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٥) فاغشنا: الغاشية السؤال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك، وغاشية الرجل من ينتابه من زواره وأصدقائه. – ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ١٢٦.

(٦) ابن حنبل، مسند، ج ٥، ص ٢٠٣؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٦٦٣؛ ابن شبه، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٧؛ النسائي، سنن، ج ٤، ص ٣٥٦؛ أبي عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٤٣، ٣٤٤؛ الطحاوي، شرح، ج ٤، ص ٣٤٢.

يظهر مما تقدم إعلان عبد الله بن أبي عدائه الصارخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء التعبير لهذا العداء عبر سلوكه غير اللبق وتصريحه العدائي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليرسم هو وأعوانه معالم المرحلة القادمة، ويحدد طبيعة العلاقة مع المسلمين، والقائمة على العداء ورفض الواقع، مما يشكل تهديدًا أمنيًا داخليًا لدولة الإسلام.

وقد تعاملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحدث بروح المسئولية، واستشعر بأهمية كسب ود أكبر عدد ممكن من سكان المدينة، فلقد غادر مجلس ابن أبي، "ثُمَّ رَكِبَ النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا، قال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فو الذي أَنْزَلَ عليك لقد اصْطَلَحَ أهل هذه الْبُحَيْرَةِ[1] على أَنْ يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أَبَى الله ذلك بِالْحَقِّ الذي أَعْطَاكَ الله شَرِقَ[2] بذلك فلذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم"[3].

ولقد شكل توضيح سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول حقيقة عبد الله بن أبي والذي كان سيتوج ملكًا على أهل المدينة؛ تفسيرًا جليًا لأسباب هذا العداء ورسمًا واضحًا له، وليشكل الحسد والغيرة مُحَرِكًا لعبد الله بن أبي، وتهديدًا أمنيًا داخليًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائد دولة الإسلام.

كما شكل انتصار المسلمين في غزوة بدر انطلاقةً لظاهرة النفاق، فعندما قُتل صناديد كفار قريش فيها؛ "قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان هذا أمر قد تَوَجَّهَ[4]، فَبَايَعُوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأسلموا"[5].

---

(١) البحيرة: البحيرة والبحرة من أسماء مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٣٤٦.

(٢) شَرِق: فلان بريقه والشرق كالغصة بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه يقال أخذته شرقة فكاد يموت. – الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ٣٨.

(٣) ابن حنبل، مسند، ج ٥، ص ٢٠٣؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٦٦٣؛ ابن شبه، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٧؛ أبي عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٤٣، ٣٤٤؛ الطحاوي، شرح، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٤) توجّه: توجه إليه: ذهب، ورجل ذو وجهين إذا لقي بخلاف ما في قلبه، وقول وجهوا إليك على معنى ولوا وجوههم. – ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ٥٥٦، ٥٥٧.

(٥) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٦٦٣؛ ابن شبه، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٧؛ الطحاوي، شرح، ج ٤، ص ٣٤٢؛ الطبراني، مسند، ج ٤، ص ٢٠٣؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ١٠.

والأرجح أن ابن أبي قد انتبه لصعود دولة الإسلام وتنامي قوتها، واستشعر بعدم مقدرته على مواجهتها، فسرعان ما انتقل خطوة إلى الخلف في صراعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر أصحابه وأتباعه بإعلان بيعتهم ودخولهم في الإسلام، إيذانًا ببدء بروز ظاهرة خطيرة تحمل في طياتها تهديدًا أمنيًا خطيرًا على دولة الإسلام، مما يستوجب معالجة أمنية حكيمة قائمة على درء الخطر الأمني والمحافظة على النسيج الاجتماعي لدولة الإسلام.

وفي خطوة خطيرة جدًا على تماسك جيش المسلمين قبيل معركتهم مع قريش يوم أحد؛ قام عبد الله بن أبي بن سلول بالانشقاق بثلث الجيش، فقال والله ما ندري لماذا نعرض أنفسنا للقتل، ولقد تسبب هذا الانشقاق بالضغط النفسي على بني سلمة وبني حارثة فهمّوا بالرجوع من أرض المعركة فعصمهم الله تعالى[1].

ويبدو أن التهديدات الأمنية الداخلية من قبل المنافقين وعلى رأسهم ابن سلول كانت تهدف إلى المس بالجبهة الداخلية، وكان انشقاقه بثلث الجيش قبيل المعركة ومن ساحتها يهدف إلى تبادل الأدوار مع التهديدات الأمنية الخارجية لإحداث انهيار داخلي يساعد في القضاء على دولة الإسلام.

ولقد حدثت بعض المؤامرات الخطيرة خلال غزوة المريسيع[2]، حيث قام زيد بن أرقم رضي الله عنه بنقل خبر تحريض عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث حاول ابن أبي استغلال حادثة النزاع التي حصلت بين مهاجر وأنصاري لتأليب الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المهاجرين، فقال لأصحابه: "لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"[3].

ويبرز هنا الدور الخطير الذي يمارسه عبد الله بن أبي لاستهداف الجبهة الداخلية من خلال التآمر مع المنافقين على قلب نظام الحكم، محرضًا الأنصار على التمرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم تمويل خزينة الدولة، ومهددًا بافتعال الحرب الأهلية بين المهاجرين والأنصار تمهيدًا للانقلاب على دولة الإسلام، وتهيئة الظروف لطرد المسلمين المهاجرين من المدينة.

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٥٩؛ الثعلبي، تفسير، ج ٣، ص ١٣٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٤٩.

(٣) ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٧٣؛ ابن حميد، المنتخب، ص ١١٣؛ البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٨٥٩؛ مسلم، صحيح، ج ٤، ص ٢١٤٠؛ الترمذي، سنن، ج ٥، ص ٤١٥؛ الطبراني، المعجم، ج ٥، ص ١٨٩؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ٥٥، ٥٦.

كما وقعت حادثة أخرى خلال غزوة المريسيع سنة ٦ هـ[١]، فقام عبد الله بن أبي بن سلول بإشاعة خبر الإفك حول أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فقال ابن أبي ما تخلفت إلا لكذا وكذا، وساعده بإشاعة خبر الإفك بعض المسلمين[٢]،"فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، وقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي"[٣].

والظاهر أن عبد الله بن أبي بن سلول استمر بتشكيل تهديد أمني مباشر يلحق الأذى بالجبهة الداخلية، ولقد بلغ أذاه مداه عندما تعرض لأم المؤمنين عائشة بالسوء، وحاول إشاعة الإفك بين المسلمين، فردد إشاعته بعض المسلمين، ليشكل محاولة لإشعال النار في الهشيم، لكن تماسك الجبهة الداخلية ومتانة ارتباطها وفَّر لها حصانة ضد هذا التهديد الأمني الخطير لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اليهود وممارساتهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل نزول الوحي وفي إحدى رحلات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام، حذر الراهب بحيرا[٤] أبا طالب من اليهود على حياة ابن أخيه، وأنهم سيبذلون كل الجهود من أجل قتله، فإنهم أهل حسد، وهم يطمعون أن يكون النبي من بني اسرائيل[٥].

يتضح مما سبق تفكير يهود في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعيهم لذلك حتى قبل نزول الوحي، فلا يتوقعون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيكون عربيًا، وهذا سيشكل خطرًا وجوديًا عليهم، وتهديدًا لتركيبة مجتمعهم المغلق[٦]، مما يعني أن يهود ستشكل تهديدًا أمنيًا داخليًا وخارجيًا على دولة الإسلام، لطبيعة انتشارهم داخل المدينة وخارجها.

---

(١) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٥١٦.

(٢) ابن شبه، تاريخ، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٤٤؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٣، ص ٥٨؛ البيهقي، الأسماء، ج ١، ص٢٣٤.

(٤) بحيرا الراهب: قال الزهري أنه كان من يهود تيماء، وللمسعودي أنه كان نصرانيا من عبد القيس يقال له جرجيس، كان يتعبد في صومعة في بصري، وكان إليه علم النصرانية. – ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ٤٥٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٥٥.

(٦) المرصفي، الرسول، ج ٣، ص ٧٥.

ولقد اهتم يهود بإلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت عائشة رضي الله عنه: "قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له لبيد بن الأعصم[1]، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال: أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل، فقال: مطبوب[2]، فقال: من طبه، قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء، قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذَكَرٍ، قال: وأين هو، قال: في بئر ذروان[3]، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نُقَاعَةُ الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا اسْتَخْرَجْتَهُ قال قد عافاني الله فكرهت أن أُثَوِّرَ على المسلمين فيه شرًا، فأمر بها فَدُفِنَتْ"[4].

ويبدو أن محاولات يهود مستمرة للمس بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنهم يوصلون رسائل تهديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن حياته في خطر من يهود، ولم يستثنِ يهود طريقًا إلا وسلكوه من أجل التخلص من دعوة الإسلام، فاستعانوا بالسحر والشعوذة في محاولة منهم لإحداث إرباك في أموره الحياتية وإحداث توتر في علاقاته الشخصية.

ولقد خرجت يهود إلى القبائل تحرضهم على المسلمين، وتحشّد لقتالهم يوم الأحزاب، فخرج حيي بن أخطب مع مجموعة من قادة يهود إلى مكة، فقام بتحريض قريشٍ على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذهب ابن أبي الحقيق إلى غطفان ووعدهم بنصف تمر خيبر مقابل مشاركتهم في حرب المسلمين، واستطاعت يهود من تحريض القبائل كلها للمشاركة في الحرب، وجمعوا أكثر من عشرة آلاف فارس، ولم يكتفِ حيي بن أخطب بذلك؛ فعمل على تحريض يهود بني قريظة على

---

(١) لبيد بن الأعصم الزرقي اليهودي، من بني زريق. – ابن بشكوال، غوامض، ج ١٠، ص ٦٥٩.

(٢) مطبوب: الطب السحر، رجل مطبوب أي مسحور، كَنوا بالطب عن السحر، تفاؤلا بالبرء. – ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٥٥٤.

(٣) بئر ذَرْوان: هي بئر في منازل بني زريق بالمدينة. – ياقوت، معجم، ج ١، ص ٢٩٩.

(٤) ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٥، ص ٤١؛ ابن راهويه، مسند، ج ٢، ص ٢٢٩، ٢٣٠؛ ابن حنبل، مسند، ج ٦، ص ٥٧؛ البخاري، الجامع، ج ٥، ص ٢١٧٤؛ ابن حبان، صحيح، ج ١٤، ص ٥٤٧؛ ابن بطال، شرح، ج ٩، ص ٤٤١؛ العيني، عمدة، ج ٢١، ص ٢٧٩، ٢٨٠. واللفظ للبخاري.

نقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغ ذلك المسلمين فاشتد بهم البلاء، وكان الذين جاءوا من فوقهم كما في القرآن بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان[١].

ويستنتج مما سبق أن يهود أقدمت على خطوة غير محسوبة نحو الاستعانة بالخارج، فحرضت قريشًا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألّبت الداخل على نقض العهد مع المسلمين، وشكل ذلك أعلى درجات الخيانة العظمى تجاه دولة الإسلام، ونقضًا للمواثيق والعهود التي وقعوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما ترتب عليه أن يهود تشكل تهديدًا أمنيًا بأعلى درجاته على دولة الإسلام، ومما يفرض عليها أن تتجسس عليهم أمنيًا لمعرفة مخططاتهم الإجرامية.

ولقد استمر يهود في محاولاتهم بإلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال: "لما فُتحت خيبر أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شاة فيها سُمٌّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجْمَعُوا إليّ من كان هَا هُنَا من يهود، فجمعوا له... ثم قال هل أنتم صادقيَّ عن شيء سألتكم عنه، فقالوا نعم يا أبا القاسم، قال هل جعلتم في هذه الشاة سمًا، قالوا نعم، قال: ما حملكم على ذلك، قالوا أردنا إن كنت كاذبًا نستريح وإن كنت نبيًا لم يضرك"[٣].

وفي رواية أخرى دعته امرأة يهودية على شاة مقلية، فلما جلس الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليأكلوا منها؛ أخذ لقمة ثم وضعها، فقال لهم: ارفعوا أيديكم إنها مسمومة، فقال لليهودية: ويلك لماذا قمت بتسميم الشاة، فقال: أردت أن أعرف إن كنت نبيًا حقًا فإنه لا يضرك، وإن كان غير ذلك فأريح الناس منك، وأكل منها بشر بن البراء[٤]فمات، فقتلها صلى الله عليه وسلم[٥].

والأرجح أن يهودًا لم تُهمل أي فرصة من أجل المس بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكلوا تهديدًا مستمرًا على حياته صلى الله عليه وسلم حيثما حل، ويأتي هذا الإصرار على الاستمرار

---

(١) البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٥٠، ١٥١؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١٦٩، ١٧١.

(٢) أبو هريرة الدوسي: اختلفوا في اسمه فقيل: انه عمير بن عامر بن عبد، وعبد الله بن عمرو، وعبد الرحمن بن صخر، وقيل ان اسمه في الجاهلية عبد نهم فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله، كان إسلامه سنة خيبر سنة سبع من الهجرة وكان من الحفاظ المواظبين وله صحبة، وقد كان دعا اللهم لا تدركني سنة ستين فمات سنة ٥٨ هـ – ٦٧٧م بالمدينة. – ابن حبان، مشاهير، ج ١، ص ١٥.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١١٥٦؛ ابن بطال، شرح، ج ٥، ص ٣٤٦، ٣٤٧. واللفظ للبخاري.

(٤) بشر بن البراء بن معرور بن صخر، وأمه خليدة بنت قيس بن ثابت، من أشجع، شهد العقبة، وكان من الرماة المذكورين، وشهد بشر بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٧٠.

(٥) الزيلعي، تخريج، ج ١، ص٧١؛ ابن حبيب، المقتفى، ج ١، ص ٢٣٩؛ الهيثمي، مجمع، ج ٨، ص ٢٩٦.

بالتهديد بالرغم من علمهم اليقيني بأن الله تعالى سيعلمه بمؤامراتهم، لكنهم يهود حيثما حلوا حلت الخديعة والخبائث، ويبقى قدر الله الغالب ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

إن ما تقدم يشير إلى أن التهديدات الأمنية على دولة الإسلام سواء أكانت داخلية مثل المنافقين وبعض يهود، وأخرى خارجية مثل قريش والقبائل العربية الأخرى ويهود، تحدد معالم خطة التجسس الخاصة بدولة الإسلام خلال معركتها مع القوى المعادية وصراعها مع الباطل، ولترسم خارطة العمل الأمني التجسسي على هذه القوى المعادية، بالإضافة إلى تحصين الجبهة الداخلية من الاختراق الأمني ومنع أي تسريب للمعلومات.

المبحث الثاني

الجبهة الداخلية ومكافحة التجسس

عملت القوى المعادية لدولة الإسلام على استهداف الجبهة الداخلية أمنيًا في محاولة منها لتشكيل حالة اختراق لتحقيق انتصارات عسكرية تمهيدًا للقضاء على دولة الإسلام، فعملت القوى المعادية وبرغبة جامحة من أجل التعرف على أخبار دولة الإسلام[١]، وشكلت محاربة جواسيس أعداء دولة الإسلام وعيونهم المتغلغلين داخل المدينة جزءًا مهمًا في الاستراتيجية الأمنية للمسلمين، وكان من أهم ركائز محاربتهم؛ اتخاذ الإجراءات السليمة في الحرص على عدم وصول المعلومات إليهم[٢]، وسنتعرف على حجم الهجمة الأمنية الشرسة من قبل القوى المعادية للإسلام والمسلمين.

تسريبات أمنية غير مقصودة

حصار بني قريظة والاستغاثة بأبي لبابة بن عبد المنذر[٣]

نَقَضَ يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء حصار الأحزاب للمسلمين يوم الخندق في شوال ٥ هـ، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصارهم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلما أيقنوا أن المسلمين لن يرفعوا الحصار عنهم حتى تحدث المعركة؛ طلبوا أن يأتيهم أبو لبابة بن عبد المنذر الأوس ليستشيروه في أمرهم –وكان يهود بني قريظة حلفاء الأوس– فلما رأوه قام إليه الرجال وتقدم نحوه النساء والصبيان يبكون، فحزن عليهم، وقالوا يا أبا لبابة هل تنصحنا بالنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم وأشار بيده إلى رقبته إنه الذبح، فانتبه أبو لبابة أنه قد خان الله تعالى ورسوله، فتوجه

---

(١) حمودي، المخابرات، ص ١٢٥.

(٢) الدغمي، التجسس، ص ٦٠.

(٣) أبو لبابة بن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر بن أمية، واسمه بشير، وأمه أيضا نسيبة بنت زيد بن ضبيعة، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة من الروحاء حين خرج إلى بدر واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا على المدينة حين خرج إلى غزوة السويق، وشهد أبو لبابة أحدا وسائر المشاهد، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث، وتوفي أبو لبابة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. – ابن سعد الطبقات، ج ٣، ص ٤٥٧.

أبو لبابة فورًا إلى المسجد وربط نفسه إلى أحد الأعمدة منتظرًا أن يتوب الله تعالى عليه، وحرَّم على نفسه دخول منطقة بني قريظة[١].

يظهر مما تقدم حدوث بعض الاختراقات الأمنية في صفوف المسلمين من قبل اليهود، فلقد علم يهود بني قريظة حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، ورغم تأثره بحالهم إلا أنه لم يعدهم نصرًا ولم ينصحهم بغير الاستسلام، وإشارته لحلقه واعتباره ذلك خيانة للإسلام تدلنا على التحول الكبير الذي حدث في نفوس حلفاء اليهود سابقًا بعد دخولهم الإسلام، ولم يدرك اليهود ذلك إلا بعد فوات الآوان[٢].

فتح مكة وحاطب بن أبي بلتعة

لما عزم رسول الله صلى الله عليه سلم على فتح مكة؛ عمل على ترتيب تحركاته الأمنية بسرية تامة، لتحقيق المفاجأة ومهاجمة قريش على حين غفلة ليقطع عليها أي أملٍ في المقاومة فلقد قال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها"[٣]، وذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف على الأنقاب قيّمًا بهم فيقول: "لا تَدَعُوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه، إلا من سلك إلى مكة فإنه يُتحفظ به ويسأل عنه"[٤].

نخلص مما سبق اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمفاجأة قريش ومباغتتها، فعمل على بث العيون داخل المدينة لقطع وصول أي معلومات عن استعداداته العسكرية لقريش، وقام بمتابعة المنافقين والموالين لقريش ليمنعهم من إرسال المعلومات إليها[٥]، ورصد الطرق الخارجية للمدينة لمنع مغادرة الجواسيس المدينة، بل كانت التوجيهات بتوقيف كل من كانت وجهته إلى مكة لاستجوابه ومعرفة أسباب مغادرته إليها بالإضافة للاستفسار عنه.

---

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٩، ١٠٠؛ ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ١٩٢، ١٩٣؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ١٦؛ ابن عبد البر، التمهيد، ج ٢٠، ص ٨٤؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص ١٣٣.

(٢) السيد، يهود، ص ١٢١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٥؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ٢، ص٤٠؛ البغوي، تفسير، ج ٤، ص ٥٣٧؛ ابن حزم، جوامع، ج ١، ص ٢٢٦؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٢٠٤؛ الخازن، تفسير، ج ٧، ص ٣٠٩؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٢٥؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص ٣٩٣؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٥٣٥؛ العليمي، الأنس، ج ١، ص ٢٠٥.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٢٣٨؛ الصالحي، سبل، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٥) خطاب، الرسول، ص ٣٤٧؛ بودلي، الرسول، ج ٣٤٨، ٣٤٩.

كما استمرت الحملة الأمنية في المدينة، وكان الصراع على أشده بين الطرفين، وفرضت حرب التجسس على الطرفين مسابقة الوقت ومحاولة منع الطرف الآخر من تحقيق نقاط على حسابه، فذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "بعثني رسول الله والزبير وأبا مرثد[١] وكلنا فارس، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج[٢] ... فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فَأْتوني بها، فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله، تسير على بعير لها، وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله إليهم، فقلنا: أين الكتاب الذي معك، قالت: ما معي كتاب، فأنخنا[٣] بها بعيرها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئًا، فقال صاحباي: ما نرى معها كتابًا، قال فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول الله، ثم حلف علي والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك[٤]، فأهوت إلى حجزتها[٥] وهي محتجزة بكساء، فأخرجت الصحيفة، فأَتوا بها رسول الله، فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله رسوله والمؤمنين دعني فأضرب عنقه، فقال رسول الله: يا حاطب ما حملك على ما صنعت، قال: يا رسول الله ما لي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله، قال: صدق لا تقولوا له إلا خيرًا، قال: فعاد عمر فقال: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني فلأضرب عنقه، قال: أو ليس من أهل بدر، وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد أوجبت له الجنة فاغرورقت عيناه فقال الله ورسوله أعلم"[٦].

ويتضح مما تقدم أن خبرًا قد وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معلومات أمنية خطيرة تتكلم عن استعداداته الأمنية والعسكرية في طريقها لقريش، والتي في حال وصولها؛ قد تحدث

---

(١) أبو مرثد: الغنوي، كناز بن الحصين بن يربوع بن عمرو، حليف حمزة بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، شهد بدرًا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، مات سنة ١٢ هـ – ٦٣٣م. ابن منجويه، رجال، ج ٢، ص ١٥٦.

(٢) روضة حاج: ذكرها البخاري في حديث آخر خاخ: موضع بين الحرمين ويقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة. – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٣٣٥.

(٣) فأنخنا: أناخ الإبل أبركها فبركت، واستناخت بركت. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٦٥.

(٤) التجريد التعرية من الثياب، لأجردنك كما يجرد الضب أي لأسلخنك سلخ الضب، لأنه إذا شوي جرد من جلده. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ١١٦، ١١٧.

(٥) حجزتها: الحجز الفصل بين الشيئين، وحجزة الإزار جنبته، وقيل حجزة الإنسان معقد السراويل والإزار، الحجزة حيث يثنى طرف الإزار في لوث الإزار. – ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٦) البخاري، الجامع، ج ٦، ص ٢٥٤٣؛ ابن بطال، شرح، ج ٨، ص ٥٩٥؛ العيني، عمدة، ج ٢٤، ص ٩٢.

إرباكًا في خططه الأمنية والعسكرية وتُلحق الفشل بالأهداف الموضوعة، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على منع تسريب هذه المعلومات ووصولها لقريش، مما استدعى تكليف مجموعة أمنية تملك بُعدًا مهنيًا واحترافيًا، صُقلت من خلال تجاربها المتعاقبة في مجال العمل الأمني، بالإضافة إلى إعطائها صلاحيات ميدانية لتنفيذ هذه المهمة الأمنية المعقدة والعاجلة.

وبالإمكان اعتماد النجاح الباهر للمهمة التجسسية، فلقد حققت أهدافها، وتم استعادة الكتاب ولم تصل المعلومة إلى قريش، وتم معرفة مَن وراء هذا الكتاب والتسريب وتمت مسائلته حول ذلك وتقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيره، ومثل هذه الخطيئة تستحق القتل؛ فهي بمثابة الخيانة العظمى، ولقد شكل حضوره بدر خاصية له كان بمثابة الشفاعة له من أي عقاب(١)، وتمكن من إنجاز خطته لفتح مكة، ولقد كان لهذه الإجراءات الأمنية أكبر الأثر في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية الكاملة بفتح مكة(٢).

تجسس قريش والقبائل على دولة الإسلام

تجسس قريش والهجرة إلى المدينة

عملت قريش على تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في محاولة منها للتعرف على تحركاته بغية تنفيذ ما اتفقوا عليه من مؤامرة قتله، فحاصروا منزله بهدف قتله، فلما أصبحوا دخلوا عليه؛ فلما رأوا عليًا رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري أين هو، فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه(٣)، وقد رأى أبو بكر أقدامهما، لكن عناية الله تعالى حفظتهما(٤)، ولم يعلم أحد بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة سوى علي وأبي بكر وآل أبي بكر رضي الله عنهم، ولقد خرجا من فتحة خلف بيت أبي بكر رضي الله عنه(٥)، وبعد

---

(١) الغضبان، المنهج، ج ٣، ص ١١٩.

(٢) محفوظ، العسكرية، ص ١٥٤.

(٣) عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٨٩؛ ابن حنبل، مسند، ج ١، ص ٣٤٨؛ الطحاوي، شرح، ج ١٥، ص ٥؛ الخطيب، تاريخ، ج ١٣، ص ١٩١؛ ابن منظور، مختصر، ج ١، ص ١٩٦؛ ابن كثير، السيرة، ج ٢، ص ٢٣٩؛ الهيثمي، مجمع، ج ٧، ص ٢٧؛ ابن حجر، فتح، ج ٧، ص ٢٣٦.

(٤) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١٤١٩.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٠٦، ١٠٧؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٦٩.

خروجهما من بيت أبي بكر رضي الله عنه، حضر نفر من قريش منهم أبو جهل، فقالوا أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فقالت: لا أدري والله أين أبي، فلطمها أبو جهل على خدها فأسقط قرطها ثم انصرفوا(١).

إن سؤال قادة قريش لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذهابهم إلى بيت أبي بكر للبحث والسؤال عنه، جاء في محاولة منهم للوصول إلى معلومات تُفيدهم بالوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد شكل رد علي بن أبي طالب وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بعدم علمهما بمكان وجوده صلى الله عليه وسلم قطعًا لأي طريق أمام قريش ومنعًا للمعلومة عنها كانت ستساعدها بالوصول إليه.

ويمكن القول أن صراع الأدمغة وشراسة الحرب الاستخبارية بين الطرفين بلغت ذروتها فترة هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما زادت شدة الطلب من قبل قريش وإصرارها على قتله، وبالرغم من الإجراءات الأمنية المتخذة من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال هجرته إلا أن قريشًا قد استطاعت الوصول إلى الغار(٢).

تجسس قريش وغزوة بدر

لما عاد أبو سفيان من الشام بالعير، تحرك بحذر وخوف شديدين حين اقترب من المدينة، حتى ورد بدرًا وهو خائف من رصد المسلمين ومتابعتهم، فقال لمجدي بن عمرو: هل شعرت بأحدٍ من عيون المسلمين، فقال: لم أرَ أحدًا لا أعرفه، إلا راكبين حضرا إلى هذا المكان، فجاءه أبو سفيان فأخذ أبعارًا من بعيرهما وفحصه فإذا فيه نوى، فقال إنه من أعلاف المدينة، هؤلاء عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق مسرعًا بالقافلة نحو الساحل بعيدًا عن الطريق(٣).

الظاهر أن حرب التجسس بين المسلمين وبين قريش قد اشتعل وبدأ كل طرف بنشر جواسيسه قبيل غزوة بدر، في محاولة من كل الطرفين لمعرفة أخبار الطرف الآخر، ويمكن القول إن انتباه أبي سفيان وحذره مكنه من التقاط دليل مادي على وجود عيون للمسلمين في المكان، مما أعطاه

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢) حمودي، المخابرات، ص ١٣٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٣؛ ابن سمعون، أمالي، ج ٢، ص ٣١؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ١٠٣؛ الميداني، مجمع، ج ٢، ص ٢٢٢؛ ابن ابي الحديد، شرح، ج ١٤، ص ٤٩.

الفرصة لمغادرة المكان بسرعة ومنع المسلمين من تحقيق المباغتة له ولقافلته، والهروب بها والابتعاد عن جيش المسلمين[١].

كما أرسلت قريش أبا أسامة الجشمي وكان فارساً "فأطاف بالنبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه، ثم رجع إليهم فقالوا له: ما رأيت؟ قال: والله، ما رأيت جلداً[٢]، ولا عدداً، ولا حلقة[٣]، ولا كراعاً[٤]، ولكني والله رأيت قوماً لا يريدون أن يئوبوا إلى أهليهم، قوماً مستميتين، ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، زرق[٥] العيون كأنهم الحصى تحت الحجف[٦]، ثم قال: أخشى أن يكون لهم كمين أو مدد. فصوب في الوادي ثم صعد، ثم رجع إليهم، ثم قال: لا كمين ولا مدد، فروا رأيكم"[٧].

ويبدو أن قريشًا كانت تحتاج إلى معلومات أمنية عن جيش المسلمين، فعمدت إلى إرسال أحد جواسيسها لرصد جيش المسلمين ومعرفة أخبارهم، ولقد تمكن من رصد كثير من المعلومات وتقييم حالة المسلمين واستعدادهم للمعركة، وخلص إلى أن المسلمين بالرغم من عدم امتلاكهم للسلاح الكافي إلا أنهم يملكون إرادة قوية وتصميم على الانتصار في المعركة.

كما كان لنتائج غزوة بدر على نفوس قريش وقعًا صادمًا؛ شل تفكيرهم وكانت قراراتهم عاطفية مستعجلة منها ما أخذه أبو سفيان على نفسه من عهد بعدم مس الماء على جسمه حتى ينتقم من المسلمين، فخرج في مجموعة كبيرة من الرجال حتى جاؤوا بني النضير ليلًا فحاولوا، الدخول على حيي بن أخطب لمعرفة أخباره صلى الله عليه وسلم فرفض السماح لهم، وقام سلام بن مشكم بالسماح لهم بالدخول، وأطعمهم وأسقاهم الخمر، وأعلمهم من أخبار المسلمين، ثم غادر في آخر الليل، فمر بالعريض وبينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال فقتل به رجلًا من الأنصار وعاملًا عنده، وحرق

---

(١) خطاب، الرسول، ص ١٢

(٢) جلدًا: فلان عظيم الأجلاد والتجاليد إذا كان ضخما قوي الجسم. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) الحلقة: الدروع وكذا حلقة الباب وحلقة القوم والجمع الحلق. – الرازي، مختار، ص ٦٣.

(٤) الكراع: السلاح، وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح. – ابن منظور، لسان، ج ٨، ص ٣٠٧.

(٥) زرق: وهو أزرق العين، وتسمى الأسنة زرقا للونها، زرقا طامعين فيما لا ينالونه. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ١٣٩.

(٦) الحجف: ضرب من الترسة، واحدتها حجفة، ويقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب: حجفة ودرقة، والجمع حجف. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٣٩.

(٧) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٧٣.

بعض البيوت وبعض المحاصيل، ثم ولى هاربًا، فبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج وأصحابه في أثرهم يطلبهم ولم يلحقوهم وسميت غزوة السويق[١].

والظاهر أن قريشًا قد استعانت بيهود لمعرفة أخبار المسلمين، ولقد شكلت حالة التجسس وتعاطي سلام بن مشكم مع أبي سفيان؛ حالة من نقض العهد، والتعاون مع جهات خارجية معادية، وإفشائه أسرار المسلمين والمدينة، مما ترتب عليه تنفيذ قريش لحالات قتل واستهداف للمسلمين وتخريب للمنازل وحرقها مع بعض المحاصيل، مما يشير إلى ضلوع اليهود بهذه الجريمة، فلقد ساعدت المعلومات التي قدموها لأبي سفيان من تنفيذ اعتداءاته على المسلمين[٢].

ولقد استعرت الحرب التجسسية بين دولة الإسلام وبين القبائل العربية، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: " بَعَثَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينًا وأمّر عليهم عاصم بن ثابت[٣] الأنصاري وهو بين عسقان ومكة، ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم قريبًا من مائتي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودنه من المدينة، فقالوا هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفَدٍ[٤] وأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق لا نقتل منكم أحدًا، قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فو الله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق ... فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم وما أصيبوا..." [٥].

---

(١) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٢٩١؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص٣٠.

(٢) أحمد، الاستخبارات، ص ٩٠.

(٣) عاصم بن ثابت بن قيس وقيس هو أبو الأقلح بن عصمة بن مالك، وأمه الشموس بنت أبي عامر بن صيفي، ويكنى عاصم أبا سليمان، وشهد بدرًا وثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى الناس وبايعه على الموت، وكان من الرماة المذكورين، وقَتَلَ يوم أحد من أصحاب اللواء من المشركين الحارث ومسافعًا ابني طلحة بن أبي طلحة وأمهما سلافة بنت سعد بن الشهيد من بني عمرو بن عوف فنذرت أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٦٢.

(٤) فَدْفَدٍ: الفلاة التي لا شيء بها، وقيل: هي الأرض الغليظة ذات الحصى، وقيل: المكان الصلب والفدفد: المكان المرتفع فيه صلابة، وقيل: الفدفد الأرض المستوية. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٥) البخاري، الجامع، ج ٣، ص ١١٠٨؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ٢٦١، ٢٦٢.

يستنتج مما تقدم مدى شراسة الحرب التجسسية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، ولقد كانت البيئة التي يعمل بها المسلمون ويتحركون من خلالها بيئة معادية، ولقد كان سكانها يترصدون بالمسلمين بهدف التعرض لهم أو تحقيق بعض المنافع المادية، ويبدو واضحًا مدى التعاون وتبادل المعلومات بين القبائل وبين قريش، وكان ذلك واضحًا من خلال المتابعة الأمنية لسرية عاصم.

ويبرز هنا بعض الأخطاء الأمنية لسرية المسلمين، كترك نوى تمر يثرب خلفهم، ليعطي للمشركين صورة من التأكد من شخصيتهم، ولقد تكرر هذا الخطأ أكثر من مرة مما أعطى الفرصة لقريش للحصول على المعلومات، والأرجح أن السرية تم رصدها من قبل بعض العيون والتي قامت بدورها بتزويد بني لحيان بأخبارها.

تجسس قبائل تخوم الشام على دولة الإسلام

شكلت القبائل العربية سندًا قويًا لقريش في حربها ضد دولة الإسلام، وكان لعيونهم دور كبير في بعض المعارك مع المسلمين، فلقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير[١] في خمسة عشر رجلًا إلى ذات أطلاح[٢] في ربيع أول ٨ هـ، فقابلوا تجمعًا كثيرًا فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا للمسلمين، فتراشقوا بالنبل وحدث قتال عنيف حتى قتل كل المسلمين عدا واحد تحامل على نفسه، وعاد ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك[٣]، ولقد كان كعب يكمن النهار ويسير الليل فلما اقترب منهم، شاهدهم عين لقضاعة فأخبرهم بقلة عدد المسلمين [٤] ولقد ذُكر أن هذه التجمعات كانت لقبائل قضاعة[٥].

يبدو مما تقدم شراسة المعركة الأمنية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبائل العربية شمال شبه الجزيرة العربية، ولقد شكلت حرب التجسس بين الطرفين خطرًا على تحركاتهم، وكان

---

(١) كعب بن عمير: الغفاري من كبار الصحابة، كان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسليم مرة بعد مرة على السرايا،. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٢٣.

(٢) ذات أطلاح: من أرض الشام. – البكري، معجم، ج ٣، ص ٨٩٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢٧؛ الماوردي، الحاوي، ج ١٤، ص ٥٩.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٢٠٢؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٥) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٧٩؛ ابن حبان، الثقات، ج ٢، ص ٣١؛ البيهقي، دلائل، ج ٤، ص ٣٥٧.

للمعلومة التي قدمها الجاسوس حول عدد المسلمين سببٌ في قتل جميع المجموعة عدا واحد، ليشكل ذلك تحديًا جديدًا للمسلمين يضاف إلى التحديات الأخرى.

تجسس ثقيف وهوازن على دولة الإسلام

كما شكل انتصار المسلمين على قريش وفتح مكة ضربة قوية على المشركين هزت أركانهم، وحاول المشركون في الطائف محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعت ثقيف وهوازن مقاتليهم وجاؤوا بأموالهم ونسائهم، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة في شوال ٨ هـ – ٦٣٠م في اثني عشر ألفًا من المسلمين، فلما وصل إلى حنين أرسل مالك بن عوف[١] ثلاثة أنفار يأتونه بخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا إليه وقد تفرقت[٢] أوصالهم من الرعب[٣].

الظاهر أن قائد ثقيف وهوازن حاول التعرف على قوات المسلمين وأماكن تجمعهم وأعدادهم، فأرسل مجموعة من الجواسيس لتزويده بهذه المعلومات، فلما توغلوا بين المسلمين واطلعوا على أوضاع القوات وتعرفوا على أعدادهم، هزهم المشهد ودخل في قلوبهم الرعب فعادوا ليعلموا قائدهم بما رأوا.

محاولة ملك غسان استمالة كعب بن مالك

تخلف كعب بن مالك[٤] وهلال بن أمية[٥] ومرارة بن الربيع[٦] عن غزوة تبوك، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وبدأ باستقبال المتخلفين عن الجهاد، ذكر كعب بن مالك

---

(١) مالك بن عوف بن مالك بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، يكنى أبا علي كان رئيسا مقدامًا يوم هوازن، ثم أسلم وشهد القادسية. – أبو نعيم، معرفة، ج ٥، ص ٢٤٧٣.

(٢) تفرقت: الفَرَق، الخوف، وفرق منه، بالكسر، فرقا: جزع. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٣٠٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٣٣٢.

(٤) كعب بن مالك: بن أبى كعب بن القين بن كعب، الأنصاري السلمي، أبو عبد الله، من بنى سلمة بن سعد ممن شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد، إلا تبوك وكان من النقباء والشعراء، ممن له شهامة في شبابه وبراعة في يفاعته، توفى بالمدينة أيام قتل على بن أبى طالب. – ابن حبان، مشاهير، ج ١، ص ١٨.

(٥) هلال بن أمية: بن عامر بن قيس، الأنصاري، مدني شهد بدرًا وأحدًا، وكان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح. – النووي، تهذيب، ج ٢، ص ٤٣٧.

(٦) مرارة بن الربيع: ويقال ابن ربيعة الأنصاري العمري الصحابي، من بني عمرو بن عوف شهد بدرًا وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم. – النووي، تهذيب، ج ٢، ص ٣٩٣.

أنهم أتوا إليه فتكلموا بصدق المؤمنين، ولم يقدموا أي أعذار لتخلفهم عن الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك... فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه، أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نُوَاسِكَ، فقلت لم قرأتها وهذا أيضًا من البلاء فَتَيَمَّمْتُ بها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ[١] بها"[٢].

يتضح مما سبق التحول الخطير لحرب التجسس من قبل ملك الغساسنة بمعرفته بأمر كعب محاولًا الاتصال به[٣]، وبهدف اختراق المجتمع الإسلامي، من خلال استغلال الاشكاليات التي تعرض لها كعب بن مالك لحظة انتظاره مغفرة الله تعالى عنه لعدم خروجه لمعركة تبوك.

تحالف المنافقين واليهود ضد دولة الإسلام

رأس النفاق وبنو قينقاع[٤]

حركت هزيمة قريش في غزوة بدر مشاعر الحسد والحقد عند يهود بني قينقاع، وبلغ بهم الأمر إلى حد المجاهرة بالعداء، من خلال كشف عورة المرأة في سوقهم وتداعيات الحادث واستمرارهم بحالة العداء وقتلهم الرجل المسلم، فكان ذلك بمثابة نقضهم العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥]، فحاصرهم في شوال ٢ هـ، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة، فحاربوا وتحصنوا فحاصرهم

---

(١) سجرته: السجر إيقادك في التنور، السجور اسم الحطب. – ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٣٤٦.

(٢) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٦٠٦؛ الزرعي، زاد، ج ٣، ص ٥٥٣، ٥٥٤.

(٣) الغضبان، المنهج، ج ٣، ص ١٩٢.

(٤) غزوة بني قينقاع: حدثت يوم السبت للنصف من شوال ٢ هـ – ٦٢٤م، وكانوا قومًا من يهود حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود وكانوا صاغة، فوادعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد، وكانوا أول من غدر من اليهود، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، فحاصرهم أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأن لهم النساء والذرية، وأمر بهم أن يجلو من المدينة وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرعات فما كان أقل بقاءهم بها ووجدوا في حصنهم سلاحا كثيرا وآله الصياغة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٢٨، ٢٩.

(٥) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٢٩٤؛ البلاذري، أنساب، ج ١، ص ١٣٤.

أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية [١].

وتدخل عبد الله بن أبي بن سلول وألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أحسن، فأعرض عنه رسول الله، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقال: له رسول الله، وغضب رسول الله، ثم قال: ويحك أرسلني، فقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك"[٢].

يُلاحظ إن العلاقة بين يهود بني قينقاع وبين رأس المنافقين ابن سلول كانت تحالفية، ولقد شكل الطرفان تهديدًا داخليًا خطيرًا على دولة الإسلام، ويُلاحظ قيام عبد الله بن أبي اليهود بالضغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنقاذ حلفائه من القتل، وتسهيل خروجهم من المدينة، ولقد شكل تدخل ابن سلول لحماية يهود بني قينقاع حالة من التعاون مع جهات معادية.

رأس النفاق وبنو النضير

استمرت حالة العداء من قبل يهود، وانتقلت إلى مرحلة جديدة من خلال استهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل، فعمل على حصار يهود بني النضير بعد محاولتهم قتله؛ بإلقاء حجر عليه من فوق دار اعتلاها عمرو بن جحاش، فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها، فأرسل لهم عبد الله بن أبي ومجموعة من المنافقين أن اثبتوا وابقوا في حصونكم، فإنا لن نسلمكم أبدًا، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فانتظروا مساعدة المنافقين فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فاضطر يهود بني النضير مجبرين على إعلان الاستسلام على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فارتحلوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام[٣].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ٢٨.

(٢) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٢٩٥؛ البيهقي، دلائل، ج ٣، ص ١٧٤؛ الذهبي، تاريخ، ج ٢، ص١٤٧.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ١٧٠، ١٧١؛ ابن تيمية، منهاج، ج ٨، ص ١١٢، ١١٣.

كما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلّم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ليخبر بني النضير بنقضهم العهد ويأمرهم بالخروج من المدينة، وأمهلهم عشرة أيام ومن سيشاهد منهم ستضرب عنقه، فتجهز يهود بني النضير لمغادرة المدينة، فجاءهم رسول من ابن سلول يحرضهم على البقاء وعدم المغادرة، ويعدهم بتقديم المساعدة العسكرية لهم، فتمنعوا بحصونهم ورفضوا المغادرة، وحدث خلاف بين يهود فقال سلام بن مشكم لحيي بن أخطب: إنما يريد ابن أبي أن يورطك في قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يجلس في بيته ويتركك، فأرسل حيي بن أخطب رسولًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ليخبره برفضهم النزول عند شروطه، فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلّم التكبير، وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت اليهود، وخرج رسول حيي بن أخطب إلى ابن سلول طالبًا منه الالتزام بتعهداته لهم فوجده جالسًا مع نفر من أصحابه غير مهتم بشأنهم، ودخل في الوقت نفسه عبدالله بن عبدالله بن أبي ليلبس درعه ويحمل سيفه استعدادًا لحربهم، فعندها شعر بالهلاك وعاد إلى حصونهم[1].

والأرجح أن التعاون الخفي بين يهود بني النضير وبين المنافقين شكل تهديدًا أمنيًا على المسلمين، وكانت مؤامرة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضمن هذه التهديدات وأخطرها، فصاروا حربًا على المسلمين، فحلت دماؤهم وأموالهم، وتوجب على المسلمين حصارهم، ويُلاحظ تحريض عبد الله بن أبي اليهود على حمل السلاح وعلى عدم الاستسلام[2]، مما ترتب عليه تغير موقف اليهود فأعلنوا التحدي والاستعداد للمنازلة[3]، مما سيترتب عليه تهديدًا أمنيًا خطيرًا على دولة الإسلام من خلال تشكيل جيوب لا تخضع لسيادة الدولة، فاستدعى ذلك القيام بخطوات عملية لإخراجهم من المدينة والانتهاء من تهديداتهم الأمنية، فشكل ضغط المسلمين الأمني والعسكري والنفسي عاملًا قويًا لاستسلامهم ونزولهم عند شروط رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في ضوء ما تقدم فإن إجلاء يهود بني النضير ترتب عليه كسر شوكة اليهود والمنافقين في المدينة، فجددت يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت رغبتها في

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ١، ٣١١ – ٣١٣.
(٢) ابن بطال، شرح، ج ٦، ٣٥٢.
(٣) أحمد، الاستخبارات، ص ٤٤.

المحافظة على العهد، حيث لم ينجز المنافقون وعدهم، وتبين ليهود عدم جدوى الاعتماد عليهم، مما ترتب على ذلك تقوية أركان دولة الإسلام أمنيًا بالإضافة إلى الاستفادة الاقتصادية من خلال إسكان المهاجرين بيوتهم والاستفادة بزراعة أراضيهم[١]، ولقد برز العمل التجسسي من خلال صراع الأدمغة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من جهة وبين المنافقين وإرهابهم بعدم التدخل واليهود وقطع أي أمل بتدخلات خارجية.

المنافقين ويهود خيبر

شكل حلفاء اليهود خطرًا على دولة الإسلام؛ فكانوا عيونًا لهم، فقد دخل رجل من بني فزارة[٢] المدينة لبيع سلعة له، وكان حليفًا ليهود خيبر، فذهب إليهم وقال: تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهز قواته إليكم، فخرج كنانة بن أبي الحقيق في أربعة عشر رجلاً من اليهود يدعو غطفان إلى نصرهم، ولهم نصف تمر خيبر سنةً[٣].

يتضح مما سبق الدور الكبير للعيون في معركة الصراع بين دولة الإسلام وبين المشركين من يهود ومنافقين، ولقد استطاع هذا الجاسوس من رصد التحركات العسكرية داخل المدينة، والأرجح أنه وصلت إلى مسامعه أن هذا التحرك يستهدف مهاجمة خيبر، فسرعان ما أعلمهم، مما أعطاهم المجال واسعًا ليأخذوا الحيطة والحذر، ويعملوا على ترتيب تحالفات جديدة للدفاع عن خيبر.

نخلص من كل ما تقدم إلى خطورة الحرب التجسسية التي استعان بها أعداء الإسلام خلال محاربتهم دولة الإسلام، وبرزت بعض الأساليب المستخدمة خلال هذا الصراع من محاولة ترصد أخبار المسلمين بواسطة عيونهم، وتقديم معلومات من قبل بعض المارقين من المنافقين، إلى بعض الاغتيالات للمسلمين، لكنها بقت محاولات مبتورة لم تسهم بأي إنجاز استراتيجي للأعداء.

---

(١) العمري، السيرة، ج ١، ٣١٠ – ٣١١.

(٢) بني فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، ومنهم سمرة بن جندب. – ابن خياط، الطبقات، ج ١، ص ٤٨.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ١١٩.

المبحث الثالث

التجسس المضاد

عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراقبة التحركات المشبوهة للأعداء وجمع المعلومات عنهم، بهدف إفشال أي عدوان محتمل، وإحباط أي تحرش في اللحظة المناسبة[١]، فاحتاج إلى جيش من العيون والجواسيس لجمع المعلومات الأمنية عبر وسائل مختلفة[٢]، والتي تساعده على اتخاذ القرار وتعمل على تحقيق الأهداف المرجوة[٣]، وبالإمكان القول إن عمل الجاسوس يعد من أعلى درجات الجهاد بسبب تعرضه للخطر الشديد أثناء تنفيذ مهمة التجسس[٤]، ولم تقف المهمات التجسسية عند معرفة أخبار الأعداء، وإنما كانت تهدف أحيانًا إلى اغتيال بعض أعداء دولة الإسلام ممن يشكلون خطرًا عليها[٥]، وسنقف على بعض العمليات الأمنية التجسسية الوقائية والهجومية.

الاغتيالات

اغتيال أبي عفك

استشعر المسلمون بخطر اليهود على دولة الإسلام، فكانت سرية سالم بن عمير[٦] في شوال ٢ هـ، حيث كان أبو عفك[٧] يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظم الشعر في ذلك، فتعهد سالم بن عمير رضي الله عنه أن يقتل أبا عفك أو يموت دونه، فترصده حتى بلغه بنومه بفناء بيته، فأقبل سالم بن عمير رضي الله عنه فوضع السيف على بطنه ثم استند عليه حتى خرج السيف من ظهره، فصاح من شدة الألم حتى استيقظ الناس فأدخلوه ودفنوه[٨].

---

(١) أحمد، الاستخبارات، ص ٩.

(٢) زهر الدين، موسوعة، ج ١، ص ٨.

(٣) الثلاثيني، الأمن، ص ٢٠١.

(٤) الدغمي، التجسس، ص ١٤.

(٥) الأعرجي، جهاز، ص ١٥.

(٦) سالم بن عمير: بن ثابت بن النعمان بن امية بن امرئ القيس، وهو ابن عم خوات بن جبير، وهو أحد البكائين، شهد العقبة، وبدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة معاوية. – ابن الأثير، أسد، ج ٢، ص ٣٧١.

(٧) أبو عفك: من بني عمرو بن عوف قد بلغ ١٢٠ سنة وكان يهوديًا. – ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٢٨.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٢٨؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ٥٠؛ ابن حبيب، المقتفى، ج ١، ص ١٣٥.

يبدو أن حسد يهود وحقدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ مداه من خلال حملة التحريض، ولقد شعر المسلمون بذلك واستاؤوا من موقف يهود، فشكل تعهد سالم بن عمير رضي الله عنه وترصده لأبي عفك حتى يمسكه على حين غرة، شكل ذلك حربًا أمنية ذات مستوى راق هدفت إلى تصفية كل من يلحق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم.

مقتل خالد بن سفيان الهذلي

في محرم ٣ هـ – ٦٢٤م وردت معلومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول قيام خالد بن سفيان بجمع الحشود لحرب المسلمين وهو بنخلة أو بعرنة[١]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لي من خالد بن نبيح رجل من هذيل وهو يومئذ بعرفة، فقال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: أنا يا رسول الله انعته لي فقال: لو رأيته هبته، فقلت: والذي أكرمك ما هبت شيئًا قط، فخرجت حتى لقيته بجبال عرفة[٢] قبل أن تغيب الشمس، قال ابن أنيس رضي الله عنه: فلقيت منه رعبًا، فعرفت حين رعبت منه أنه الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من الرجل فقلت باغي حاجة فهل من مبيت، فقال: نعم فالحق بي، فخرجت في أثره فصليت العصر ركعتين خفيفتين فأشفقت أن يراني، ثم لحقته فضربته بالسيف ثم خرجت حتى غشيت الجبل، فمكثت حتى إذا ذهب الناس عني خرجت، حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبرته الخبر"[٣].

ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتمد التجسس التكتيكي[٤]، بهدف إفشال مخطط الهذلي بمهاجمة المسلمين، فأرسل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه والذي استعان بالسرية والخفاء، وعمل تحت ستار أمني[٥]؛ لمعرفة الهذلي والتأكد من شخصيته لعدم امتلاكه أوصاف دقيقة له[٦]، ولقد توج هذا الجهد التجسسي بنجاح المهمة الأمنية المعقدة وتمكن من العودة سالمًا.

---

(١) الحلبي ، السيرة، ج ٦، ص ٣٠.

(٢) عرفة وعرفات اسم لموضع واحد عند أكثر أهل العلم، وقرية فيها مزارع وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة، وقيل في سبب تسميتها بعرفة إن جبرائيل عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام المناسك، ويقال بل سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة. – ياقوت، معجم، ج ٤، ص ١٠٤.

(٣) ابن أبي عاصم، الأحاد، ج ٤، ص ٧٧؛ الهيثمي، مجمع، ج ٦، ص ٢٠٣.

(٤) التجسس التكتيكي: ويسمى أحيانًا بالتجسس القتالي، ويغطي المعلومات التي يحتاجها القائد الميداني. –مناصرة، الاستخبارات، ص ٢٨٨.

(٥) مناصرة، الاستخبارات، ص ٢٨٢.

(٦) الأعرجي، جهاز، ص ١٥.

اغتيال كعب بن الأشرف

بعد هزيمة قريش في بدر امتلأت قلوب اليهود غيظا، فقام كعب بن الأشرف بتحريض قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل ينشد الأشعار، وتغزل بأم الفضل بنت الحارث[١] رضي الله عنها وبنساء المسلمين[٢]، وفي ربيع أول ٣ هـ – ٦٢٤م ذكر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله، قال: نعم، فائذن لي أن أقول شيئًا، قال: قل، فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عَنّانا[٣] وإني قد أتيتك أستسلفك، قال وأيضًا والله لَتَمَلُّنَّهُ، قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تُسلفنا وسقًا[٤] أو وسقين، فقال نعم ارهنوني، قال: أي شيء تريد، قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال ارهنوني أبناءكم، قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيُسب أحدهم فيقال رُهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللَأمة قال سفيان يعني السلاح"[٥].

واتفقا على ذلك "فَوَاعَدَهُ أن يأتيه، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة[٦] وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة، فقال إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبي نائلة، وقال غير عمرو: قالت أسمع صوتًا كأنه يقطر من الدم، قال إنما هو أخي

---

(١) لبابة بنت الحارث: بن حزن بن بجير، العامرية الهلالية المدنية، أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، والدة الفضل وعبد الله وتمام بني العباس، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعت أم الفضل الرسول صلى الله عليه وسلم. – الكلاباذي، رجال، ج ٢، ص ٨٥٢، ٨٥٣.

(٢) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص ٢٩٧؛ ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٤٦١، ٤٦٥.

(٣) عَنّانا: عنا يعنو إذا أخذ الشيء قهرًا، وعنا يعنو عنوة فيهما إذا أخذ الشيء صلحًا بإكرام ورفق. وقيل: أخذه عنوة أي عن طاعة وعن غير طاعة، وفتحت هذه البلدة عنوة، أي فتحت بالقتال. – ابن منظور، لسان، ج ١٥، ص ١٠١. عنّانا أي كلفنا، والأوامر والنواهي تكاليف. ابن المنير، المتواري، ج ١، ص ١٧٣.

(٤) وسق: مكيلة معلومة، وقيل: هو حمل بعير وهو ستون صاعا بصاع النبي، وهو خمسة أرطال وثلث، وكل وسق بالملجم ثلاثة أقفزة. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص ٣٧٨.

(٥) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٨١؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٢٥؛ أبو داود، سنن، ج ٣، ص ٨٧؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ١٩٢؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٤٦؛ الخازن، تفسير، ج ١، ص ٤٦٣؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٩، ١٠؛ ابن تيمية، الصارم، ج ٢، ص ١٤٦. واللفظ للبخاري.

(٦) أبو نائلة: سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة، الأنصاري الأشهلي، ويقال سلكان لقب له واسمه سعد، شهد أحدًا، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف وكان أخاه من الرضاعة، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شاعرًا. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٦٥.

محمد بن مسلمة ورضيعي أبي نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طَعْنَةٍ بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان سماهم عمرو، قال سمى بعضهم، قال عمرو جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر[1] والحارث بن أوس[2] وعباد بن بشر قال عَمْرٌو جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أُشِمُّكُمْ فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحًا أي أطيب وقال غير عمرو قال عندي أعطر نساء العرب قال عمرو فقال: اتأذن لي أن أشم رأسك، قال: نعم فشمه ثم أَشَمَّ أصحابه ثم قال: اتأذن لي، قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه"[3].

وذكرت بعض المصادر: أن محمد بن مسلمة واجه صعوبة بالوصول إلى كعب بن الأشرف فطلب الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقولوا شيئًا، فقال: "قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك[4]." وورد في بعض المصادر تفاصيل أخرى: "فاختلف عليهم أسيافهم فلم تغن شيئًا، قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولًا[5] في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا إلا وأوقدت عليه نارًا، قال فوضعته في ثندوته[6] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، ووقع عدو الله، وقد

---

(١) أبو عبس بن جبر: عبد الرحمن بن عمرو بن زيد، وكانت زوج أبي عبس أم عيسى بنت مسلمة، وهي أخت محمد بن مسلمة، وكان أبو عبس يكتب بالعربية قبل الإسلام، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، مات أبو عبس في سنة ٣٤هـ – ٦٥٥م وهو ابن ٧٠ سنة، ودفن بالبقيع. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٥٠.

(٢) الحارث بن أوس: بن معاذ بن النعمان، الأشهلي، ويكنى أبا أوس، وشهد بدرًا، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف وأصابه بعض أصحابه تلك الليلة بسيفه وهم يضربون كعبًا، وشهد بعد ذلك أحدًا وقتل يومئذ شهيدًا وكان يوم قتل بن ٢٨ سنة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٣٧.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٨١؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٢٥؛ أبو داود، سنن، ج ٣، ص ٨٧؛ النسائي، سنن، ج ٥، ص ١٩٢؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣٤٦. واللفظ للبخاري.

(٤) ابن اسحق، سيرة، ج ٣، ص٢٩٨؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥٣؛ ابن عبد البر، الدرر، ج ١، ص ١٤٣؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٥٥، ص ٢٧١؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٦٢؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ٥٤؛ العيني، عمدة، ج ١٣، ص ٧٠.

(٥) المغول: حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافًا، وقيل: هو سيف دقيق له قفا يكون غمده كالسوط، المغول سوط في جوفه سيف، وقال غيره: سمي مغولًا لأن صاحبه يَغتال به عدوه أي يهلكه من حيث لا يحتسبه، وجمعه مغاول. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٥١٠.

(٦) الثُّنْدُوَةُ: لحمُ الثَّدي، وهي اللحم الذي حول الثدي للمرأة، وقيل الثندوة للرجل والثَّدي للمرأة، ويقال رجل مُثَدَّنٌ إذا كان كَثِير اللحم على الصدر وقد ثُدِنَ تَثْدِينًا، ومُثَدَّنُ اليد أي تُشْبِهُ يدُه ثديَ المرأةِ. الأزهري، تهذيب، ج ١٤، ص ٦٤.

أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا، فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا، فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل... وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه" [(١)].

لقد شكلت شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين حول الخطر والأذى الذي يلحقه كعب بن الأشرف به صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين حافزًا لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه ومحركًا له، فبعدما استعلم عن طبيعة القرار حول كعب وحجم العقوبة؛ أخذ الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصريح بأن يتكلم شيئًا أمام كعب لتسهيل مهمته بالوصول إليه، ويمكن القول إن ذلك يعد من الأدوات اللازمة خلال عمليات التجسس في محاولة للتقرب إلى المراد وتحقيق الهدف.

ويبدو أن قتله كان أمرًا لا بد منه، فإنه لا سبيل لدفع فساده وإفساده إلا بقتله[(٢)]، وجاء اختيار فريق الاغتيال وفق الضرورات الأمنية والمعايير المهنية، فكان ابن مسلمة صاحبًا لكعب وَثِق به، وأبو نائلة أخا كعب من الرضاعة، وبقية الفريق يرتبطون بقرابة الدم والعشيرة فيما بينهم، مما سهل الأمر عليهم لنيل ثقة كعب بهم مع تقديم قليل من المبررات لكعب والتي أشبعت حاجة في نفسه ظانًا أنه يمكن عمل اختراق أمني لمجتمع المدينة من خلال هؤلاء.

كما يُلاحظ أن فريق الاغتيال قد اعتمد فترة الليل لتنفيذ المهمة، وأنهم أعدوا خطة الاغتيال واتفقوا على تفاصيلها فيما بينهم، واستعانوا بأمر حيوي ومهم خلال مهمة الاغتيال وهو لغة الإشارة[(٣)]، فاتفقوا على إشارة للبدء بمهمة الاغتيال، ورغم حدوث خلل خلال المرحلة الأولى لتنفيذ الاغتيال من خلال إصابة أحد أعضاء الفريق بسلاح صاحبه إلا أن تصرف ابن مسلمة باستخدام سلاحه الصغير أدى إلى قتل كعب بن الأشرف بصورة محكمة.

والظاهر أن عملية الانسحاب من مكان العملية كانت سريعة كما هو معتمد بمثل هكذا مهمات، ولكن لم ينتبه الفريق لإصابة الحارث والتي أعاقت حركته فتأخر عنهم قليلًا، فلما افتقدوه استدركوا ذلك وساعدوه وعادوا إلى المدينة مبشرين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجاح المهمة.

---

(١) الثعلبي، تفسير، ج ٣، ص ٢٢٧؛ البغوي، تفسير، ج ١، ص ٣٨٢؛ الخازن، تفسير، ج ١، ص ٤٦٣.
(٢) المرصفي، الرسول، ج ٤، ص ١١٨.
(٣) محفوظ، العسكرية، ١٦٢.

ويظهر مما تقدم حالة الرعب والخوف التي ملأت قلوب يهود، فلم يأمن أحد منهم على نفسه[١]، مما يشير إلى أن عملية الاغتيال قد حققت أهدافها بالتخلص من كعب، بالإضافة إلى تحقيق حالة الردع بين اليهود، وهذا يتطلب من القيادة الإجهاز على دالة الشر؛ بتقطيع أسبابه، وحسم علته، متى دعت الضرورة لذلك[٢].

مقتل عمرو بن جحاش عن طريق ابن عمه يامين

حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير بعد محاولة الغدر من قبلهم لقتله صلى الله عليه وسلم، وفي ظل الحصار أسلم يامين بن عمير[٣] وأبو سعد بن وهب[٤]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين: ألم تر إلى ابن عمك عمرو بن جحاش ومحاولته لقتلي، فقال يامين أنا أكفيكه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل لرجل من قيس عشرة دنانير على أن يقتل عمرو بن جحاش، ويقال خمسة أوسق من تمر، فاغتاله فقتله، ثم جاء يامين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقتله، فسر بذلك[٥].

في ضوء ما تقدم تبرز أهمية الملاحقة الأمنية لكل من تسول له نفسه التعرض للقيادة بالأذى، وعدم الاطمئنان إلى من عُرِفَت عليهم الخيانة والغدر، وظهرت عليهم امارات الخداع والنفاق[٦]، فنلمس هنا استعداد يامين بن عمير لقتل ابن عمه ابن جحاش، وعمل على تنفيذ المهمة من خلال تكليف أحد المرتزقة القريبين من ابن جحاش لقتله مقابل مبلغ من المال.

محاولة اغتيال أبي سفيان

بعد فشل محاولة أبي سفيان بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتراف الأعرابي بما اتفق عليه مع أبي سفيان[٧]؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم

---

(١) المرصفي، الرسول، ج ٤، ص ١١٨.

(٢) الميداني، مكائد، ص ١٢٧.

(٣) يامين بن عُمَير بن كعب ابن عمرو بن جحاش، من بني النَّضير، أسلم وأحرز ماله، وهو من كبار الصحابة، وهو الذي أعطى عبد الله بن مُغَفَّل وأبا ليلى في غزوة تبوك جَمَلاً يعتقبانه. – ابن الأثير، أسد، ج ٥، ص ٤٨٣.

(٤) أبو سعد بن وهب: النضري من بني النضير إخوة قريظة، لم يسلم من بني النضير سوى الرجلين يامين بن عمرو بن كعب وأبي سعد بن وهب فأحرزا أموالهما. – ابن حجر، الإصابة، ج ٧، ص ١٤٦.

(٥) الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١١٢؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص.

(٦) الميداني، مكائد، ص ١٢٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٤؛ ابن عساكر، تاريخ، ج ٤٥، ص ٤٢٥.

إلى أبي سفيان بن حرب، وطلب منهما أن يقتلاه، فلما دخلا مكة شاهد معاوية بن أبي سفيان[١] عمرو بن أمية وهو يطوف بالبيت ليلًا، فأخبر قريشًا بمكانه، فخافوا منهم وبحثوا عنه لأنه كان شجاعًا قويًا في الجاهلية، فحشد له أهل مكة محاولين إلقاء القبض عليه فهرب منهم، وقتل عمرو رجلًا حتى لا يخبر قريش عنه، وقتل آخر سمعه يتغنى ويقول ولست بمسلم ما دمت حيًا، ولست أدين دين المسلمينا، ثم لقي رسولين لقريش يتحسسان عنهما فقتل أحدهما وأَسر الآخر فقدم به المدينة ولما أعلم الخبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أخذ يضحك[٢].

ويظهر مما تقدم سعي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعاقبة من يحاول المس بشخصه الكريم، أو من يلحق الأذى بالمسلمين، وهذه السياسة عملت على تشكيل حالة رادعة تجاه المشركين، وضد كل من يفكر بامتلاك الجرأة على دولة الإسلام والمسلمين، ولقد جاء اختيار عمر بن أمية موفقًا لما يتصف به من الشجاعة والإقدام والجرأة في أخذ القرار، خاصة وهو مقدم على الذهاب إلى معقل قريش وعرينها بهدف اغتيال قائدها.

مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق[٣] في خيبر

سرعان ما تناسى يهود قتل كعب بن الأشرف حيث لم تستمر حالة الردع كثيرًا، وطغى عليهم حقدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسدهم عليه، فعادت اليهود لإلحاق الأذى به، وعملت على التحريض ضد المسلمين، ففي رمضان ٦ هـ – ٦٢٨م قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار، فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع اليهودي يُؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني مُنطلق وَمُتَلَطِّفٌ للبَوّاب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثُم تَقَنَّعَ بثوبه

---

(١) معاوية بن أبي سفيان: بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الرحمن، وكان يذكر أنه أسلم عام الحديبية وكان يكتم إسلامه، وشهد حنينًا والطائف، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث، كانت ولايته على الشام ٢٠ سنة أميرًا، ثم بويع له بالخلافة ٢٠ سنة، مات سنة ٦٠ هـ – ٦٨٠م، وهو ابن ٧٨ سنة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٠٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٤؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ١٥٣؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ١٣٧.

(٣) سلام ابن أبي الحقيق: يكنى أبو رافع من يهود بني النضير، ألب قريش والأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصروا المدينة يوم الخندق. – ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩١.

كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أُريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الْأَغَالِيقَ(١) على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد(٢) فأخذتها ففتحت الباب"(٣).

"وكان أبو رافع يُسْمَرُ عنده وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت علي من الداخل، قلت إن القوم نَذِرُوا بي لم يَخْلُصُوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مُظلم وسط عالية لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دَهِشٌ(٤) فما أغنيت شيئًا، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع، فقال لأُمك الويل إن رجلًا في البيت ضربني قبل بالسيف، قال فاضربه ضربة أَثْخَنَتْهُ ولم أَقتله، ثم وضعت ظِبَةَ(٥) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رِجْلِي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فحدثته، فقال: ابسط رِجْلَكَ فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط"(٦).

وجاء في رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إلى أبي رافع عدد من المسلمين لقتله، ولقد كان بعضهم يجيد اللغة العبرية، وذكر أنهم: عبد الله بن عتيك(٧) وعبد الله بن

---

(١) الأغاليق: المفاتيح، واحدها إغليق. – ابن منظور، لسان، ج ١٠، ص٢٩١.

(٢) الأقاليد: جمع إقليد وهي المفاتيح. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ٣٦٦.

(٣) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٨٢، ١٤٨٣؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٨٠.

(٤) دهش: دهش الرجل بالكسر، دهشا: تحير، والوله وقيل من الفزع ونحوه. – ابن منظور، لسان، ج ٦، ٣٠٣.

(٥) ظبة السيف: حده وطرفه، وهو ما يلي طرف السيف، ومثله ذبابة. – ابن منظور، لسان، ج ١٥، ٢٢.

(٦) البخاري، الجامع، ج ٤، ص ١٤٨٢، ١٤٨٣؛ البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٨٠؛ الحميدي، الجمع، ج ١، ص ٥٣٠، ٥٣١؛ ابن تيمية، الصارم، ج ٢، ص ٢٩٣؛ ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٧) عبد الله بن عتيك: بن النعمان بن عمرو، الأنصاري، الخزرجي، وكان في بصره ضعف، واستشهد يوم اليمامة، وقيل إنه بقي إلى خلافة علي وشهد معه صفين، قال ابن عبد البر أظنه وأخاه جابر بن عتيك شهدا بدرًا قال ولم يختلف أن عبد الله بن عتيك شهد أحدًا. – أبو المحاسن، الإكمال، ص ٢٤١.

أنيس وأبا قتادة والأسود بن خزاعي[١] ومسعود بن سنان[٢] وأمرهم بقتله، واستفتح عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية، وقال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له امرأته، فلما شاهدت السلاح أرادت أن تصيح فأشاروا إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فقتلوه بأسيافهم، ثم نزلوا وصاحت امرأته، واختبأ القوم في بعض مناهر[٣] خيبر، وخرج الحارث أبو زينب في بعض يهود في آثارهم يطلبونهم بالنيران فلم يروهم فرجعوا، ومكث القوم يومين حتى سكن الطلب، ثم خرجوا مقبلين إلى المدينة كلهم يدعي قتله، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أفلحت الوجوه، فقالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، وأخبروه خبرهم فأخذ أسيافهم فنظر إليها فإذا أثر الطعام في ذباب سيف عبد الله بن أنيس، فقال: هذا قتله[٤].

نخلص من كل ما سبق إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سارع قبل أن يتفاقم الأمر وتتكرر تجربة حصار الخندق[٥]، فاعتبر الحزم مع العدو والحسم في علاج الأعداء من مزايا القائد الناجح، في سبيل المحافظة على هيبة الدولة، وحتى يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه الإساءة للأمة[٦]، فلاحق كل من يلحق الأذى به وبالمسلمين ليشرد بهم من خلفهم، ولقد كان اختياره لفريق الاغتيال وفق معايير أمنية تعمل على تحقيق نجاح المهمة الأمنية، فمثلًا جاء الاختيار على رجال من الخزرج يجيدون التكلم باللغة العبرية لتسهيل مهمتهم.

كما يبرز هنا الدور القيادي لعبد الله بن عتيك رضي الله عنه في إدارته للعملية؛ فكانت ترتيبات دخول الحصن هو ومجموعته بحرفية أمنية عالية، وجاء اختيار الوقت المناسب لدخول الحصن والصعود إلى بيت أبي رافع بعد انفضاض من كان عنده، ويمكن القول إنه تمتع بسرعة البديهة العالية وحسن التصرف من خلال الاستعانة بالصوت لتنفيذ مهمة القتل، بالإضافة إلى الحنكة

---

(١) الأَسْوَد بنُ خُزَاعِيّ: وقيل خزاعي بن الأسود الأسلمي، من حلفاء بني سلمة، وفي حصار خيبر، برز رجل من مَذْحِج من خيبر، فبرز إليه الأسود فقتله وأخذ سلبه. – ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ١٢٩.

(٢) مسعود بن سنان: بن الأسود، الأنصاري، حليف بني سلمة، وشهد أحدًا واستشهد يوم اليمامة. ابن حجر، الإصابة، ج ٦، ص ٧٩.

(٣) المنهر: خرق في الحصن نافذ يدخل فيه الماء من النهر. – ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٢٣٧.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٣١، ٣٣٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٥) السيد، يهود، ص ١٣١.

(٦) أبو فارس، المدرسة، ص ١٦٩.

الأمنية فبعد إخفاقه بتنفيذ الاغتيال؛ غادر الغرفة ليعود من جديد وكأنه يريد نجدته ليتعرف على مكانه المختبئ به ويقوم بتنفيذ مهمة قتله والتخلص منه[1].

والظاهر إن عملية الانسحاب من المكان صاحبه حدوث أمر طارئ فتعامل بجدية مع إصابته فربطها بعمامته، ومكث قليلًا لينتظر التأكد من خبر مقتل أبي رافع، ولعل فترة بقائهم ومكوثهم في خيبر؛ ساعدتهم على التأكد من خبر مقتله، وانتظروا لحين هدوء التحركات المعادية لليهود وهم يبحثون عن المجموعة. بالإضافة إلى بعض الراحة من الإصابة، كما أن هذه العملية تعد نموذجًا فريدًا في التضحية والفداء، فحدث الاغتيال في فراش أبي رافع ووسط أهله دون أن يشعر به أحد من يهود خيبر، مما أصابهم بالخوف والرعب[2].

مقتل أسير بن رازم

في شوال ٦ هـ – ٦٢٨م بعد مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، أمَّرت يهود خيبر أسير بن رازم[3] عليهم، فسار إلى غطفان وغيرهم يحرضهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة أنفار سرًا للتأكد من خبر التحريض، فلما تأكد ابن رواحة من ذلك أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر، فانتدب ثلاثين رجلًا، فأمّر عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فقدموا على أسير، فتبادل الطرفان الأمان فيما بينهم، فقالوا له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لنعلمك بأنه سيستعملك على خيبر ويحسن إليك، فطمع في ذلك فخرج ومعه ثلاثون رجلًا من اليهود، مع كل رجلٍ رجل آخر من المسلمين، حتى إذا كانوا بقرقرة ثبار[4] ندم أسير، وحاول انتزاع سيف عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه فانتبه لذلك، وضربه بالسيف وتم قتلهم جميعًا سوى واحد منهم هرب وأفلت[5].

الظاهر أن خيبر قد أصبحت مركزًا للتحريض، وملجأ يخرج منه المحرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلما قُتل منه قائد خلفه آخر[6]، واستمرت الملاحقة الأمنية لليهود بعد قتل

---

(١) أحمد، الاستخبارات، ص ٧١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(٣) اختلف باسمه فلقد ذُكر باسم أسير ذكره بان سعد في الطبقات، ج٣ ، ص ٥٢٦؛ وقيل اليسير ذكره اليعقوبي في تاريخه، ج ٢، ص ٧٨؛، وقيل أيضًا رازم ورزام– الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٤) ثبار: بالكسر وآخره راء موضع على ستة أميال من خيبر. – ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٧٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٦٣.

(٦) السيد، يهود، ص ١٣٣.

أبي رافع، فلقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فريقًا أمنيًا للتأكد من خبر تحريض ابن رازم على حرب المسلمين، وأعقبه بتكليف فصيلٍ أمنيٍ وعسكريٍ بإحضار وجلب ابن رزام إلى المدينة من خيبر، لأن من خصائص الأمة؛ تستوجب عليها الحذر واليقظة، ويجب أن تكون ملاحظاتهم الخاصة مقرونة بكثير من الحذر واليقظة[1].

ويلاحظ هنا الحرفية العالية التي كان يتمتع بها الفصيل الأمني، فكان انتشارهم الأمني الآمن مقابل مجموعة يهود فكان مقابل كل يهودي رجلًا من المسلمين، والانتباه الشديد فلم يركن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه إلى الأمان المتبادل بل أخذ الحيطة والحذر وانتبه لمحاولة أسير بن رازم لقتله فأفشل محاولة اغتياله وعمل على قتل ابن رازم.

عمليات تجسس تشتت صفوف العدو

التجسس وغزوة بدر

استعان رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالعيون والجواسيس للتعرف على أخبار قريش، فلقد أرسل عمار بن ياسر وابن مسعود إلى معسكر قريش يوم بدر، "فأطافا[2] بالقوم ثم رجعا، فقالا: يا رسول الله، القوم مذعورون فزعون، إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه، مع أن السماء تسح[3] عليهم، فلما أصبحوا قال نبيه بن الحجاج[4] وكان رجلٌ يبصر الأثر، فقال: هذا أثر ابن سمية وابن أم عبد، أعرفه، قد جاء محمد بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب"[5].

الظاهر أن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعرفة أخبار قريش وأحوالهم قبيل معركة بدر استدعى منه إرسال عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ليتجسسا على معسكر قريش في بدر وجاء تحركهما خلال الليل، فقاما برصد ما يدور داخله، ولقد أسفرت هذه المهمة الأمنية التجسسية على التعرف على وضع قريش ومدى استعدادها لخوض المعركة.

---

(١) الميداني، مكائد، ص ١٢٧.

(٢) أطاف: طاف رجل بالقوم وهم نائمون، والطياف: سواد الليل. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٣) سح الماء صبه، وسح الماء بنفسه سال من فوق وكذا المطر. – الرازي، مختار، ص ١٢٢.

(٤) نبيه بن الحجاج: بن عامر بن حذيفة، وكان نبيه وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم وقتلا جميعا يوم بدر مشركين. – ابو الفرج، الأغاني، ج ١٧، ص ٢٨٢.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٦٣، ٦٦؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج ١٤، ص٦٩.

التجسس وحمراء الأسد

نادى بلال بن رباح رضي الله عنه بالناس صبيحة معركة أحد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بالخروج لعدوكم، وألا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس، فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال غير جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وبالرغم من الجراحات خرج المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم "فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد، وللقوم زجل وهم يأتمرون بالرجوع، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك، فبصروا بالرجلين فعطفوا[١] عليهما فعلوهما ومضوا، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، فدفن الرجلين في قبر واحد وهما القرينان[٢]"[٣].

يستنتج مما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتم بمعرفة أخبار قريش بُعيد نتائج غزوة أحد، فأرسل ثلاثة من العيون ليتجسسوا عن أخبار قوات قريش، والاطلاع على أخبارهم، فدخل اثنان منهم بين قريش وعرفوا بعض المعلومات، واطلعوا على الخلاف بين صفوان وقادة قريش، ولقد انتبهت عيون قريش لهما فقتلوهما.

ويمكن القول أن الاتفاق بين الثلاثة على إرسال اثنين منهم للتوغل بين قوات قريش ومعرفة أخبارها، فيه من الحكمة والأفق الأمني الواسع بحيث لو تم اكتشافهما يبقى الثالث ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكان تجمع قريش.

التجسس وغزوة بني المصطلق

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعرفة أخبار العدو، وعمل على إرسال العيون لتزويده بكل ما يحيط بالأعداء وما يدور بينهم، ففي شعبان ٥ هـ - ٦٢٦م وصلت معلومات تفيد بأن بني المصطلق[٤] يجمعون جموعًا لحرب المسلمين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينًا له لتأكيد المعلومة، فخرج المسلمون إليهم وبلغ بني المصطلق خبر مقتل عينهم الذي أرسلوه للتجسس على

---

(١) عطف عليه: يعطف عطفاً، رجع عليه بما يكره. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٢٤٩.

(٢) القرين: صاحبك الذي يقارنك، وقرينك الذي يقارنك، والجمع قرناء. – ابن منظور، لسان، ج ١٣، ص ٣٣٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٧٣.

(٤) بني المصطلق: بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، جذيمة: المصطلق. – السهيلي، الروض، ج ٤، ص ١٣.

المسلمين فخافوا وتفرقوا، ولقيهم على ماء المريسيع[١]، وحدث قتال وهزم الله تعالى بني المصطلق، وتم أسر أبنائهم ونسائهم والاستيلاء على أموالهم[٢].

نخلص من خلال ما تقدم الحجم الكبير لحرب التجسس وصراع العقول بين دولة الإسلام وبين القبائل المعادية، فلقد تم اعتقال أحد جواسيس المشركين وأدلى بمعلومات تفصيلية حول مهمته وما كُلف به، بالإضافة إلى تسليمه المعلومات حول أماكن تجمع المشركين وأعدادهم وقيادتها، ولقد شكل اكتشاف جاسوس المشركين ومقتله إحباط وصول معلومات عن المسلمين لبني المصطلق[٣]، وأحدث هزة قوية عليهم أربكت حساباتهم وفرقت جمعهم، ولقد كان لتمكن عين رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوغل بين المشركين ومن معرفة أخبارهم وأماكن تجمعهم أثرًا بالغًا أعطى المسلمين الفرصة لتوجيه الضربة القاضية لمن تبقى من المشركين.

التجسس يوفر الحماية للمسلمين يوم الحديبية

تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية يريد العمرة وذلك في ذي القعدة ٦ هـ – ٦٢٨م فأرسل عباد بن بشر على رأس سرية كطليعة استخبارية، ووقف إزاء فرسان قريش بقيادة خالد بن الوليد لصد أي عدوان محتمل ضد المسلمين، وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، وأمر أصحابه بالانتباه والتجمع بمكان بعيدٍ عن جواسيس قريش وعيونها، كما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بسر بن سفيان[٤] إلى مكة فسمع رأيهم فعاد وأخبره بما رأى وسمع[٥].

إن ما تقدم يشير إلى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يدور حوله، ومن منطلق حيوية الاستطلاع وضرورته[٦]؛ يبرز هنا تكليفه مجموعة استطلاعية لرصد جواسيس قريش ومتابعتها

---

(١) المريسيع اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل من منطقة خزاعة – ياقوت، معجم، ج ٥، ص ١١٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٣، ٦٤.

(٣) الدغمي، التجسس، ص ٦٠.

(٤) بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي، أسلم سنة ٦ هـ، وبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم عينًا إلى قريش إلى مكة، وشهد الحديبية وهو المذكور في حديث الحديبية حتى إذا كنا بغدير الأشطاط لقيه عينه الخزاعي فأخبره خبر قريش وجموعهم. – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ١٦٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٦) محفوظ، الاستطلاع، ص ٢١.

خلال تحركه والمسلمين إلى مكة لأداء العمرة، ولقد أعطت المعلومات المرصودة حول تحركات قوات قريش وانتشار جواسيسها المجال واسعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأخذ الحيطة والحذر فقام بنشر سرية عباد بن بشر إزاء قوات خالد بن الوليد لتحقيق حالة الردع ومنع أي اعتداء من قبلها، بالإضافة إلى تجمع المسلمين بعيدًا عن جواسيس قريش.

الحجاج بن علاط واختراق مكة

طلب الحجاج بن علاط[١] رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له بالذهاب إلى مكة ليحضر ماله من هناك، وأخذ الإذن منه أن يقول شيئًا، فلما وصل إلى مكة وجد قريشًا تترصد من يعلمها بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهود خيبر، فسألوه عن نتيجة معركة خيبر، ولم يكونوا يعلمون بإسلامه، فأخبرهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هُزم هزيمة نكراء، وقتل أصحابه قتلًا لم تسمعوا بمثله قط، وأَسروه صلى الله عليه وسلم، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى قريش فيقتلوه، ففرحت قريش وطلب منهم الحجاج بن علاط رضي الله عنه أن يساعدوه على جمع ماله ليشتري ما غنمته يهود خيبر من المسلمين، فجمعوا له ماله بسرعة كبيرة، فلما سمع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الخبر جاءه وسأله عن الخبر فأخبره بالحقيقة على أن يكتم الخبر حتى يغادر مكة[٢].

والظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى الضوء الأخضر للحجاج بقول ما يشاء في سبيل النجاح بمهمته الخاصة به والتي تحمل أيضًا بعدًا أمنيًا وتجسسيًا، ولقد حققت المهمة أهدافها، فعلى المستوى الشخصي استطاع الحجاج جمع ماله بمساعدة قريش وفي زمن قياسي، وقد عملت المعلومة التضليلية التي أبلغ بها الحجاج قريشَ عملها مما أفقدهم التركيز والتفكير لهولها وقوتها، ولم ينسَ الحجاج وهو يغادر مكة أن يُعْلِمَ العباس بالخبر الحقيقي ليدخل الفرحة عليه وعلى المسلمين.

---

(١) الحجاج بن علاط: بن خالد بن ثويرة، من خيار الصحابة، نزل حمص؛ وابنه نصر بن حجاج، الذي نفاه عمر رضي الله عنه عن المدينة لتغزل امرأة فيه، والمرأة هي فريعة أم الحجاج بن يوسف الأمير؛ وكانت زوجة للمغيرة بن شعبة. – ابن حزم، جمهرة، ج ١، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٣١٧، ٣١٨؛ النويري، نهاية، ج ١٧، ص ١٨٨.

الجواسيس وغزوة حنين

بالرغم من أن فتح مكة شكل دافعًا قويًا لكثير من القبائل لتعلن عن إسلامها؛ فلقد رفضت بعض القبائل الأخرى هذه النتيجة، ووصلت معلومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن حشد لقبيلة ثقيف وهوازن[١] لمحاربته، فبعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد[٢] وكلفه باختراق صفوفهم ورصد تحركاتهم ويأتيه بخبرهم، فعلم بنيتهم لحرب المسلمين وتحرك جيش المسلمين إلى وادي حنين[٣] وهبطوا إليه هبوطًا حادًا وكانت ثقيف وهوازن سبقوهم إلى الوادي وكمنوا في شعابه ومضايقه واستعدوا للمسلمين جيدًا، وشنوا هجومًا مفاجئًا على المسلمين مما تسبب بانهزام الناس جميعًا سوى قلة، فتدارك رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر، وأعاد ترتيب قواته، وبثباته استطاع أن يحَوّل الهزيمة إلى نصر ساحق في معركة حنين[٤].

يستنتج مما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يركن إلى نتائج فتح مكة، فاستمرت عيونه بالانتشار بين القبائل، وعملت على تزويده بأخبارها، وبلغ العمل الأمني ذروته من خلال توثيق المعلومات عن طريق بث العيون واختراق صفوف العدو، والتفاعل معهم للوقوف على طبيعة التحركات والمواقف، ليتسنى له وضع الخطط السليمة، وأخذ القرار الصحيح، ولعل ما حدث في حنين كان درسًا للمسلمين وذلك لعدم إرسالهم الطلائع[٥] الاستكشافية، والوقوف على طبيعة أرض المعركة.

---

(١) بطون هوازن بن منصور: منهم ثقيف وأسمه قَسيّ بن منبّه بن بكر ابن هوازن، من بطونهم بنو معتّب رهط عُروة بن مسعود، وبنو اليَسَار بن مالك بن حُطيط رهط عثمان والحكم ابنيْ أبي العاص، فهؤلاء من ثقيف بن منبّه بن بكر، وسعد بن بكر رُضَعاء الرسول صلى الله عليه وسلم. – المبرد، نسب، ج ١، ص ٥.

(٢) عبد الله بن أبي حدرد: واسمه سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساب بن الحارث بن عبس بن هوازن، ويكنى عبد الله أبا محمد، وأول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية ثم خيبر وما بعد ذلك من المشاهد، وتوفي سنة ٧١ هـ – ٦٩١م وهو يومئذ بن ٨١ سنة. – ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٣) حنين: واد قرب الطائف يبعد عن مكة بضعة عشر ميلًا. – البكري، معجم، ج ٢، ص ٤٧٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٥٠، ١٥١؛ الخزاعي، تخريج، ج ١، ص ٤٦٨.

(٥) الطلائع: تهدف إلى: الاستطلاع الدائم حتى لحظة دخول المعركة، وتأمين وصول المعلومات إلى القيادة، تغطية تحركات القوات وتأمينها، تحديد الخصم الذي يعتزم مهاجمته. – العسلي، المذهب، ص ٣١٢.

عمليات تجسس نوعية

التجسس ومعركة الأحزاب

حُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم الخندق بضع عشرة ليلة، حتى بلغت الشدة أوجها، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصالح غطفان على أن يعطيهم ثلث الثمرة ويخذلوا بين الناس وينصرفوا عنه، فأبت ذلك الأنصار(١)، وكان أتى نعيم بن مسعود(٢) رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمًا، ولم يعلم أحد بإسلامه، وأبدى استعدادًا للوقيعة بين المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا فإن الحرب خدعة، فعمل نعيم بن مسعود رضي الله عنه على الوقيعة بين الأحزاب وبين بني قريظة، ولقد كان مُصدقًا عند بني قريظة، فأوصل إليهم معلومة أن قريشًا وغطفان ليسوا من أهل المدينة وإن ضاقت عليهم الأمور عادوا إلى مواطنهم، وأنتم لكم الأموال والأولاد والمسكن داخل المدينة، وإن عادت قريش للمسلمين، واقترح عليهم أن يأخذوا مجموعة من أَشراف قريش وغطفان كرهن يفرض على الأحزاب البقاء في أرض المعركة، ثم ذهب نعيم بن مسعود رضي الله عنه إلى قريش وغطفان ليخبرهم أن بني قريظة قد ندمت على نقضها العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها تعهدت بإحضار مجموعة من قادة قريش وغطفان ليضرب أعناقهم، وطلب منهم كتمان الأمر، فأرسل أبو سفيان لبني قريظة بالاستعداد للحرب ضد المسلمين فلم يستجيبوا له بحجة يوم السبت فلا يقاتلون فيه وإنهم يريدون رهن مجموعة من قادتهم مقابل مشاركتهم في الحرب، فعندها أيقن أبو سفيان بعدم إمكانية خوض المعركة وأمرهم بالرحيل(٣).

وفي رواية أخرى: جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، ليخبره بأن بني قريظة قد غدرت وبايعت أبا سفيان وأصحابه، فقال له فلعلّنا نحن أمرناهم بهذا، وكان نعيم معروفًا بعدم مقدرته على حفظ الأسرار، فأخبر أبا سفيان بذلك، فقال أبو سفيان فو الله ما كذب، ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج نعيم من عنده: إن أمر بني قريظة أهون من أن يؤثر عنك شيء من أجل غدرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) نُعَيْم بن مَسْعُود: بن عامر بن أُنَيفِ بن ثَعلبة، الغَطَفَاني الأشجعي، أبو سلمة، أسلم في وقعة الخندق، ومات نُعَيم في زمن خلافة عثمان، وقيل: بل قتل يوم الجَمَل قبل قدوم عليّ البصرة. – اين الأثير، أسد، ج ٥، ص ٣٦٤.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٢١٦ – ٢١٨؛ الثعلبي، تفسير، ج ٨، ص ١٧، ١٨.

وسلم: إن الحرب خدعة، فكانت هذه الكلمات سببًا في تفريق جمعهم وتشتيت شملهم وهزيمتهم[١]، وذُكِرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل في أثر نعيم بن مسعود، فطلب منه ألا يذكر خبر خطته مع بني قريظة لأحد، فجاء غطفان فأخبرهم بذلك، فأعلمت غطفان أبا سفيان، فقال لهم: إنما أنتم في مكر وخديعة بني قريظة، فلما حاول أبو سفيان طلب الرهن من بني قريظة ليتأكدوا من صدقها معهم، رفضت ذلك بحجة ليلة السبت، فأمر أبو سفيان الأحزاب بالرحيل عن المدينة[٢].

شكل حصار الأحزاب للمدينة المنورة تحديًا أمنيًا كبيرًا للمسلمين مع نقض بني قريظة للعهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرض ذلك على المسلمين اليقظة التامة والانتباه لكل ما يدور حولهم والحذر منه، واستعانوا بحرب التجسس ليوقعوا بين الأحزاب من جهة وبين بني قريظة من جهة أخرى.

ويتضح من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروايتين مدى اهتمامه بإدارة عملية التجسس المعقدة، فاستطاع أن يستفيد من عدم وجود ثقة بين الأطراف ليدير عملية التخذيل ببراعة[٣]، للعمل على الوقيعة بين الأحزاب وبين بني قريظة، ولقطع حبل الموادعة فيما بينهم، ولقد جاء طلبه لنعيم بن مسعود ليشكل بداية معركة تجسسية أمنية، ذات حرفية عالية، تجلت بها حرب العقول والأدمغة لا حرب السلاح والقتال[٤]، فيتمكن من خلالها إحباط حالة الاندفاع لدى الأحزاب لحرب المسلمين، فاختلفت الأحزاب وتزعزعت الثقة فيما بينهم[٥].

ولم تقف الحرب التجسسية على عملية تخذيل نعيم بن مسعود بين الأحزاب وبين بني قريظة؛ بل اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتابعة ما يدور داخل معسكراتهم، فأرسل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بمهمة أمنية تجسسية لاستطلاع أخبار قريش، فقال حذيفة: " لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب، ... فقال: اذهب فائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ، فلما ولَّيت

---

(١) الشيباني، السير، ج ١، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤١٥؛ الصنعاني، تفسير، ج ١، ص ٨٤، ٨٥؛ عبد الرازق، مصنف، ج ٥، ص ٣٦٨، ٣٦٩.

(٣) السيد، يهود، ص ١١٤.

(٤) زهر الدين، موسوعة، ج ١، ص ٩.

(٥) عرموش، قيادة، ص ٨٣؛ الغزالي، فقه، ص ٢٣٦؛ بودلي، الرسول، ٢٥٣.

من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يَصلِي[١] ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تذعرهم عليَّ، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت[٢] فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت، قال: قم يا نومان"[٣].

وفي رواية أخرى، ذكر حذيفة: "فذهبت فدخلت في القوم وجنود الله تفعل ما تفعل لا تَقَرُّ لهم قدر ولا نار ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، فقال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي لي جنبي، فقلت من أنت، قال أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع[٤] وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل[٥]... قال حذيفة ثم رجعت إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط[٦] لبعض نسائه مرجل[٧] ... فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا[٨] إلى بلادهم"[٩].

---

(١) يَصلِي: صلي بالنار وصليها صليًا وصليا وصلى وصلاء واصطلى بها وتصلاه: قاسى حرها. – ابن منظور، لسان، ج ١٤، ص ٤٦٧.

(٢) فرغت قررت، أي لما سكنت وجدت مس البرد. – ابن منظور، لسان، ج ٥، ص ٨٣.

(٣) مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤١٤؛ أبو عوانة، مسند، ج ٤، ص ٣١٩؛ ابن حبان، صحيح، ج ١٦، ٦٧.

(٤) الكراع: بالضم في البقر والغنم كالوظيف في الفرس والبعير. – الرازي، مختار، ج ١، ص ٢٣٦.

(٥) مرتحل البعير: موضع رحله، وارتحل فلان فلانًا إذا علا ظهره وركبه، ويقال رحلت البعير أرحله رحلا إذا علوته، ولكن أمر المرء ما ارتحلا أي يرتحل الأمر يركبه. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٢٧٦.

(٦) المرط نتفك الشعر والريش والصوف عن الجسد، تقول مرطت شعره فانمرط، والأمرط من لا شعر على جسده إلا قليل، فإن ذهب كله فهو أملط، والمريطاء ما بين الصدر إلى العانة. – الفراهيدي، العين، ج ٧، ص ٤٢٦.

(٧) المراجل ضرب من برود اليمن، يروى بالجيم والحاء، فالجيم معناه أن عليها نقوشا تمثال الرجال، والحاء معناه أن عليها صور الرحال، والممرجل ضرب من ثياب الوشي. – ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ٦٢٢.

(٨) انشمروا: الشمر الاختيال في المشي، وشمر إزاره تشميرًا رفعه، يقال شمر عن ساقه وشمر في أمره أي خف، وانشمر للأمر أي تهيأ والتشمير الإرسال. – الرازي، مختار، ج ١، ص ١٤٥. .

(٩) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٢١٩، ٢٢٠؛ ابن حنبل، مسند، ج ٥، ص ٣٩٢.

يظهر مما تقدم اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم لإرسال العيون لمعرفة أخبار قريش، ويأتي هذا ضمن التجسس التكتيكي، ولقد كان تكليفه لحذيفة واضحًا بالاطلاع على أحوال قريش وإعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، لأن الخطة العسكرية الناجحة لا بد أن تبنى على أسس من المعلومات الواضحة السليمة عن العدو[(١)]، كما يبدو التزامه بتعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم الاجتهاد بالرغم من مقدرته على اغتيال قائد قوات الأحزاب أبي سفيان.

ويلاحظ أثر العمل الأمني في فكر المسلمين وترسيخه كثقافة أمنية، فنلمس مؤهلات الجاسوس التي تمتع بها حذيفة من خلال الجرأة وضبط النفس[(٢)]، بالإضافة إلى سرعة البديهة لدى حذيفة بن اليمان والمبادرة السريعة من قِبَلِه بسؤال من يجلس بجواره من أنت؟ وهنا قطع الطريق على من بجواره أن يسأله من أنت، مما يترتب على ذلك انكشاف أمره وفشل المهمة.

التجسس ومتطلبات صلح الحديبية

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنجاز اتفاقية الهدنة مع قريش، فعقدها معها يوم صلح الحديبية، وكان من بين بنودها: لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا... إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو[(٣)] يَرْسُفُ[(٤)] في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نَقْضِ الكتاب بعد، قال: فو الله إذًا لم أصالحك على شيء أبدًا... قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُردُ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ألا ترون ما قد لقيتُ، وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله[(٥)].

---

(١) خطاب، العسكرية، ص ٧.

(٢) الجزائري، المخابرات، ج ١، ص ١٥.

(٣) أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أسلم قديما بمكة فحبسه أبوه ومنعه الهجرة، ثم أفلت بعد الحديبية فخرج إلى أبي بصير بالعيص، فقدم أبو جندل إلى المدينة، وشارك في الغزوات بعدها، وخرج إلى الشام حتى مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ. – ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٠٥.

(٤) يَرْسُفُ في القيد: هو المشي في القيد رويدًا. – ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ١١٨.

(٥) ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٣٠؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٧؛ ابن المنذر، الأوسط، ج ١١، ص ٢٩٨؛ ابن حبان، صحيح، ج ١١، ص ٢٢٣، ٢٢٤؛ الطبراني، المعجم، ج ٢٠، ص ١٣، ١٤.

يتضح مما سبق إصرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الالتزام على ما تم الاتفاق عليه مع قريش خلال صلح الحديبية، ويمكن القول إن هذا التحول من حالة الحرب إلى حالة الهدنة؛ استوجب على العاملين في المجال الأمني الانتباه إلى هذا التحول والعمل على التقيد بشروط الصلح حتى لو تطلب الأمر مجافاة عواطفهم وتسليم إخوانهم في الإيمان لقريش لتستمر في تعذيبهم، لكنه ثمن قليل يتم دفعه لتحقيق أرباح بصورة أكبر.

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية إلى المدينة، "فجاءه أبو بصير[١] رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الْحُلَيْفَةِ، فنزلوا يأكلون من تَمْر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني انظر إليه فَأَمْكَنَهُ منه فضربه حتى برَدَ[٢] وفر الآخر، حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هذا ذُعْرًا، فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال قُتِلَ والله صاحبي وإني لَمَقْتُولٌ، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله قد والله أَوْفَى الله ذِمَّتَكَ، والله قد رَدَدْتَنِي إليهم ثم أنجاني الله منهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَر[٣] حَرْبٍ لو كان له أحد، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال وَيَنْفَلِتُ منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فو الله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لما أُرسل فمن أتاه فهو آمن، فَأَرْسَلَ النبي صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ[٤].

كما ذكر الواقدي إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى المسلمين المستضعفين في مكة يحرضهم على اللحاق بأبي بصير، فجعلوا يتسللون إليه بالساحل على طريق قوافل قريش، فاجتمع

---

(١) أبو بَصير: عُتبةُ بن أسِيد بن جارية، الثقفي، حليفُ بني زهرة من قريش، ومات أبو بصير بالعيص، فدفن مكانه، وبنى على قبره مسجدًا. – البري، الجوهرة، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) برد: مات، عدم حرارة الروح، فضربه بالسيف حتى برد أي مات. – ابن منظور، لسان، ج ٣، ص ٨٥.

(٣) مُسعر: مسعر الحرب موقدها، يقال رجل مسعر حرب إذا كان يؤرثها. – ابن منظور، لسان، ج ٤، ص ٣٦٥.

(٤) ابن حنبل، مسند، ج ٤، ص ٣٣٠؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٩٧٩. واللفظ للبخاري.

عند أبي بصير حوالي سبعين رجلًا، فضيقوا على قريش، يقتلون كل من يعترضهم من قريش، ولا يدعون قافلة حتى يستولوا عليها، حتى ضاقت الأمور على قريش[١].

ويبدو أن تحول المعركة الأمنية تتطلب من القائمين عليها البحث عن مخارج أخرى، وطرق مغايرة للعمل الأمني ليوازنوا بين التقيد ببنود صلح الحديبية وبين حماية مسلمي مكة وإيجاد مخرج لهم، ولقد استوعب أبو بصير هذا التحول، فكان جوابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانك التزمت بما تعهدت به مع قريش، وكأنه يريد أن يقول إن هذا الصلح يُلزم أهل مكة وأهل المدينة، فلما خرج أبو بصير من المدينة كأنه تحلل من الالتزام بما يُلزم أهل المدينة خاصة صلح الحديبية، ولم يطالبه أحد بالمحاسبة على قتل القرشي ولا برد سلبه[٢]، وعمل على تشكيل حالة أمنية ذات بعد تجسسي وفعل عسكري للتعرض لقريش وقوافلها.

كما يُلاحظ مدى استيعاب المسلمين من أهل المدينة لهذه التحولات في العمل الأمني والتغير في الاهتمامات التجسسية، فلقد أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالة إلى المسلمين المستضعفين يخبرهم بها حول هذه التغيرات، ويعلمهم بخبر أبي بصير ومكان وجوده ليحثهم على اللحاق به، وانتقلت الحرب التجسسية بين المسلمين الهاربين من أذى قريش وبين قريش إلى حرب عصابات؛ عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعيد على توجيهها بحكمة، وقادها أبو بصير وأبو جندل بحنكة أمنية وعسكرية، ليشكلوا نموذجًا تجسسيًا وازن بين كل المتطلبات، وليفرض هذا النموذج على قريش الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم لإلغاء أحد بنود الصلح وأشدها جورًا بحق المسلمين، ولقد اثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه محنك أريب كما هو سياسي وقائد[٣].

التجسس وفتح مكة

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحدًا، وأمن الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: "اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة:

---

(١) المغازي، ج ٢، ص ١٠٨.
(٢) ابن بطال، شرح، ج ٥، ص٣٥٠.
(٣) بودلي، الرسول، ٣١١.

عكرمة بن أبي جهل[١] وعبد الله بن خطل[٢] ومقيس بن صبابة[٣] وعبد الله بن سعد بن أبي السرح[٤] فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث[٥] وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارًا وكان أشب الرجلين فقتله، وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك علي عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا صلى الله عليه وسلم حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما فجاء فأسلم، وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله بايع عبد الله، قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله، فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلا أومأت إلينا بعينك، قال: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين"[٦].

---

(١) عكرمة بن أبي جهل واسم أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، المخزومي، القرشي، قتل يوم أجنادين في عهد عمر، وقد قيل إن عكرمة بن أبى جهل قتل يوم اليرموك ١٥ هـ - ٦٣٦م في خلافة أبى بكر ولا عقب له وأمه أم خالد بنت مجالد الهلالية وهو ابن ٦٢ سنة. - ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٣١٠.

(٢) عبد الله ابن خطل: الكبيري وهو من ولد كبير بن تيم الأدرم بن غالب من ولده هلال بن عبد الله المعروف بابن خطل المقتول يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة. - السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٢٩.

(٣) مقيس بن صبابة: بن عبيد بن عبد بن كليب بن ليث بن بكر بن كنانة، قتل أخاه رجل فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية ثم غدر بقاتل أخيه فقتله. ابن بشكوال، غوامض، ج ١٢، ص ٧٦٠.

(٤) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، أسلم قديمًا، وخرج من المدينة إلى مكة مرتدًا، فأُهدر دمه يوم الفتح، فجاء عثمان بن عفان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فاستأمن له فآمنه وكان أخاه من الرضاعة، ولاه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص فنزلها وابتنى بها دارا فلم يزل واليا بها حتى قتل عثمان رحمه الله. - ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٩٦.

(٥) سعيد بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، المخزومي، أمه عاتكة بنت هشام بن حذيم ابن سعد بن ذباب بن سهم، قتل عبد الله بن خطل يوم الفتح وشاركه في قتله أبو برزة الأسلمي، توفي بالكوفة وبها قبر. - أبو نعيم، معرفة، ج ٣، ص ١٢٩٥.

(٦) النسائي، سنن، ج ٢، ص ٣٠٢؛ الطحاوي، شرح، ج ١١، ص ٤٠٩، ٤١٠؛ البيهقي، سنن، ج ٨، ص ٢٠٥؛ الضياء، الأحاديث، ج ٣، ص ٢٥٠، ٢٥١. واللفظ للنسائي.

كما ذُكر أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه"[١]، وفي رواية أخرى قيل: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة أربعة لا أومنهم في حل ولا حرم الحويرث بن نقيد[٢] ومقيس بن صبابة وهلال بن خطل وعبد الله بن أبي سرح، فأما حويرث فقتله علي رضي الله عنه، وأما مقيس فقتله ابن عم له، وأما هلال فقتله الزبير، وأما ابن أبي سرح فاستأمن له عثمان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاعة، وقينتان كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقتلت إحداهما وأفلتت الاخرى فأسلمت"[٣].

يتضح مما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرغم من قرار العفو عن أهل مكة، وإعطائهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، إلا أن هذا القرار لم يشمل مجموعة من المشركين القتلة والمجرمين، ولقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أوامره للمسلمين بملاحقتهم وقتلهم حتى لو دخلوا الكعبة، وقد عوقب عدد قليل جدًا لأخطائهم السابقة، ولم يقتل سوى أربعة[٤]، ويمكن القول أن ملاحقة هؤلاء المجرمين القتلة جاء ليشكل حالة ردع لكل المجرمين في كل زمان ويوصل لهم رسالة؛ لهم أنهم ليسوا بمنأى عن الحساب والمعاقبة مهما طال الزمن و تغيرات الأحداث.

يستنتج من كل ما تقدم حجم شراسة الحرب التجسسية بين دولة الإسلام وبين أعدائها، ونلمس الإدارة الأمنية لهذه الحرب من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع تنوع أساليبه التجسسية وتراوحها بين بث العيون ونشر الجواسيس ووصلت حدًا بلغ إرسال فرق الاغتيال لكل من يتعرض للمسلمين بالأذى ويشكل عليهم خطرًا وتهديدًا عليهم، وشملت الحرب التجسسية كل أعداء دولة الإسلام من قريش والقبائل العربية إلى المنافقين واليهود، وصولًا إلى القبائل العربية على تخوم الشام الجنوبية، مما ساعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحقيق النجاحات الكبيرة على المستوى الاستراتيجي بالرغم من بعض الخسائر المحتملة والتي تعد ضريبة العمل الأمني وثمن النجاح الباهر.

---

(١) ابن حنبل، مسند، ج ٣، ص ٢٣١؛ البخاري، الجامع، ج ٢، ص ٦٥٥؛ مسلم، صحيح، ج ٢، ص ٩٨٩؛ أبو داود، سنن، ج ٣، ص ٦٠؛ الترمذي، سنن، ج ٤، ص ٢٠٢؛ ابن المنذر، الأوسط، ج ١١، ص ٢٢٤.

(٢) الحُوَيْرِث بن نقيد، بن عبد بن قصي بن كلاب، وقتل يوم فتح مكة قتله علي. – ابن الأثير، أسد، ج ١، ص٣٩٦، ٣٩٧.

(٣) ابن قانع، معجم، ج ١، ص ٢٦٢؛ الطبراني، المعجم، ج ٦، ص ٦٦.

(٤) بودلي، الرسول، ص٣٥٧.

الخاتمـة

ظهرت من خلال هذه الدراسة مجموعة من النتائج على النحو التالي:

- ❖ شكلت المعلومات أهمية قصوى خلال عملية الاستيعاب، فكان الانتقاء الشخصي مستندًا على هذه المعلومات، فسهلت الطريق نحو إسلام الكثير من الناس، وساعدت على تحصين الدائرة التنظيمية للمسلمين من الاختراقات الأمنية، وتوفير الحماية لهم من الاستهدافات الأمنية.
- ❖ طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض من أسلم بكتم إسلامهم والعودة إلى قبائلهم، لتوفير الحماية لهم مبدئيًا، بالإضافة إلى امكانية الاستعانة بهم كعيون متقدمة للمسلمين.
- ❖ شكلت الهجرة إلى الحبشة مرحلة انتقالية للمسلمين، حيث استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم المحافظة على المسلمين، وتجنيبهم الأذى، من خلال الانتقال بهم إلى بيئة أكثر أمنًا، وساعدهم على تشكيل مجتمعٍ مسلمٍ بصورة ما.
- ❖ في نهاية الفترة المكية تعمقت مفاهيم الأمن عند المسلمين، وتحققت سلوكًا أمنيًا على الأرض، وحقق هذا التعمق؛ نقلة نوعية بالعمل الأمني، وانتقاله للمبادرة والتعرف على أخبار قريش.
- ❖ استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرايا لجمع المعلومات الأمنية عن قريش، ولقد جاءت تحركات هذه السرايا أيضًا بناء على توفر معلومات أمنية لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ❖ شكلت المفاوضات وإرسال الرسائل للملوك قفزة نوعية في العمل الأمني لينتقل بالدعوة إلى العالمية، ولقد كان للمعلومات الأمنية الدور الكبير في تحقيق هذه النجاحات.
- ❖ لقد حققَ العملُ الأمني وتوفرُ المعلوماتِ الأمنيةِ نجاحاتٍ كبيرةٍ وحسمَ كثيرٍ من المعارك، ليشكلَ العملُ الأمني مع الجهدِ العسكري على الأرض نموذجًا رائعًا من التعاونِ والتنسيقِ وصولًا لفتح شبه الجزيرة العربية.
- ❖ خلال فتح مكة اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على السرية، وقطع عن قريش المعلومات ورصد الطرق ولاحق العيون، وعزل المدينة عن محيطها الداخلي والخارجي، ليُسقِطَ قريشًا ويفرض عليها الاستسلام دون مقاومة حقنًا للدماء وقطفًا لثمار العمل الأمني والوصول إلى اللحظة التاريخية بتحقيق النصر الكاسح على قريش ومن عاونها.

❖ عملت كل من قريش واليهود والمنافقين على الاستهداف النفسي لرسول الله صلى الله عليه وسلم في محاولة منهم لزعزعة ثقته صلى الله عليه وسلم بنفسه والمس بثقة المسلمين بشخصه الكريم.

❖ شكلت الحرب النفسية سلاحًا مهمًا طوال مراحل الصراع بين دولة الإسلام وبين أعدائها، ولعلها كانت من أخطر أسلحة هذا الصراع الطويل، بل وحسمت كثيرًا من المعارك وجنبت المسلمين الصدام العسكري أحيانًا.

❖ قام المنافقون بتحريض الأنصار على التمرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدم الإنفاق لتجفيف المنابع، وإثارة النعرات العنصرية والطبقية لإخراجه والمهاجرين من المدينة.

❖ تعمق الفهم الأمني عند المسلمين متحولًا إلى حالة من الفكر الأمني متجذرًا في سلوكهم ليصل إلى حالة الثقافة الأمنية ليحبط كثيرًا من المؤامرات التي استهدفت دول الإسلام.

❖ حاول مثلث الحقد الأسود (قريش والمنافقين واليهود) من المس بالجبهة الداخلية، وتمزيق نسيج العلاقة الأخوية بين المسلمين، ولقد أثبت المسلمون ترابطًا قويًا ردّوا به كل هذه المحاولات إلى نحور أعدائهم.

❖ أخضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض شعراء المسلمين للاختبارات العملية لترشيحهم بتصدر الحرب النفسية ضد المشركين، والتي استندت على أسس من اتقان الشعر والمعرفة بأنساب قريش والقبائل العربية.

❖ اهتم المسلمون في الحفاظ على حياة القيادة، واستخدموا كل الاحتياطات الأمنية التي تحقق ذلك.

❖ تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكبر محاولة اغتيال يوم أُحد، ولقد أفشلها بثباته، وإدارته لفريق الحماية من حوله بحنكة ونجاح، بالإضافة إلى استشعار كل مسلم بأنه مسئول عن أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❖ وازن المسلمون بين توفير الأمن والحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين تمكينه من دعوة الناس إلى الإسلام بحرية ودون إعاقة.

❖ اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بترتيب الأمن والحماية لمقراته واجتماعاته، وأوجد بيوتًا آمنة استطاع من خلالها تأدية دوره الدعوي والجهادي، وعمل على تهيئة الظروف الأمنية الآمنة المحيطة باجتماعاته.

- ❖ لقد تجذرت التحركات الأمنية في نفوس المسلمين، وشكلت توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة السرايا وللمجاهدين دليلًا لتحركاتهم الأمنية، لتساعد على حسم المعارك وتحقيق الانتصارات.
- ❖ لقد تسبب التحركُ الأمنيُ المفاجئُ والخاطفُ لجيش أسامة بن زيد إرباكًا داخل مؤسسة الحكم في دولةِ الروم، مما ترتب عليه إحباط نوايا هرقل العدوانية تجاه المسلمين.
- ❖ حددت التهديداتِ الأمنيةِ على دولةِ الإسلام سواءً أكانت داخليةً أو خارجيةً؛ خارطة العمل الأمني لدولة الإسلام ومعالمَ خطةِ التجسسِ الخاصةِ.
- ❖ برز على السطح؛ شراسة الحرب التجسسية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، ولقد اتصفت البيئة التي يعمل بها المسلمون بالعداء لهم، ويبدو واضحًا مدى التعاون الأمني وتبادل المعلومات بين اليهود والمنافقين وقريش والقبائل العربية.
- ❖ تمتعت فرق الاغتيال الخاصة بالمسلمين بالحرفية العالية، واتصفت بالمهارة والدراية بمتطلبات مهمات الاغتيال ليحققوا نجاحًا باهرًا في غالبية مهماتهم.
- ❖ بالرغم من قرار العفو يوم فتح مكة؛ فقد صدرت الأوامر بملاحقة مجموعةً من المشركين القتلةِ والمجرمين، وكانت التعليماتُ بملاحقتهم وقتلهم حتى لو تعلقوا بأستارِ الكعبة.

التوصيات

توصل الباحث من خلال دراسته لعدد من التوصيات، أهمها:

- ❖ نوصي بالاهتمام بالإرث النبوي الأمني خاصة والإسلامي عامة والذي يذُخر بالمفاهيم والأحداث الأمنية المهمة، والتي تشكل مرتكزًا متينًا يمكن البناء عليه نحو منظومة أمنية تكون رديفة لمشروع النهوض الإسلامي المعاصر.
- ❖ على جهات الاختصاص في قطاع غزة إعطاء الأولوية للنهوض بالمفاهيم الأمنية صعودًا نحو الفكر الأمني لنصل لترسيخ الثقافة الأمنية بين الناس، ليتمكنوا من الوقوف أمام حالات الاستهداف من قبل الجهات المعادية.
- ❖ من أجل الارتقاء بالفكر الأمني يتطلب من جهات الاختصاص وخاصة حركة المقاومة الإسلامية حماس انشاء مركز دراسات بحثية في الشئون الأمنية والاستراتيجية.
- ❖ نوصي رئاسة الجامعة الإسلامية بعملها على تطوير مكتبة الجامعة الإسلامية بصورة عامة، مع إعطاء الأولوية لقسم الدراسات الأمنية ورفده بمجموعة من الموسوعات والمراجع الأمنية.

المصادر والمراجع

القـــــرآن الكريـــم

أولا: المصادر

ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم، ت ٦٣٠هـ:

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٨ ج، ق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

٢. الكامل في التاريخ، ٨ج، تع سيد بن محمد السناري، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م.

ابن الأثير أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ت ٦٠٦ هـ:

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ ج، ق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، ت ٣٦٠ هـ:

٤. الشريعة، ٥ ج، ق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٩٩٩م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، ت ٢٥٠ هـ:

٥. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢ج، ق عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي، ط ١، ٢٠٠٣م.

الأزهري، بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت ٣٧٠ هـ:

٦. تهذيب اللغة، ٨ ج، ق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، ت ١٥١هـ:

٧. سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، ٥ج، ق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

إسماعيل الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الملقب بقوام السنة، ت ٥٣٥ هـ:

٨. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ٢ ج، ق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٩٩٩م.

ابن البخاري، جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري الحنفي، ت ٦٩٦ هـ:

٩. مشيخة ابن البخاري، ١٤ ج، ق عوض عتقي سعد الحازمي، دار عالم الفؤاد، مكة، ط ١، ١٩٩٨م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت ٢٥٦:

١٠. التاريخ الصغير (الأوسط)، ق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب، القاهرة، ط ١، ١٩٧٧م.

١١. التاريخ الكبير، ٨ ج، ق السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

١٢. الجامع الصحيح المختصر، ٦ ج، ق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧.

بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى، ت ٨٥٥ هـ:

١٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٥ – ١٢ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

برهان الدين البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر، ت ٨٥٥:

١٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢ ج، ق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

البزار أبو بكر، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت ٢٩٢ هـ:

١٥. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، ١٨ ج، ق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ط ١، ١٩٨٨م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري الأندلسي، ت ٥٧٨ هـ:

١٦. غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة، ٢ ج، ق عز الدين علي السيد، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.

البغوي أبو محمد، محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، ت ٥١٦ هـ:

١٧. تفسير البغوي، ٨ ج، ق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

١٨. شرح السنة، ق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.

أبو بكر الخَلَّال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الحنبلي، ت ٣١١ هـ:

١٩. السنة، ٧ ج، ق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٨٩م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ:

٢٠. أنساب الأشراف، ٨ج، ق محمد محمد تامر، دار الكتب العملية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، ت ٤٥٨هـ:

٢١. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ٧ ج، ق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار البيان للتراث، بيروت، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.

٢٢. سنن البيهقي الكبرى، ق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤.

٢٣. شعب الإيمان، ٧ ج، ق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م.

٢٤. معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، ق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، ت ٢٧٩:

٢٥. الجامع الصحيح سنن الترمذي، ق أحمد محمد شاكر وآخرون، ادار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، ت ٧٢٨ هـ:

٢٦. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ق علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.

٢٧. الصارم المسلول على شاتم الرسول، ق محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

٢٨. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط ٢.

٢٩. منهاج السنة النبوية، ٩ ج، ق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٩٨٥م.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت ٤٢٧ هـ:

٣٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، ١٠ ج، ق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.

ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري، ت ٣٠٧هـ:

٣١. المنتقى من السنن المسندة، ق عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، ت ٣٧٠ هـ:

٣٢. أحكام القرآن، ق محمد الصادق قمحاوي، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن جماعة عز الدين، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الأصل الدمشقيّ المولد المصري، ت ٧٦٧ هـ:

٣٣. المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ق سامي مكي العاني، دار البشير، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٣م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت ٥٩٧هـ:

٣٤. تلقيح فهوم أهل الاثر في عيون التاريخ والسير، مكتبة الآداب، القاهرة.

٣٥. تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، ق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٨م.
٣٦. صفة الصفوة، ٢ ج، ق محمود فاخوري، محمد رواسي قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م.
٣٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٤ ج، ق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٩٩٧م.
٣٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٩ج، ق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
٣٩. الوفا بأحوال المصطفى، ق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

ابن ابي حاتم، ابي محمد عبد الرحمن محمد بن ادريس التميمي الحنظلي الرازي، ت ٣٢٧هـ:

٤٠. تفسير القرآن، ١٠ج، ق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٧.
٤١. الجرح والتعديل، ١٠ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٢م.

الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني زين الدين، ت ٥٨٤ هـ:

٤٢. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٩٤م.

الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥ هـ:

٤٣. المستدرك على الصحيحين، ق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت ٣٥٤ هـ:

٤٤. الثقات، ٩ ج، ق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.
٤٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، بيروت، ١٩٩٣ م.
٤٦. مشاهير علماء الأمصار، ق فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩.

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي، ت ٢٤٥هـ.

٤٧. المحبر، ق ايلزه لختن شتيتر، دار الافاق الجديدة، بيروت.

ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب أبو محمد بدر الدين الحلبي، ت ٧٧٩هـ:

٤٨. المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ق مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م.

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، ت ٨٥٢هـ:

٤٩. الإصابة في تمييز الصحابة، ٩ج، ق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٥م.

٥٠. تغليق التعليق على صحيح البخاري، ق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، –الأردن، ط ١، ١٩٨٥م.

٥١. تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

٥٢. العجاب في بيان الأسباب، ٢ ج، ق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٩٩٧م.

٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣ ج، ق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

ابن ابي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد المدائني، ت ٦٥٥ هـ:

٥٤. شرح نهج البلاغة، ق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

ابن حزم الاندلسي، الامام ابي محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت ٤٥٦هـ:

٥٥. جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٣ م.

٥٦. جوامع السيرة النبوية، ق عبد الكريم الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

٥٧. المحلى، ق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الحموي ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ت ٦٢٦هـ:

٥٨. معجم البلدان، ٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

الحَمِيدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي أبو عبد الله بن أبي نصر، ت ٤٨٨ هـ:

٥٩. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ق زبيدة محمد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥.

٦٠. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ٤ ج، ق علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١:

٦١. فضائل الصحابة، ٢ج، ق وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.

٦٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، ت ٧٤٥ هـ:

٦٣. تفسير البحر المحيط، ٨ ج، ق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

ابن خلكان، ابي العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم، بن أبي بكر، ت ٦٨١هـ:

٦٤. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ٦ج، ق يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ت ٧٤١ هـ:

٦٥. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ت ٣١١ هـ:

٦٦. صحيح ابن خزيمة، ٤ ج، ق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ت ٤٦٣هـ:

٦٧. تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن، ت ٨٠٨هـ:

٦٨. تاريخ ابن خلدون – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٨ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت ١٩٠ هـ:

٦٩. كتاب العين، ٨ ج، ق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

ابن خياط، خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، ت ٢٤٠.

٧٠. تاريخ خليفة بن خياط، اسم المؤلف: ق أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.

٧١. الطبقات، ق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٩٨٢م.

ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير بن حرب، ت ٢٧٩ هـ:

٧٢. أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة، ق إسماعيل حسن حسين، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٧م.

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، ت ٣٨٥هـ:

٧٣. سنن الدارقطني، ق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م.

٧٤. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، ١٥ ج، ق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٨٥م.

الداقوقي، ابراهيم محمد خضر:

٧٥. دور الاعلام في ترويج ومكافحة الشائعات، ج ٨، مختصر الدراسات الأمنية للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ٩ ج، عماد الدين سلطان، محمد علي حيدر، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني، ت ٢٧٥ هـ:

٧٦. سنن ابو داود، ٤ ج، ق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

الدَّوْرَقي، أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم العبدي، ت ٢٤٦ هـ:

٧٧. مسند سعد بن أبي وقاص، ق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.

الدولابي، الإمام الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد، ت ٣١٠ هـ:

٧٨. الذرية الطاهرة النبوية، ق سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، ط ١، ١٩٨٦م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ:

٧٩. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ٥٣ج، ق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م.

٨٠. سير أعلام النبلاء، ١٧ج، ق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠م.

٨١. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ق محب الدين الخطيب.

الرازي زين الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، ت ٦٦٦هـ:

٨٢. مختار الصحاح، ق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥م.

الرافعي عبد الكريم، بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم القزويني، ت ٦٢٣ هـ:

٨٣. التدوين في أخبار قزوين، ق عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، ت ٢٣٨ هـ:

٨٤. مسند إسحاق بن راهويه، ق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩١م.

أبو الربيع الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري، ت ٦٣٤هـ:

٨٥. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء،٤ ج، ق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

الرُّوياني، أبو بكر محمد بن هارون، ت ٣٠٧ هـ:

٨٦. مسند الروياني، ٢ ج، ق أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م.

الزبيدي المرتضى، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، ت ١٢٠٥ هـ:

٨٧. تاج العروس من جواهر القاموس، ق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزبير بن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، ت ٢٥٦ هـ:

٨٨. جمهرة نسب قريش وأخبارها، ق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ١٩٦١م.

٨٩. المنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ق سكينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٢ م.

الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، ت ٢٣٦ هـ:

٩٠. نسب قريش، ق ليفي بروفسال، دار المعارف، القاهرة.

الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله، ت ٧٥١ هـ:

٩١. زاد المعاد في هدي خير العباد، ق شعيب الأرناؤوط –عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط ١٤، ١٩٨٦.

٩٢. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت ٥٣٨ هـ:

٩٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الزيلعي جمال الدين، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد، ت ٧٦٢ هـ:

٩٤. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ٤ ج، ق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٣م.

٩٥. نصب الراية لأحاديث الهداية، ق محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، ١٩٣٨.

السخاوي، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢ هـ:

٩٦. البلدانيات، ق حسام بن محمد القطان، دار العطاء، الرياض، السعودية، ط ١، ٢٠٠١م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي، ت ٢٣٠هـ:

٩٧. الطبقات الكبرى، ٨ ج، ق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ت ٢٤٤هـ:

٩٨. إصلاح المنطق، ق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام، دار المعارف، القاهرة، ط ٤.

السمعاني عبد الكريم، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت ٥٦٢ هـ:

٩٩. الأنساب، ق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

ابن سمعون، أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي، ت ٣٨٧ هـ:

١٠٠. أمالي ابن سمعون، ق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، ت ٥٨١ هـ:

١٠١. الروض الآنف، ٧ ج.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الأندلسي، ت ٤٥٨ هـ:

١٠٢. المحكم والمحيط الأعظم، ١١ ج، ق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

١٠٣.	المخصص، ٥ ج، ق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ت ٩١١هـ:

١٠٤.	جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، ١٣ ج.

١٠٥.	الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، ٣ ج، ق محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٠٦.	الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

الشافعي، محمد بن إدريس، ت ٢٠٤هـ:

١٠٧.	الأم، ١١ ج، ق رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط ١، ٢٠٠١م.

ابن شبه، ابو زيد عمر النميري البصري، ت ٢٦٢هـ:

١٠٨.	تاريخ المدينة المنورة، ٤ج، ق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، ت ٢٣٥:

١٠٩.	الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ٧ ج، ق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٩٨٨م.

الصاحب ابن عباد، الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، ت ٣٨٥ هـ:

١١٠.	المحيط في اللغة، ١٠ ج، ق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، ت ٩٤٢هـ:

١١١.	سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٢ ج، ق مصطفى عبد الواحد واخرون، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية – لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٢٤هـ:

١١٢. الوافي بالوفيات، ٢٤ج، ق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.

الضياء المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي، ت ٦٤٣ هـ:

١١٣. الأحاديث المختارة، ق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٩م.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، ت ٣٦٠هـ:

١١٤. الأحاديث الطوال، ق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، ط ٢، ١٩٨٣م.

١١٥. مسند الشاميين، ق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

١١٦. المعجم الكبير، ق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، ط ٢، ١٩٨٣.

الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ:

١١٧. تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك، ٦ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٨م.

١١٨. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، ق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

١١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥.

١٢٠. المنتخب من ذيل المذيل.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، ت ٣٢١هـ:

١٢١. شرح مشكل الآثار، ١٦ ج، ق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

أبو داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري، ت ٢٠٤ هـ:

١٢٢. مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، ت ٧٧٥ هـ،

١٢٣. اللباب في علوم الكتاب، ق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

ابن ابي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ت ٢٨٧هـ:

١٢٤. الآحاد والمثاني، ٦ج، ق باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، ط الأولى، الرياض، السعودية، ١٩٩١م.

١٢٥. السنة، ق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ:

١٢٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

١٢٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ق مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٦٧م.

١٢٨. الدرر في اختصار المغازي والسير، ق شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.

عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَشّي، ت ٢٤٩هـ:

١٢٩. المنتخب من مسند عبد بن حميد، ق صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، ت ٣٢٨هـ:

١٣٠. العقد الفريد، ٩ج، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العملية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٩م.

عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت ٢١١ هـ:

١٣١. تفسير القرآن، ق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٨٩م.

١٣٢. المصنف، ١١ ج، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.

أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت ٤٨٧هـ:

١٣٣. المسالك والممالك، ٢ج، ق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.

١٣٤. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ ج، ق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، بن عبد الله الهروي البغدادي، ت ٢٢٤ هـ:

١٣٥. كتاب الأموال، ق خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

ابن عربشاه، أبو محمد أحمد بن محمد، ت ٨٥٤ هـ:

١٣٦. فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ق أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، ط ١، ٢٠٠١م.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي، ت ٥٤٣ هـ:

١٣٧. أحكام القرآن، ٤ ج، ق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ت ٥٧١هـ:

١٣٨. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، ٨٠ ج، ق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

علي بن محمد الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، ت ٧٨٩ هـ:

١٣٩. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، ق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٥م.

العليمي، مجير الدين الحنبلي، ت ٩٢٧هـ:

١٤٠. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ج، ق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ١٩٩٩م.

أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق الاسفرائني، ت ٣١٦ هـ:

١٤١. مسند أبي عوانة، ٥ ج، ق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، ت ٣٩٥هـ:

١٤٢. معجم مقاييس اللغة، ق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م.

الفاكهي، محمد بن اسحاق بن العباس، ت ٢٧٥ هـ:

١٤٣. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٦ج، ق عبد الملك دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، ت ٧٣٢ هـ:

١٤٤. المختصر في أخبار البشر، ٤ ج، المطبعة الحسينية المصرية، ط ١.

أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، ت ٣٥٦هـ:

١٤٥. الأغاني، ق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر.

الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، ت ٢٧٧هـ:

١٤٦. المعرفة والتاريخ، ٤ج، ق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت ٨١٧هـ:

١٤٧. القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٨. المغانم المطابة في معالم طابة، ق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط ١، ١٩٦٩م.

ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي، ت ٣٥١ هـ:

١٤٩. معجم الصحابة، ٣ ج، ق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٧م.

ابن قتيبة الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ:

١٥٠. المعارف، ق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

القرطبي شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، ت ٦٧١ هـ:

١٥١. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٥٢. الجامع لأحكام القرآن، ٢٢ج، دار الشعب، القاهرة.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي، ت ٧٥١هـ:

١٥٣. تلقيح فهوم أهل الاثر في عيون التاريخ والسير، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٥٤. فقه السيرة النبوية من زاد المعاد في هدي خير العباد، ق السيد الجميلي، دار الفكر العربي، ط الثانية، بيروت.

ابن كثير، ابو الفداء الحافظ الدمشقي، ت ٧٧٤هـ:

١٥٥. تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

١٥٦. السيرة النبوية لابن كثير، ق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٦م.

١٥٧. الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ق محمد الخطراوي، محي الدين مستو، مؤسسة علوم القران، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، ت ٢٠٤هـ:

١٥٨. نسب معد واليمن الكبير.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم، ت ٤١٨ هـ:

١٥٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ٩ ج، ق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، السعودية، ١٩٨١م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥ هـ:

١٦٠. سنن ابن ماجه، ٥ ج، ق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

ابن ماكولا، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر، ت ٤٥٧ هـ:

١٦١. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٧ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت ٤٥٠هـ:

١٦٢. أعلام النبوة، ق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

١٦٣. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ١٩ ج، ق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

١٦٤. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، ٦ ج، ق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهان فوري ثم المدني فالمكي، ت ٩٧٥ هـ:

١٦٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

أبو المحاسن الحسيني، شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الدمشقي الشافعي، ت ٧٦٥ هـ:

١٦٦. الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال، ق عبد المعطي أمين قلعجي، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.

محب الدين الطبري، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، ت ٦٩٤هـ:

١٦٧. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.

١٦٨. الرياض النضرة في مناقب العشرة، ق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

محمد البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِلمساني، ت ٦٤٥هـ:

١٦٩. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ٢ ج، ق محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٨٣ م.

محمد بن الحسن الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد، ت ١٨٩ هـ:

١٧٠. السير الكبير، ق صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات – القاهرة.

محمد بن داود بن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح، ت ٢٩٦ هـ:

١٧١. من اسمه عمرو من الشعراء، ق عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م.

محمد بن يزيد المبرد، بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي أبو العباس، ت ٢٨٦ هـ:

١٧٢. نسب عدنان وقحطان.

المزي جمال الدين، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي، ت ٧٤٢ هـ:

١٧٣. تهذيب الكمال، ٣٥ ج، ق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.

المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على، ت ٣٤٦ هـ:

١٧٤. التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣م.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت ٢٦١:

١٧٥. صحيح مسلم، ٥ ج، ق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ت ١٥٠هـ:

١٧٦. تفسير مقاتل بن سليمان، ق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

المقدسي عبد الغني، ابن عبد الواحد بن علي بن سرور الجماعيلي الدمشقي الحنبلي أبو محمد تقي الدين، ت ٦٠٠ هـ:

١٧٧. جزء أحاديث الشعر، ق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية عمان، الأردن، ط ١، ١٩٨٩ م.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، ت ٨٤٥م:

١٧٨. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ١٥ ج، ق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

١٧٩. السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨ ج، ق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

المَلَطي أبو الحسين، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العسقلاني، ت ٣٧٧ هـ:

١٨٠. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٩٩٧م.

ابن منجويه، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، ت ٤٢٨ هـ:

١٨١. رجال صحيح مسلم، ٢ ج، ق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

ابن منده، محمد بن اسحق الأصبهاني أبي عبد الله، ت ٣٩٥ هـ:

١٨٢. فتح الباب في الكنى والألقاب، ق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، الرياض، ط ١، ١٩٩٦م.

ابن المنذر، أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ت ٣١٩ هـ:

١٨٣. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، ق أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٨٥م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ت ٧١١ هـ:

١٨٤. لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

١٨٥. مختصر تاريخ دمشق، ٢٩ ج، ق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٤م.

ابن المنير، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي أبو العباس ناصر الدين الجذامي الجروي الإسكندراني، ت ٦٨٣هـ:

١٨٦. المتواري على تراجم أبواب البخاري، ق صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٧م.

الميداني أبو الفضل، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، ت ٥١٨ هـ:

١٨٧. مجمع الأمثال، ٢ ج، ق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، ت ٣٠٣:

١٨٨. السنن الكبرى، ق عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

أبو نصر الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري، ت٣٩٨ هـ:

١٨٩. رجال صحيح البخاري = الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، ٢ ج، ق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ت ٤٣٠هـ:

١٩٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٨٤م.

١٩١. دلائل النبوة، ٢ ج، ق محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م.

١٩٢. معرفة الصحابة، ٧ج، ق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٨م.

نور الدين الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد أبو الفرج، ت ١٠٤٤هـ:

١٩٣. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ت ٦٧٦ هـ:

١٩٤. تهذيب الأسماء واللغات، ٣ ج، ق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ:

١٩٥. نهاية الإرب في فنون الأدب، ٣٣ج، ق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.

ابن هشام، ابي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، ت ١٨٣هـ:

١٩٦. سيرة النبي، ٥ ج، ق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، مصر، طنطا، ط ١، ١٩٩٥م.

نور الدين الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت ٨٠٧ هـ:

١٩٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٩٨٦م.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي أبو عبد الله، ت ٢٠٧هـ:

١٩٨. المغازي، ٢ج، ق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.

ابن الوردي الجد زين الدين، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، ت ٧٤٩ هـ:

١٩٩. تاريخ ابن الوردي، ٢ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت ٢٩٢هـ:

٢٠٠. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، ت ٣٠٧ هـ:

٢٠١. مسند أبي يعلى، ق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٩٨٤م.

ثانيا: الموســــوعـات

أ: الموسوعات العربية

الحفني، عبد المنعم:

٢٠٢. الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية، دار نوبليس، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.

الخوند، مسعود:

٢٠٣. القارات. المناطق. الدول. البلدان. المدن. الموسوعة التاريخية الجغرافية القارات معالم. وثائق. موضوعات. زعماء، ١٢ ج، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

زهر الدين، صالح:

٢٠٤. موسوعة الأمن والاستخبارات في العالم – ملف الاستخبارات الأمريكية، ١٢ ج، المركز الثقافي اللبناني، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

العيسوي، عبد الرحمن محمد.

٢٠٥. موسوعة كتب علم النفس الحديث، علم النفس الحربي، دار الراتب الجامعية، ط الأولى، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٠٦. موسوعة كتب علم النفس الحديث، علم النفس العسكري، دار الراتب الجامعية، ط الأولى، بيروت، ١٩٩٩م.

الكيالي، عبد الوهاب وآخرون:

٢٠٧. موسوعة السياسة، ٧ ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، كفر قرع – فلسطين، ١٩٩٤م.

ب: الموسوعات المترجمة

سيلامي، نوربير وآخرون:

٢٠٨. المعجم الموسوعي في علم النفس، ٦ ج، تر وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠٠١م.

ثالثا: الرسائل

الثلاثيني، نهاد يوسف:

٢٠٩. الأمن العسكري في السنة النبوية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاسلامية، غزة، ٢٠٠٧م.

آل جبران، ناصر بن سعيد بن عبود:

٢١٠. التقنيات والأساليب الحديثة ودورها في حماية الشخصيات المهمة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ٢٠١١م.

الراشد، أحمد بن عبد العزيز سعد:

٢١١. الأساليب الحديثة في حماية الشخصيات الهامة دراسة عن مدى فاعلية أساليب حماية بعض الشخصيات الهامة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض السعودية، ١٩٨٩م.

السبهان، ثامر بن سبهان بن علي:

٢١٢. دور القيادة في تحفيز قوة حماية الشخصيات المهمة دراسة تطبيقية على ضباط وأفراد كتيبة الشرطة العسكرية الخاصة للأمن والحماية بالرياض، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ٢٠٠٥م.

رابعًا: المراجـــع

أ: مراجع عربية

أحمد، ابراهيم علي محمد:

٢١٣. الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٩م.

٢١٤.	فقه الأمن والمخابرات، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٦م.

الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني نويوات:

٢١٥.	معجم الأفعال المتعدية بحرف، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.

الأعرجي، محمد حسين:

٢١٦.	جهاز المخابرات في الحضارة الاسلامية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م.

الجزائري، سعيد:

٢١٧.	المخابرات والعالم، ٤ ج، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨٨م.

حمودي، إمام الشافعي محمد:

٢١٨.	المخابرات في التاريخ الإسلامي الباكر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م.

خطاب، محمود شيت:

٢١٩.	الرسول القائد، دار الفكر، ط السادسة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٢٠.	العسكرية الاسرائيلية، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

٢٢١.	قادة النبي صلى الله عليه وسلم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م.

أبو خليل، شوقي:

٢٢٢.	أطلس السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط ١، ٢٠٠٣م.

خليل، فتحي صلاح الدين:

٢٢٣.	تأمين وحراسة المنشآت الاستراتيجية والحيوية في الدولة، ج ٧، مختصر الدراسات الأمنية للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ٩ ج، عماد الدين سلطان، محمد علي حيدر، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢م.

الدغمي، محمد راكان:

٢٢٤. التجسس وأحكامه في الشريعة الاسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ٢، ١٩٨٥م.

أبو زهرة، محمد:

٢٢٥. خاتم النبيين، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، الدوحة، قطر، ١٩٧٩م.

السيد، ناصر:

٢٢٦. يهود يثرب وخيبر الغزوات والصراع، المكتبة الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

شاكر، محمود شاكر، الحرفش:

٢٢٧. مفاهيم أمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط الأولى، الرياض، السعودية، ٢٠١٠م.

شحاته، عبد المنعم:

٢٢٨. من تطبيقات علم النفس، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.

الصلابي، علي محمد:

٢٢٩. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.

طايل، فتحي محمد:

٢٣٠. المنظور المعاصر للتخطيط لحراسة وتأمين الشخصيات والمنشآت الهامة، ج ٧، مختصر الدراسات الأمنية للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ٩ ج، عماد الدين سلطان، محمد علي حيدر، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت ١٣٩٣هـ:

٢٣١. التحرير والتنوير، ٣٠ ج، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

عرموش، أحمد راتب:

٢٣٢. قيادة الرسول السياسية والعسكرية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٩١م.

العسلي، بسام:

المذهب العسكري الإسلامي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

العليائي، علي بن نفيع:

٢٣٣. الحرب النفسية طبيعتها وخصائصها، ج ٨، مختصر الدراسات الأمنية للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ٩ ج، عماد الدين سلطان، محمد علي حيدر، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢م.

العليمي، أحمد محمد:

٢٣٤. دروس في السيرة النبوية وعبرها فقه السيرة، مطبوعات جامعة الامارات العربية المتحدة ٥١.

عمارة، محمود محمد:

٢٣٥. خواطر وتأملات في السيرة النبوية الشريفة، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية – مركز السيرة والسنة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٠م.

العمري، أكرم ضياء:

٢٣٦. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٩٩٤م.

الغزالي، محمد:

٢٣٧. فقه السيرة، دار الشروق، القاهرة.

الغضبان، منير محمد:

٢٣٨. المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٦، ١٩٩٠م.

الكيلاني، ابراهيم وآخرون:

٢٣٩. القاموس الأمني: انجليزي – عربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٩٧م.

أبو فارس، محمد عبد القادر:

٢٤٠. المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان للنشر، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٣م.

٢٤١. الهجرة النبوية، دار الفرقان للنشر، الأردن، عمان، الأردن، ط ٢، ١٩٨٨م.

قطب، سيد:

٢٤٢. في ظلال القرآن، ٦ ج، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٩٩٢م.

محفوظ، محمد جمال الدين:

٢٤٣. العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية.

٢٤٤. النظرية الاسلامية في الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسة، دار الاعتصام، القاهرة.

٢٤٥. النظرية الاسلامية في الحرب النفسية، دار الاعتصام، القاهرة.

المرصفي، سعد:

٢٤٦. الرسول واليهود وجها لوجه، ١٠ج، مكتبة المنار الاسلامية، الكويت، ط ١، ١٩٩٢م.

الملاح، هاشم يحيى:

٢٤٧. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.

مناصرة، عبد الله على السلامة المحمد:

٢٤٨. الاستخبارات العسكرية في الاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩١م.

المنياوي، رمزي:

٢٤٩. الحرب النفسية والطابور الخامس، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة:

٢٥٠. مكائد اليهود عبر التاريخ، دار القلم، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨م.

النجار، فهمي:

٢٥١. الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط ١، ٢٠٠٥م.

نوفل، أحمد:

٢٥٢. الاشاعة، دار الفرقان، عمان، الاردن، ط ١، ١٩٨٣م.

الهرفي، سلامة محمد:

٢٥٣. المخابرات في الدولة الإسلامية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٩٨٩م.

هيكل، محمد خير:

٢٥٤. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٣ ج، دار البيارق، دار ابن حزم، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م.

ب: مراجع مترجمة

بودلي، ر. ف.:

٢٥٥. الرسول حياة محمد، تر عبد الحميد جودة السحار، محمد محمد فرج، دار الكتاب العربي، مصر.

شيلينج، توماس:

٢٥٦. استراتيجية الصراع، تر نزهت طيب، أكرم حمدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، بيروت، الدوحة، ط ١، ٢٠١٠م.

ولفنسون، اسرائيل:

٢٥٧. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤م، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧م.

Abstract

Security action in prophethood era

This research focuses on the field of security work during the prophethood era and aims to study and analyze the events of the Prophet's Biography from a security perspective only. The security analysis used the contemporary security terminology in an attempt to link the security work during the prophethood era with the currently applied terminology. The research was classified by subject apart from the chronological order of events into four main chapters excluding the introduction, results and recommendations.

Chapter one highlights the important role of information during the prophethood era in protecting the internal front during the preliminary phase and during the immigration to Habasha and Madina. Then, it presents the role of information in serving the positions of the Prophet (peace be upon him - PBUH) and his relations with the others. In addition, the chapter sheds light on the applied procedures for information gathering and its use to achieve the strategic objectives in the security, military and economic fields as well as during the negotiations process. The chapter also presents the role of information and its impact to serve the positions of the Prophet (PBUH) during battles through the applied military measures against Quraish, Jews and Romans. It should be noted that the analysis was conducted in a gradual manner to highlight the triumph of the security strategy which will lead to the historical moment of changing the world map.

Chapter two discusses the magnitude of the psychological warfare that was used during that era against the Prophet (PBUH) whether on personal or official level as well as its use to spread systematic rumors among Muslims. This psychological warfare was also followed with attempts by Jews, hypocrites and Quraish to divide the internal front and to incite Muslims against Islam. Then, it presents the nature of the psychological warfare that was used by the Prophet (PBUH) against Jews, hypocrites and Quraish. It can be said that the psychological warfare was considered to be one of the most effective weapons used in the this long conflict that formed a deterrent factor against any possible aggression and was the decisive factor which led to victory in many battles even without fight.

Chapter three deals with the protection and security measures that were applied during the prophethood era starting from the protection of the Prophet (PBUH) from several attempts targeting him in Mecca, Madina and the battle fields. The chapter also presents the practices that were used to protect the vital installations, meetings and military command centers during battles. It also presents the security movements of Muslims in Mecca and Madina as well as during battles and their interest regarding the prisoners of wars. It highlights the fact that Muslims has succeeded in protecting the Prophet (PBUH) and achieving the set objectives based on their security maneuvers during various stages of Dawa.

Chapter four presents the issue of intelligence work and spying during the prophethood era which includes the security threats that were facing the Muslim community from Quraish, Arabic tribes, Jews and hypocrites who attempted to weaken the internal front via spying and leaking misleading information. It also discusses the attempts that were made to lure Muslims towards security ambushes to capture or kill them. The chapter deals with the collaboration issue by some internal spies with hostile entities as well the opposite spying operations against such hostile forces through assassinations and spying during the battles. It also highlights some of the successful spying operations and the spying management operations by the Prophet (PBUH) whether during conflict or truce including the tracking down of killers and criminals that took place shortly after the conquest of Mecca. At the end, Muslims have succeeded in the management of the battle of minds against hostile forces.

The study was concluded by presenting its findings and forwarding a set of recommendations to the concerned entities.

The aim of the research was to highlight the security work during prophethood era and to have a look at the nature of the conflict and the security threats from hostile forces to Islam. Also, the aim was to explain the security strategy used by the Prophet (PBUH) and to identify the results of the security battle in the Arabian Peninsula.

The research relied on the historical analytical approach. Furthermore, the researcher studied the events of the Prophet's Biography, the behavior of Muslims as well as hostile forces. Also it was necessary to study the

information and events and related results in order to conduct the security analysis and identify its areas of strengths and weaknesses.

The findings of the researcher were that the used security strategy by the Prophet (PBUH) was very important and contributed to the victory of the Islamic State and to the achievement of its objectives in a very short period of time.

The researcher has stressed in his recommendations the importance of paying special attention to the security work in order to enhance it intellectually, culturally and behaviorally to contribute and provide the necessary support for the Islamic work to cope with the evolving and fast technical and intellectual developments in the area of security.

The Islamic University – Gaza
Post-graduate Studies Deanship
Faculty of Arts
Department of History and Archeology



Security action in prophethood era

Prepared by the Researcher:

Mazen Bader Habboub

Supervised by:

Dr. Sami Hamedan Abo Zohree

This dissertation had been submitted in partial fulfillment of the requirements for a Master's degree in History in the Department of History and Archeology of the Islamic University of Gaza – Palestine

1435 H.–2014